ALEXANDRA.AHLAMONTADA.COM

منتدى مكتبة الأسكندرية

والت ديزني

كاترين وريتشارد جرين

alexandra.ahlamontada.com
منتدى مكتبة الأسكندرية

ترجمة

رفعت السيد علي

هذه ترجمة كاملة لكتاب

The man behind the magic
the story of Walt Disney
By Katherine and Richard Greene
Viking

فهرس

مقدمة ..... - ٦ -

مولد ميكي ..... - ٨ -

أول حب ..... - ١٢ -

إلياس ..... - ١٤ -

مدينة كانساس ..... - ١٧ -

مرح الهواة ..... - ٢٠ -

الحرب من أجل الاستقلال ..... - ٢٣ -

تحيا فرنسا ..... - ٢٩ -

نجم مدينة كانساس ..... - ٣٢ -

صعود وانهيار مشروع الرسوم المتحركة ..... - ٣٧ -

هوليود ..... - ٤١ -

أجراس العرس ..... - ٤٤ -

الاتجاه إلى الإنتاج ..... - ٤٧ -

ميكي ..... - ٥٠ -

الخيانة مرة أخرى ..... - ٥٤ -

جمع ما تناثر ..... - ٥٩ -

إنجازات غير مسبوقة ..... - ٦٢ -

بابا ..... - ٦٧ -

سنو وايت "ثلجية البياض" ..... - ٧٠ -

المأساة ..... - ٧٥ -

الزعيم ..... - ٧٧ -

الإضراب ..... - ٨٢ -

نازي لاند "بلاد النازي" ..... - ٨٧ -

رجل الأسرة ..... - ٩٠ -

مخاطرات والت ..... - ٩٣ -

الرجل – الطفل..... – ٩٧ –
مملكة أحلام والت ..... – ١٠١ –
على الهواء..... – ١٠٥ –
قالب واحد في كل مرة ..... – ١٠٩ –
يوم الأحد الأسود ..... – ١١٢ –
لماذا؟ لأننا نحبك ..... – ١١٥ –
الجيل التالي ..... – ١١٩ –
في مواقع التصوير ..... – ١٢٣ –
والت وروي..... – ١٢٨ –
ماري بوبينز ..... – ١٣٠ –
مدينة المستقبل..... – ١٣٣ –
التطلع إلى المستقبل..... – ١٣٧ –
وداعًا ..... – ١٤٠ –
طي الصحف ..... – ١٤٥ –
واستمر الحلم..... – ١٤٧ –

مقدمة

أنا أعشق القراءة، ودائمًا ما أقرأ، بدأت بقراءة سلسلة "ويني المتأفف" في سن مبكرة جدًا، ثم قرأت ماري بوبنز، وقصص الكلب والحصان، ونانسي درو، وتشارلز ديكنز، والشقيقتين برونتي، وهكذا تدرجت قراءاتي، والآن أقرأ كل ما تطوله يدي ويثير اهتمامي؛ إلا أنني أهتم بوجه خاص بالسير الذاتية.

وحين أقرأ السير الذاتية أجدني أتساءل في أغلب الأحوال إن كان الكاتب قد تناول موضوعه بحيدة ونزاهة وأمانة أم حاد عنها جميعًا؟ وحين يتعلق الأمر بامرئ مات من زمن طويل؛ فإن أي كاتب يتناول قصة حياته يلجأ إلى الاستعانة بما كتب عنه قبل ذلك، ومن المفترض بالطبع أن تكون كتب السير في جميع أرجاء العالم أمينة تمامًا في التناول، ولكن لسوء الحظ ليس الأمر كذلك على الدوام.

لقد قابلت كاترين وريتشارد جرين مؤلِّفيْ هذا الكتاب عام ١٩٨٦. كانا في مدينة ديزني للزيارة واستمتعا بما فيها استمتاعًا كبيرًا، ثم توجها لشراء كتاب عن قصة حياة الرجل الذي ابتدع هذه المدينة ليهدياه إلى ابن أخيهما البالغ من العمر أربعة عشر عامًا، وخاب أملهما حين لم يجدا أي كتاب ملائم لهذه السن، يتناول حياة مبدع تلك المدينة وآليا على نفسيهما القيام بتلك المهمة.

ولم يرض الأخوان جرين أن يكتفيا بجمع المعلومات من مطبوعات سابقة، أو أن يستعينا بآراء الآخرين في والت ديزني؛ بل انطلقا في رحلة بحث طويلة دامت خمسة أعوام، زارا خلالها الأماكن التي عاش فيها أبي وأجروا لقاءات وحوارات مع رفاق طفولة أبي، كما التقيا بأفراد العائلة، ومن عملوا معه في مراحل حياته المختلفة؛ كل من عرفوه عن قرب، وتوصلا إلى رؤية خاصة بهما غير مستمدة من الآراء السابقة؛ رؤية جديدة نضرة.

وعلمت عن أبي وكذلك عن أسرة أبي جوانب لم أكن أعرفها، من خلال ذلك الجهد المشهود، وجعلا من قصة حياة أبي قصة ممتعة عند قراءتها، وهي ليست جذابة فقط للقارئ صغير السن، بل أيضًا للبالغين والناضجين الذين يشعرون بالملل عند قراءة تواريخ جافة تخلو من نبض الحياة والذين يضجرهم مجرد سرد أسماء ووقائع؛ تسير أغلب كتب السير على نمطها وقد أعجب هذا العمل عمتي روث ديزني بيتشر وامتدحته لأنها أيقنت أن الأخوين جرين عرضا بأمانة حياة الأسرة.

لقد اعتاد أبي أن يقول: "ما الذي يغري أي امرئ أن يكتب قصة حياتي؟ أنا شخص عادي جدًا ولا توجد بحياتي فضائح تستحق الذكر"، إلا أن حياة أبي لم تكن عادية بأي حال، بل إنه كان يحب أن يتحدث عنها.

استمعت أنا وشقيقتي وآخرون إلى الحكايات نفسها مرارًا وتكرارًا؛ كان أبي يستمتع برواية أحداث طفولته ومغامرات بداية حياته في ميرسلين وميسوري وبداية حياته العملية في مدينة كانساس، وميسوري، والأحداث التي عاشها في فرنسا حين كان يعمل سائقًا لسيارة إسعاف الجرحى في نهايات الحرب العالمية الأولى.

ولسوء الحظ حاول بعض الكتاب الإساءة لحياة هذا الرجل "العادي جدًا" كما يقول هو عن نفسه، بأن تعمدوا الإساءة بالتشويه وعدم الدقة حتى إن أبي ونحن أيضًا تصيبنا الدهشة حين نجد بعضهم يذكر أحداثًا لم تقع أبدًا!.

إن هذا الكتاب: "الرجل الكامن خلف هذا السحر" ليس إلا جهدًا أمينًا وصادقًا قام به كاتبان محنكان وباحثان مجدان فتمتعوا بقراءته، وصدقوا ما ورد فيه، فحينما قرأته لأول مرة، قلت: "أنا ممتن لهذا الكتاب" ويزداد تقديري وامتناني لهذا الكتاب يومًا بعد يوم.

ديان ديزني ميللر

يونيو ١٩٩٨

مولد ميكي

كان يوم خميس غائم من شهر مارس، عام ١٩٢٨، وكان والت ديزني الشاب البالغ من العمر ستة وعشرين عامًا وزوجته ليلي يهمان بالعودة إلى بيتهما في كاليفورنيا عائدين من نيويورك، وقبل أن يصعدا إلى القطار كتب والت برقية إلى شقيقه الأكبر، وشريكه في العمل "روي"، قال فيها: "لا تقلق، كل شيء على ما يرام، سأخبرك بالتفاصيل فور وصولي".

برقية قصيرة ومبهجة، إلا أنها خلت من أي حقيقة! والحقيقة أن ستوديو تصوير رسوم ديزني كان قد انهار وأفلس.

كانت شخصية الأرنب المحظوظ "أوزوالد" التي ابتدعها والت قد اختطفت منه.

كانت شخصية الأرنب المحظوظ ذو الأذنين الطويلتين المرتخيتين عند طرفيهما، الحرون المشاغب؛ هي تذكرة والت التي كانت ستحمله إلى عالم النجاح والشهرة. تلك الشخصية الكرتونية التي ابتدعها كانت قد تخطت النقاد والعاملين بالسينما على حد سواء. كان الأطفال يرسلون الرسائل إلى الأستوديو طالبين توقيع الأرنب أوزوالد، كما راحت محلات الأغذية تبيع حلوى للأطفال مصنوعة على هيئته، ورسومًا مفرغة على أوراق ليلونها الأطفال وكذلك صنع له أشكال على هيئة أزرار لملابس الأطفال!

كان والت قد أتى إلى نيويورك ليطلب دعمًا ماديًا أكثر لتطوير شخصية أوزوالد، وكان موقنًا أن تشارلي منتز –ذلك الرجل النحيف الأنيق ذا الشعر الأسود الناعم والمسئول عن توزيع أفلام والت الكرتونية على دور العرض– لن يتردد في دعم هذا النجاح. وضاعف من أمل والت دعوة منتز له ولزوجته لتناول الغذاء في مطعم فندق أستور، وساد تناول طعام الغذاء أحاديث مرحة وامتداح لعمل والت، ولم يتطرقا للمسائل المالية.. وأنهى منتز وجبته قائلاً: **"تذكروا هذه الكلمات؛ سيلمع نجم هذا الشاب ويصعد إلى الأعالي"** إلا أن والت لم يصعد في ذلك اليوم إلى أعلى من مكتب منتز في ميدان تايمز.

فحين عاد الرجلان بعد الغذاء إلى مكتب منتز لمناقشة جدية لشئون العمل؛ تحولت ملامح منتز إلى نوع من الجمود الحجري! وضاعت منها كل أمارات الود! قال له إنه لن يعطيه أي أموال؛ بل إن الدفعات ستكون أقل بعد ذلك؛ مجرد أموال ضئيلة لن تمكن والت من البقاء في سوق العمل.

ما الذي كان يمكن أن يفعله والت على ضوء ذلك القرار؟ ببساطة، كان لا بد أن ييأس وكان هذا هو المطلوب حتى يأتي ويعمل لدى منتز ولحسابه!

وتحت تأثير الصدمة هدد والت بأنه سيعطي الأرنب أوزوالد إلى موزعين آخرين.. لم ينزعج منتز لهذا التهديد وقال لـ "والت": إنه أعد لكل شيء عدته حتى يجبر والت أن يعمل لحسابه، حتى في الوقت الذي كان فيه والت يحتفل بنجاح الأرنب أوزوالد. كان منتز قد أغرى العاملين مع والت ليتركوه ويعملوا لحسابه هو نظير عائد مالي أكبر ووظائف أكثر استقرارًا إلا واحدًا منهم لم يتمكن من إغرائه.

من هول الصدمة لم يصدق والت أن الرسامين الذين يعملون معه من الممكن أن يفعلوا به ذلك! كان فريق العمل الذي يعمل معه مكونًا من شباب يعرفهم منذ أن كانوا في العقد الثاني من عمرهم وفي مقتبل شبابهم، وكان أغلبهم قد وجدوا أول فرصة لهم في حياتهم العملية في العمل معه؛ قام بتمرينهم وتدريبهم وشجعهم، وكان يعتقد أنه الربان وهم طاقم بحارة السفينة التي تحملهم معًا في رحلة سعيدة إلى عالم الشهرة والمال الذي يلوح لهم في الأفق.

أسرع عائدًا إلى الفندق الذي نزل به ليجري اتصالاً هاتفيًا بأخيه روي، فتأكد له صدق ما قاله منتز وقرر الأخوان أن بإمكانهما الاستعانة برسامين آخرين إذا احتاجا لذلك؛ سيكون ذلك أمرًا صعبًا بطبيعة الحال إلا أنه ليس مستحيلاً. الأهم أنهما يحتاجان إلى موزع آخر غير منتز.. وأمهل والت منتز بضعة أسابيع حتى يتمكن من التوصل إلى موزع جديد.

وحين علم منتز بمحاولات والت أفضى إليه بمزيد من الأخبار المزعجة والضاغطة؛ فبالرغم من أن والت قد نفخ أنفاس الحياة في شخصية الأرنب أوزوالد، ورسم ملامح شخصيته، وطوره حتى وصل به إلى اكتماله ونضجه، إلا أن شخصية الأرنب أوزوالد التي ابتدعها والت كانت طبقًا للعقود ملكًا لشركة أفلام "يونيفرسال"، وكان منتز قد أكمل بذلك سيطرته على مستقبل الأرنب أوزوالد.

وقرر والت الذي صمم على ألا يعمل لحساب منتز أن يترك تمامًا الأرنب أوزوالد وينفض يديه منه. أما بالنسبة للرسامين الذين حرضهم منتز وأغراهم لترك والت فقد حذره والت من ذلك قائلاً له: "أولئك الأولاد سيفعلون بك نفس الأمر يا شارلي. ما داموا قد فعلوا ذلك معي سيفعلونها معك أيضًا؛ الآن خذ حذرك منهم".

وقد حدث ما توقعه والت تمامًا فبعد بضع سنوات فقط، قام الرسامون أنفسهم بترك منتز إلى مراعٍ أخرى أكثر عطاءً. أما في الوقت الذي نحكي عنه؛ فقد كان والت هو الطرف الخاسر؛ كان هو وأخوه روي يملكان أستوديو للرسوم المتحركة أصبح لا يضم إلا رسامين فقط (أحدهما والت) وليس لديهما شخصيات كرتونية بعد فقد شخصية الأرنب أوزوالد.

وحين صاح منادي القطار: "فليركب المسافرون" أخذ والت بيد زوجته ليلي وساعدها على صعود درجات عربة القطار وسارا إلى مقصورتهما وجلسا دون أن يتفوه أحدهما بكلمة.

وبالرغم أن روي لم يكن يعلم تفاصيل ما حدث مع منتز والكارثة التي حلت عليهم إلا بعد بضعة أيام أخرى، إلا أن والت راح يفكر في التو في بدائل أخرى.

أما قصة ما حدث بعد ذلك؛ فقد تاهت ملامحها بين ضباب الأسطورة، وأصبح من المستحيل الآن التيقن تمامًا أين تنتهي الحقيقة، وأين يبدأ غرام والت بالقصص الجديدة التي يحكيها؟

إلا أن الطريقة التي يستمتع والت بها في حكاية قصة رحلة عودته من نيويورك هو وزوجته ليلي التي استغرقت ثلاث أيام كانت تبرز على الدوام أن هناك شيئًا رائعًا حدث أثناء رحلة العودة: أخرج والت صفحة من ورق مقوى صفراء كبيرة، وبينما كان القطار يزفر البخار والدخان من مقدمته ويبدأ في التحرك، راحت يده ترسم خطوطًا بلا تركيز، بينما استرخت ليلي في مقعدها.

وبينما كان القطار يحملهما مبتعدًا عن زحام وتكدس الساحل الأمريكي الشرقي، وينتقل بهما إلى التلال الواطئة لبنسلفانيا، ثم إلى السهول الخضراء الممتدة في ولاية أوهايو ويتوغل في إنديانا؛ راحت أعصاب والت المتوترة تهدأ، خاصة مع إيقاع عجلات القطار الرتيبة.. وبدأت خطوطه العابثة على صفحة الورق تكتسب إيقاعًا هي الأخرى.

كان تركيزه الآن منصبًا على رسم دوائر، بعضها كبير والآخر صغير، أوصلها ببعضها فكونت بدنًا، ثم أكمله برأس وأذنين، ثم دائرة مستطيلة قليلاً أصبحت أنفًا لهذا الشكل ألصق به ساقين ووصل الشكل إلى ما يقارب الاكتمال.

وراحت ليلي تراقب القلم وهو يرسم، ثم دققت في الرسم الذي أصبح حيًّا، ثم أيقنت أن والت كان يرسم فأرًا.

سألها والت: "ما رأيك في اسم مورتيمر لهذا الفأر؟".

وراح يحملق في الرسم وابتسامة وليدة تتكون على شفتيه لأول مرة عبر آلاف الأميال التي قطعها القطار.

قالت ليلي متسائلة: "مورتيمر؟ اسم غريب لفأر!، وراحت تفكر في جدية وهي تنظر إلى والت وقالت: "لا أعتقد أنني أحبذ اسم مورتيمر بأي حال.."، كان القطار يمضي ووالت يضيف بعض التفاصيل إلى الأذنين، ثم فجأة قالت ليلي: "ما رأيك في اسم ميكي؟".

في الشهور التي تلت ذلك، انسحب الأرنب أوزوالد إلى عالم النسيان، فقد راح والت يركز كل جهده على الفأر الواعد.

وبعد ميكي ماوس ظهرت إلى الوجود شخصيات دونالد دك، سنو وايت (ثلجية البياض)، وبينو كيو، ثم تبعتها أفلام جزيرة الكنز، و٢٠,٠٠٠ فرسخ تحت الماء، وماري بوبنز، وقدمت ديزني لاند وديزني وورلد مفهومًا جديدًا من مفاهيم الترفيه العائلي والأسري.

قالت ليلي بعد ستين عامًا من مولد شخصية ميكي: "كل ما يلمسه والت يحقق نجاحًا باهرًا، لقد كان على الدوام رجلاً محظوظًا".

ولا جدال في ذلك؛ فلو كان هناك حراس من الملائكة كان والت سيجعلهم يعملون وقتًا إضافيًا.

إلا أن هناك جانبًا ووجهًا آخر للقصة، فخلال منعطفات هامة من حياته العملية –مثل اليوم الذي ضاع فيه منه الأرنب أوزوالد– كان لدى والت ديزني أسبابًا قوية تجعله يعتقد أنه أسوأ الناس حظًا، وقصة حياته تتسم بحدوث فشل قبل كل نجاح وخيبة أمل قبل كل انتصار! لم يحقق أي من إنجازاته بسهولة، ولم يرض عن أي انتصار! كان مسافًا بلا نهاية وبجوع ونهم لا يشبعان إلى آفاق جديدة ليغزوها ويقهرها.

إن خصوصية المرء تتضح من عمومية مسعاه؛ لقد ظل والت لغزًا حتى في نظر أولئك الذين عملوا معه وكانوا قريبين منه، كانوا يطلقون عليه الطاغية والقديس، وأطلقوا عليه المتنمر والمحسن في آنٍ واحد! وبالرغم من أنه يعلم أن كثيرًا من العاملين معه أمهر منه فنًا، إلا أنهم يلتفون حوله لاستلهام فكره! الموسيقيون أدهشهم أنه كان يقودهم إلى إنجاز أفضل أعمالهم، بالرغم من أنه لا يستطيع أن يلحن نغمة واحدة! وفي الوقت الذي لم يحصل فيه على أي خبرة معمارية أو هندسية، إلا أن أكثر المعماريين موهبة وأكثر المهندسين خبرة في العالم كانوا يشرفون بالعمل معه.

حاول كثيرون فهمه، أو أن يفسروا شخصيته في كلمات محدودة منتقاة أو تعبيرات مركزة، إلا أن قليلين من المغربين من والت ديزني يدركون أن تلك المحاولات لفهمه أو تفسيره لم تقترب من حقيقته.

وقال أحد الفنانين في مدينة ديزني وهو بيتر إلينشو: "لن تجد أبدًا من يستطيع أن يفسر سحر والت.. الناس غالبًا ما تراه إما أبيض أو أسود إلا أنه خليط غريب من هذا وذاك؛ إنه رجل عادي؟، إلا أنه يتميز بلمسة سحرية".

أول حب

بدأ السحر في ميرسيلين.

كان والت في الرابعة من عمره حين قرر أبوه أن يشتري مزرعة تبلغ مساحتها خمسة وأربعين فدانًا في ضواحي إحدى المدن الصغيرة، تقع في منتصف المسافة بين مدينتي سانت لويس وكانساس بولاية ميسوري.

كان أبوه إلياس ديزني نجارًا وبناءً ولم يرد لأبنائه الخمسة أن يترعرعوا بين حانات وشوارع شيكاغو التي تنتشر فيها الجرائم، وكان والت قد ولد بمدينة شيكاغو في الخامس من ديسمبر عام ١٩٠١، وفي ربيع عام ١٩٠٦ كانت أسرة ديزني تحزم أمتعتها وأثاثها المنزلي، وأواني الطهي، وإنجيل الأسرة وتنتقل إلى المزرعة التي اشتراها الأب في ميسوري.

كانت المزرعة الجديدة بالنسبة لوالت عبارة عن جنة، كانت أشجار الصفصاف وأشجار الأرز وأشجار القيقب الفضية تنثر أوراقها الغزيرة على فناء البيت الأمامي، من الفناء الخلفي للبيت كان عبق زهور التفاح يفوح في أنحاء المنزل في الربيع.

في الخريف حضر والت أول حصاد يقوم به أفراد الأسرة.. كان أشقاؤه؛ روي البالغ ١٣ عامًا، وريموند ١٥ عامًا وهربرت ١٧ عامًا يعملون مع أبيهم كتفًا بكتف. وكان الجيران يغنون الأغاني الجماعية بصوت أجش. كانوا يذبحون الخنازير؛ واحدًا في كل مرة، ويغمرونه بعد ذبحه في الماء المغلي وينزعون الشعر عن جلده بينما زوجات المزارعين ينشرن الطاولات وعليها خبز القمح، والدجاج والفطائر تحت أشجار الصفصاف، وكان الأطفال في سن والت يتولون مهمة جلب الماء للعاملين بالمزرعة. ومع نموه، امتد عالمه ليشمل المزارع المجاورة والمدينة القريبة.. ويتذكر "كليم فليكنجز" الذي كان جارهم في المزرعة المقابلة تلك الأيام ويحكي عنها قائلاً: "أحيانًا، حين كانت السيدة ديزني تسمح لوالت، حيث كنا نذهب لصيد الأسماك من خور الماء، كنا نصطاد سمك القط والسمك المقوس الرأس، وكانت بعض مناطق الخور يبلغ عمقها أربعة أو خمسة أقدام، فكنا نخلع ملابسنا وننزل فيها للسباحة، وفي الشتاء كنا كمجموعة من الأطفال ومعنا والت نذهب للتزلق على الجليد، ونشعل النيران لنتدفأ عليها".

وذات يوم وجد والت كومة من الأجولة الفارغة في مخزن الغلال، قام بشقها وخاطها معًا وصنع منها خيمة، ثم ساق قطتان من القطط الموجودة بالمزرعة أدخلهما الخيمة وهكذا أصبح أول حلقة سيرك في حياة ديزني جاهزًا للعرض، وتقاضى من كل طفل عشرة سنتات لمشاهدة عرض القطط! ويتذكر كليم فليكنجز ذلك قائلاً: "لا تستطيع أن تدفع القطط لفعل أي شيء ولا أن تعلمها الكثير".. لذلك غادر الأطفال العرض غير راضين، وأرغمت فلورا

ديزني ابنها والت أن يعيد للأطفال نقودهم.. كان والت قائدًا بالسليقة، وكانت أخته روث التي تصغره بعامين أول أتباعه، تقدم على أي عمل يجعلها قريبة من أخيها لتحظى باهتمامه.

ذات يوم، وكان والت حينها في السابعة من عمره، ذهب أبواه إلى المدينة لبعض شئونهما، ووجد والت برميلاً كبيرًا من القار، وشرح والت لأخته أن تلك المادة السوداء اللزجة من الممكن أن تستعمل كنوع من ألوان الرسم، وغمس والت قطعة من الخشب في برميل القار وراح يرسم على الجدران البيضاء لمنزلهم، وبعث هذا العمل في روث التي كانت في الخامسة إحساسًا بالإثارة لتنفيذ هذه الفكرة العظيمة، وسألت أخيها: "هل يمكن محو تلك الرسوم بعد ذلك؟"

فقال لها والت تملؤه الثقة: "بكل تأكيد".

وراحت روث هي الأخرى ترسم خطوطًا ملتوية بالقار، ثم انتقل والت إلى منازل أخرى يرسم على حوائطها حتى غطى جدران كثير من المنازل، وبعد أن أنهى مهمته وقف يتأمل ما فعله في إعجاب، ثم اكتشف بعد أن جف القار على الجدران أنه لا يمكن محوه ولا إزالته، وكان وهو يحاول محو خطوط القار يتخيل غضب والده وعقابه الذي سينزله به. وبخياله الخصب رأى والده ينزع فرعًا طويلاً من إحدى أشجار التفاح وأحس بخياله أيضًا ألم ضربات فرع الشجرة على مؤخرته.

وظلوا يذكرون تلك النادرة كمثال على خطأ والت في الحكم على الأمور، وظل القار ملتصقًا بجدران البيوت طول الوقت الذي عاشه والت في ميرسيلين. بعد ذلك بأعوام كتب والت في مذكراته أن الأيام التي عاشها بالمزرعة طبعته بطابع ولاية ميسوري؛ أي بخليط في شخصيته مكون من التسامح والاستقلالية والاعتماد على الذات، و"عناد البغال" إلا أنه يحتمل أيضًا أن تلك الصفات كانت موجودة بشخصية والت منذ نعومة أظفاره.

لم يكن هناك وقت متاح للأبوين حتى يعلمانه ما يفعل وما لا يفعل فمن طفولته المبكرة اتضح أن لديه ثقة شديدة بآرائه!.

كانت إحدى وجهات نظره التي تمسك بها تتعلق بالمدرسة.. كان قد التحق بالعام الأول الدراسي متخلفًا عامًا عن أقرانه (كان في السابعة) ورفض بكل عناد فكرة أن المدرسة من الممكن أن تكون مفيدة له بأي حال، فبينما كان مدرسو مدرسة بارك الجديدة بمدينة ميرسيلين يركزون على دروس الحساب ودروس الهجاء كان والت ينهمك في خط رسوم لحيوانات المزرعة. والأثر الوحيد الذي تركه في المدرسة الحروف الأولى من اسمه محفورة على الطاولة التي كان يجلس عليها، تلك الطاولة معروضة الآن خلف جدار زجاجي في مدرسة والت ديزني بمدينة ميرسيلين.

إلياس

بعد أن بلغ والت مرحلة الشباب أصبح يستمتع كثيرًا بحكاية معارك طفولته وصباه مع إلياس.. كان والت يحب أن يحكي تلك القصص بتميز خاص.. وما الذي يمكن أن يكون أكثر إثارة من حكايات "العلق الساخنة" التي تعرض لها وهو صبي؟!

في حقيقة الأمر كان والت يخشى إلياس، إلا أنه في جوانب كثيرة كان يشعر بالندية تجاه والده.. كان كلاهما ممن يميل إلى إتقان ما يفعل، وكلاهما كان سريع الغضب وعنيدًا وفخورًا بذاته، ولم يخش أي منهما أي تحد يواجهه ولم يهتز أي منهما بفشل مر به! كان تشدد إلياس وسعيه إلى النجاح يجعله دائم النشاط طوال حياته؛ ففي الوقت الذي كان فيه أغلب الأمريكيين لا يبتعدون أكثر من مائة ميل عن مسقط رءوسهم نجد أن الأعمال المختلفة التي اشتغل بها إلياس أخذته إلى كانساس وكلورادو وفلوريدا وإلينوي وميسوري. في تلك المسيرة الطويلة عمل نجارًا في خطوط السكك الحديدية، وعمل كرجل بريد وشراء وبيع حدائق البرتغال، وعمل محررًا لعقود المنازل في شيكاغو.. كان إلياس من أولئك الذين يهتمون بمسئولياتهم ويميلون إلى أن يكونوا اجتماعيين.

نادرًا ما تعاطى إلياس الخمور، ولم يدخن التبغ في حياته.. كان يكره التراخي وإضاعة الوقت أو الإسراف في أي شيء، وكان لا يتسامح أبدًا مع المتعامل بغير أمانة.

حينما كان يجد أن أحد أولاده قد اقترف خطئًا ما كان وجهه يحمر ويبرز فكه الأسفل مكتسبًا ملامح الغضب الشديد، ويتحدث في سرعة عن جده الأسكتلندي العظيم وأرض جوش في لهجة تبدو كاللهجات القديمة على مسامع أبنائه، إلا أن الرسالة تصبح واضحة فهناك وسيلة واحدة صحيحة لفعل أي شيء: هي وسيلته.

كان أصغر أبنائه الثلاثة يجد متنفسًا من طلباته وأوامره التي لا تنتهي حين يكونون في أشهر العام الدراسي، إلا أن الكبيرين: هربرت وريموند كانا يعملان معه من مطلع الفجر حتى الغسق، وكان ذلك بالنسبة لهما مجهودًا شاقًا خاصة أنهما لم يتقبلا أبدًا العمل كعمال مزارع!

كان الجيران يطلقون عليهم مدللي المدينة؛ حيث كانوا يتجولون في شارع المدينة الرئيسي وهم يرتدون حللهم الزرقاء وقبعاتهم صلبة الحواف، ولم تكن المزرعة تعني لهم إلا عملاً يقسم الظهور.

ولم يعن ذلك إلياس بأي شكل، ولم يدفع لأبنائه أي مقابل لإيمانه أن عمل العائلة معًا إنما هو لصالح الجميع.. وحين كانوا يعملون في مزارع أخرى للحصول على بعض المال

كان إلياس يصر على أن يدفعوا ما يحصلون عليه لسداد ديون الأسرة؛ وكان ذلك بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير.

فذات صباح من عام ١٩٠٨ اتجه هربرت سرًا إلى المدينة وسحب كل المال الذي ادخره هو وشقيقه ريموند، وفي المساء تظاهرا بأنهما مجهدان وذهبا للنوم مكبرين، ثم جمعا ملابسهما وتسللا من النافذة وهربا إلى المدينة، ولحقا بقطار التاسعة والنصف مساءً المتوجه إلى مدينة شيكاغو.

ومع هروب الابنين الكبيرين وافتراقهما عن الأسرة إلى الأبد تضاءل أمل إلياس في استثمار المزرعة، فحاول على مدى عامين بعد ذلك وليس معه إلا روي كعامل زراعة، وفي خريف عام ١٩١٠ وجه المرض ضربته الأخيرة لكل خططه بشأن المزرعة؛ إذ أصابه صداع مستمر، وعانى من آلام مبرحة بالحلق وكأن به خناجر محماة، وفي آخر المطاف شخص الطبيب مرضه بأنه حمى التيفود. أصاب فلورا أم والت فزع شديد، فقد كانت حمى التيفود تقضي على عشرات الآلاف من الأمريكيين كل عام. وبالرغم من أنه كان من الممكن أن يتلقى علاجًا أفضل في شيكاغو، إلا أنه بقي في ميرميلين ولم يتيسر له من العلاج إلا غمره في الماء البارد لمقاومة درجة الحرارة المرتفعة التي تجتاح بدنه، لم يكن والت وروث يعرفان ما يكفي عن ذلك المرض لذا لم يشعرا بأي خوف، وحين كانت فلورا تدفع إلى شفتيه الجافتين من الحمى رقائق شرائح البرتقال كان الطفلان ينظران إليه بحسد. وتتذكر روث ذلك اليوم الذي انقضى عليه ثمانون عامًا قائلة: "بدت شرائح البرتقال رائعة في نظري في ذلك الوقت، وتمنيت في داخلي أن أمرض حتى أحصل أنا أيضًا على بعض منها!".

كان العلاج في كل مكان في ذلك الوقت لا يختلف كثيرًا عنه في العصور الوسطى المظلمة: فقد عرف العلماء بالكاد أن البكتريا تسبب الأمراض مثل حمى التيفود وبالكاد أيضًا عرفوا أن الجراحين لابد أن يغسلوا أيديهم بين جراحة وأخرى وكان ذلك يعد فتحًا جديدًا ومثيرًا.

كان الأطباء ينتقلون من فراش إلى فراش يتحسسون ألسنة المرضى في محاولة لفهم نوع علتهم؛ ولذلك إذا كان المريض على أول سرير مصابًا بحمى التيفود، ينتقل المرض عن طريق الأطباء الذين يتحسسون ألسنتهم إلى كل المرضى الآخرين في المستشفى.

عانى إلياس تحت وطأة الحمى من كوابيس لا تنتهي، وبعد أسابيع من مكافحة الحمى أصيب بالتهاب رئوي، وبذلك حسم الأمر، فحتى لو شفي إلياس –وكانت فلورا تؤمن أن الله سيشفيه– فإنه لن يتمكن من العمل بالزراعة بعد ذلك.

وبعد أن شفي إلياس وتمكن من الوقوف على قدميه، قرر هو وفلورا أن يبيعا المزرعة وينتقلا للمعيشة في مدينة كانساس، وأرسلا "روي" و"والت" للصق إعلانات عن موعد بيع المزرعة في كل المدن الصغيرة المحيطة بمنطقة المزرعة عن طريق المزاد العلني بكل محتوياتها، وقام الشقيقان برحلات شاقة لتسليم بعض المحتويات التي باعتها الأسرة لمن أراد شراءها؛ كانت فلورا تقوم بتسخين قوالب الطوب في الفرن وتضعها في العربة التي يجرها جواد ليتدفأ بحرارتها "روي" و"والت". وبعد بيع المزرعة بمبلغ ٥١٧٥ دولارًا، قاما باستئجار منزل في مدينة ميرسيلين لمدة ستة أشهر حتى ينتهي ابناهما من إكمال عامهم الدراسي.

كان والت سعيدًا وهو ينتظر انتقالهم إلى مكان آخر، فبقدر ما أحب ميرسيلين، إلا أن الانتقال كان يعني له مغامرة جديدة، وخبرات جديدة ومزيدًا من الإثارة بعد أن جرب كل ما يمكن أن تقدمه له مدينة صغيرة مثل ميرسيلين.

لم يدر بخلده أبدًا أن حياته القادمة قد تدفعه إلى الحلم بأيام المزرعة التي باعوها، وبالأيام التي كان يجري فيها في أرجائها حافي القدمين ومتحررًا من كل قيد، كملك في بساتين التفاح؛ تلك الأيام انقضت وولّت إلى الأبد.

مدينة كانساس

وبمجرد أن انتقلت الأسرة إلى مدينة كانساس في صيف عام ١٩١١، استثمر والد والت ثمن المزرعة في الحصول على الحق في توزيع الصحف على ألفي عميل، وبطبيعة الحال اعتمد على ولديه (والت) و(روي) في معاونته في إيصال الصحف إلى المشتركين.

في الثالثة والنصف صباحًا، في الوقت الذي تكون فيه النجوم ما زالت تتلألأ في صفحة السماء، يخرج والت من دفء فراشه وأحلامه ويبدأ في توزيع كومة الصحف التي تقسم الظهر وتستغرق منه ساعتين في كل مرة ومثلها بعد الظهر لتوزيع الصحف المسائية.

وفي قيظ حر الصيف في ذلك العصر الذي لم تكن فيه مكيفات حرارة الجو قد اخترعت بعد؛ كانت كل نوافذ البيوت تترك مفتوحة، وفي الصباح الباكر يبدأ والت في دفع العربة اليدوية ذات العجلات المعدنية على خرسانة الممر المؤدي إلى الطريق، ويطل الجيران المتضررون من صوت عجلات العربة المزرعة ويتذمرون من الضوضاء التي يحدثها والت ويرد عليهم والت قائلاً إن عليهم أن يهتموا بأمورهم فقط! هو أيضًا لم يكن يحب ذلك ولم يكن يرغبه بنفس قدر عدم رضائهم.

ذهبت أيام المزرعة بخنازيرها وخيلها ونعيق البوم والقبرات التي تملأ مدينة مارسلين، ذهبت أيام أشجار الصفصاف وماء البحيرات البارد، كان منزلهم رقم ٢٧٠٦ في شارع ٣١ من شرق مدينة كانساس يكاد يكون ملاصقًا لبيوت الجيران من كلا الجانبين وكان فناؤه الخلفي لا يزيد عن مساحة محدودة صغيرة تغطيها الحشائش، أما واجهة المنزل فكانت قريبة جدًا من الشارع حتى إنهم كانوا يضطرون إلى إسدال الستائر حتى لا يراهم السائرون في الطريق.. كان والت يختلس بعض لحظات المرح كلما وجد إلى ذلك سبيلاً؛ وكان المسار الذي يسلكه لتوزيع الصحف يمر عبر أحياء أرقى من الحي الذي يقطنه. في الصباح الباكر كان يلعب باللعب التي يتركها أولاد الأثرياء في تلك الأحياء في الشرفات الأمامية لبيوتهم؛ من سيارات صغيرة وطائرات وألعاب من مكعبات الصور. وبعد أن ينتهي يعيد كل لعبة إلى مكانها الذي وجدها فيه حتى لا يعرف أحد أنه لعب بها.

ومثل شقيقيه الكبيرين لم يكن والت يتقاضى أجرًا من أبيه مقابل عمله! كان أبوه إلياس يرى أنه يوفر له ضرورات الحياة، وليس هناك مبررًا لإنفاق المال فيما لا فائدة منه على توافه الأشياء، وكانت توافه الأشياء تلك هي ما يتوق له والت! كان يتمنى أن تتوفر له بعض السنتات القليلة ليشتري حلوى القرفة، أو عصير ليمون، أو حلوى الكراميل من متجر الحلوى،

أو بعض البنسات ليشاهد فيلمًا في دار عرض الأفلام، أو يشتري بعض العصائر من محل بيع العصائر.

وقام ببذل مجهود إضافي لتوفير القليل من المال يحقق به رغباته؛ فعمل صبيًّا في متجر أدوية لتوصيل الأدوية للمنازل، وعمل لبعض الوقت في محل بيع الحلوى، وقام ببيع شراب الصودا على طاولة أمام بيته بالاشتراك مع صبي آخر.. كان المستثمران الصغيران يشتريان زجاجة الصودا بسنتين ويبيعانها للمارة أو أصحاب السيارات العابرة بخمسة سنتات للزجاجة، ثم حلت بعض الأيام المتتالية شديدة الحرارة، فقام الصبيان بشرب كل ما معهما من زجاجات الصودا حتى أفلسا!

كان أعظم أمل لـ (والت) للحصول على دخل ثابت هو أن يبيع الصحف لقائدي السيارات في السادسة والنصف صباحًا، بعد أن ينهي مساره اليومي في توزيع الصحف على المشتركين بالمنازل، وطلب من أبيه أن يعطيه خمسين صحيفة إضافية ليبيعها لراكبي السيارات، وحين أصر إلياس على أن توضع أرباح ذلك البيع الإضافي في البنك اضطر والت إلى الاتفاق سرًّا مع موزع آخر للحصول على خمسين صحيفة إضافية ليحصل على ربحها دون علم أبيه.

وفيما بين توزيع الصحف الصباحية والمسائية كان والت يذهب إلى مدرسة بنتون.. كان عليه هو وأخته روث أن يعيدا الصف الدراسي الثاني لضعف مستواهما التعليمي، ولم يشكل ذلك أي فارق لدى روث؛ فحين كانت في ميرسيلين التحقت بالمدرسة سابقة أقرانها من نفس عمرها، وبذلك أصبحت مع والت الأكبر منها في الصف الدراسي نفسه! وحين أجبرتها المدرسة على إعادة الصف أصبحت مع نفس فئتها العمرية. أما والت فكان أكبر بعامين عن أقرانه في الصف الدراسي. وحتى تزداد الأمور سوءًا كانت والت يستسلم للنعاس أثناء وقت الدراسة! ولما رتب أحد المدرسين أماكن جلوس التلاميذ طبقًا لحسن أدائهم وجد والت نفسه وقد أصبح جالسًا قرب الباب الخلفي لقاعة الدرس؛ ثاني أغبى التلاميذ.

وبعدم انتظام والت في الدراسة، وفي ظل مدرسين ينقصهم الصبر، وطلبات الأب في العمل الشاق كان من الممكن أن يصبح والت متمردًا ومحبطًا إلا أنه لم يشعر أبدًا بالإشفاق على ذاته. وكانت فلورا ديزني هي التي تعينه على ذلك.

كانت فلورا أم والت سيدة طويلة، نائتة عظام الخدين، وعينين بنيتين.. كانت فلورا هي قلب أسرة ديزني النابض ولو كان والت قد تميز بلمسة من السحر فإن أمه هي التي وجهت تلك اللمسة إلى وجهتها. كانت فلورا تشجع الأسرة على نيل بعض البهجة وألا يأخذوا كل الأمور بجدية مطلقة.

وقال روي في إحدى المناسبات: "كانت أمي تسري عن أبي حين يكون مهمومًا ولا تدعه حتى يندمج من جديد في الحياة".

ذات يوم عاد والت ومعه لعبة اسمها "رافعة الأطباق" كانت عبارة عن كرة مطاطية، تدفع الهواء إذا ضغطتها في أنبوب وتجعل الطبق في الطرف الآخر من طاولة الطعام يرتفع في الهواء، ثم يسقط وكأنه بفعل ساحر.. واقترحت فلورا على والت أن يفعلوا تلك الحيلة بطبق والده.

وقبل أن يجلسوا إلى طاولة الطعام، ضبط والت طرف الأنبوب تحت طبق والده وسلم الكرة المطاطية إلى أمه، وكلما هم أبوه بوضع ملعقته في الطبق لتناول الحساء يقفز الطبق من مكانه كأنه على ظهر ضفدع! ولم يدرك إلياس أنها لعبة.. ويتذكر والت ذلك اليوم قائلاً: "أوشكت أمي على الموت ضحكًا، فقد ظلت تنقل الطبق عن طريق ضغط الكرة سرًا حتى قال أبي في النهاية: "فلورا ماذا بك؟، لم أرك أبدًا على مثل هذا السخف..".

وكلما زادت الدهشة على وجه زوجها كلما استغرقت أكثر في الضحك! وأخيرًا، نهضت وذهبت إلى غرفتها لتستلقي من عناء الضحك، ولم يفهم إلياس نوع الخدعة التي دبروها له.

كانت فلورا مدرسة قبل زواجها بإلياس، وسعت إلى ربط الأسرة معًا، وكانت تحرص أن تكون علاقة زوجها بابنيها الكبيرين اللذين انفصلا عنهما علاقة طيبة خاصة أنهما كانا يعيشان في نفس المنطقة: كانت تحب أن تداعب كل الأقارب؛ أبناء وبنات أخواتها وإخوتها وكذلك أبناء وبنات العم الذين كانوا يزورونهم.. كلهم يتذكرون جميعًا أنها كانت سيدة خفيفة الظل ولا تبعث على الملل.

وتقول ابنتها روث عن ذلك: "كانت أمي إذا وجدت طفلاً يحيد عن الصواب توجهه إلى الوجهة الصحيحة دون أن تشعره بذلك".

وورث والت عن أبيه حبه لإتقان ما يعمله ونزعته لاقتحام أي جديد! وورث عن أمه المداعبة والميل إلى الضحك والفكاهة والميل إلى الأجواء المبهجة والمزاح.

كان هناك توازن جميل فيما أخذه والت عن أبويه؛ فأحدهما أورثه حب العمل، وأورثه الآخر الحس العالي بالدعابة والمرح.

مرح الهواة

بالرغم من أن أغلب مدرسي بنتون كانوا يعتقدون أن والت ولد غير متميز، إلا أنه أدهش الجميع وهو في الصف الخامس حين قدم عرضًا مضحكًا لإحياء ذكرى خطاب إبراهام لنكولن الذي ألقاه في جتسبرج.. ارتدى معطف والده القديم، ولحية صنعها في البيت، وصنع قبعة من الورق المقوى مثل تلك التي كان يضعها لنكولن، وقام بطلائها بورنيش أحذية أسود، بل إنه أضاف شامة على خده مثل تلك التي كانت لإبراهام لنكولن.

وأعجبت مدرسته أولمن جدًا بأدائه حتى إنها استدعت مدير المدرسة الذي طلب منه أن يؤدي هذا الدور في كل فصل. وفي الصف السادس طلبوا منه أن يؤدي دور إبراهام لنكولن كما فعل في العام السابق.. كان والت يقول بفخر: "كانت المدرسة أولمن تقول إنني سأصبح ممثلاً مرموقًا لأنني كنت أقوم بحول عيناي في مقاطع معينة من الخطاب!".

وأيقظ نجاحه في التمثيل أمام مجموعة كبيرة من الناس أشياء في نفسه لم يشعر بها من قبل.. اكتشف أنه يحب أن يكون محول انتباه الآخرين. كان صوت التصفيق يسكره ويبعث فيه نشوة.. ولحسن حظ والت انتقلت عائلته إلى بيت أرحب في ٣٠٢٨ بيلفونتين في مدينة كانساس، وبعد عدة بيوت من بيتهم الجديد كان يسكن ولد اسمه ولتر فيفر الذي أصبح صديق والت الحميم، وسرعان ما أصبح بيت ولتر فيفر وكأنه بيت والت ديزني.. كانت أسرة فيفر أسرة مرحة تلتف حول البيانو ويغنون معًا وكان والت يتناول أغلب وجباته معهم حتى أن والت كان ينادي أم فيفر باسم "أمي فيفر".. جمع بين الصبيين حبهما لشارلي شابلن الذي كان بالكاد قد بدأ يشق طريقه إلى عالم الشهرة كممثل للأفلام الصامتة، وكلما وانتهما فرصة كانا يحضران الحفلات التي يقلد فيها المغنون آخر أشهر أغاني برلين، وكذلك راقصي الفوكس تروت الذين يقلدون إيرين وفيرنون كاسل المشهورين بتلك الرقصة، وممارسي الحيل الذين يفكون قيودهم ويخرجون من صناديق محكمة الإغلاق.

وسرعان ما راح الصبيان بتشجيع من السيدة فيفر يؤديان كل ما يمكن أن يتاح لهما من أدوار تمثيلية في المدرسة، ونظما عروضًا تمثيلية تحمل اسم "مرح في أستوديو التصوير". وكان والت يتظاهر بأنه يلتقط صورًا لزملائه بكاميرا وحين يقفون للتصوير تبدأ الكاميرا في رش الماء على وجوههم وحين يسحب ورقة الصورة من الكاميرا يتضح أنه قد كان رسم عليها أشكالاً هزلية من قبل.

وقاما بأداء عروض فكاهية كان منها (هانز ومايك)، (بات ومايك) الثنائي (والت شارلي شابلن والكونت) (شارلي شابلن والبقرة)، وأراد الصبيان أن يجربا عروضهما في

مسابقة الهواة التي تجري ليلاً في المسارح المحلية، إلا أنه كان موقناً أن تلك الأشياء لم تكن لتنال رضا والده فكيف له أن ينال موافقته وهو غير راضٍ عن ابنه الذي ينتابه النعاس أثناء الدراسة.

لم يرد والت أن يغامر بسماع رفض والده؛ لذلك لم يطلب منه الإذن بذلك، وقال والتر فيفر عن ذلك: "كنت أتسلل إلى الفناء الخلفي وأقوم بتهريب والت عبر النافذة، وحين ننتهي كنت أعيده أيضًا عبر النافذة ثم أرجع إلى بيتي".

وفي الحقيقة كان إلياس وفلورا يعرفان عن نشاط والت التمثيلي أكثر مما كان يظن. وتتذكر روث تلك الأيام قائلة: "ذات مرة علم روي أن والت سيقوم بأداء تمثيلي في مسابقة هواة على أحد المسارح وذهبنا جميعًا إلى ذلك المسرح.. وبالفعل قلد والت شارلي شابلن تقليدًا متقنًا إلا أنه لم يفز بجائزة عن ذلك الدور؟!" وفي مناسبة أخرى رأت أسرة والت ابنها يمثل عن طريق المصادفة البحتة.. وتحكي روث ما حدث قائلة: "ذهبنا ذات مرة إلى مسابقة لتمثيل الهواة وتقدم رجل على المسرح وقال إنه سيقذف بعض المقاعد بساقيه في الهواء وعلى أحدها يجلس صبي دون أن يسقط، ثم دخل إلى عمق المسرح وعاد بالمقاعد والصبي، وكان هذا الصبي هو والت، وكانت مفاجأة مدهشة للأسرة، وقالت أمه إن لونه شحب حتى صار كالشبح، وهو فوق ثلاثة أو أربعة مقاعد يرفعها الرجل".

ولفترة من الزمن بدا أن والت يسعى أن يكون ممثلاً أو مؤديًا فكاهيًا حين يكبر إلا أنه بقدر ما أحب الأداء التمثيلي كان لديه ميل غير عادي للرسم أيضًا: كانت رسومات الفئران تزين هوامش كل كتبه ودفاتره، وكان زملاء دراسته يعجبون بتلك الرسومات التي يرسمها لماجي وجيجز وهي شخصيات فكاهية كانت مشهورة في ذلك الوقت، وقال زميله في الدراسة وليم براون عن ذلك: "كان يرسم تلك الشخصيات الكرتونية بنفس الدقة التي يرسمها بها جورج ماكانام الذي ابتدعها، ولم يكن حتى ينقلها عن الصحف، بل كان يرسمها من ذاكرته وبموافقة والده.. بدأ والت في الذهاب إلى معهد كانساس للفنون لتلقي دروس في الرسم كل يوم أحد.

ومن بين كل مدرسي مدرسة بنتون الذين أجمعوا على قلة اهتمام والت بالدراسة، خاصة دروس القراءة والحساب اهتمت به مدرسة واحدة؛ كانت ترى أن هناك موهبة ما لدى والت وشجعته بكل وسيلة وهي السيدة ديزي بيك وكانت مدرسة أنيقة في أواخر الثلاثينيات من عمرها، وكانت مدرسة فصل والت حين كان بالصف السابع تدرس الحساب وتشرف على المهارات الرياضية والبدنية.

وذكر كثير من تلامذتها السابقون أنها كانت لديها موهبة إخراج أفضل ما في التلاميذ إلى حيز الوجود؛ أحد أحفاد إخوتها وصفها بأنها كانت تتعامل مع الناس (بقبول شديد للآخر) وكان ذلك ما يحتاجه والت تمامًا؛ إذ كان حين يدخل إلى الفصل تدرك أنه متعب وتعطيه فرصة حتى يستريح.

وبالرغم من أنه لم يكن رياضيًا إلا أنها كانت تحثه بطريقتها الخاصة أن يساهم في ذلك النشاط الرياضي: "هيا جرب أن تقفز وتريني ما يمكنك عمله".. وتعلم والت القفز حتى حصل على قلادة في إحدى المسابقات الرياضية.

كانت متمكنة من الحث بالإيحاء.. كانت تقول إن والت لديه عقل عظيم! إلا أنه يحب التمثيل الفكاهي والرسم، وبلطف ورقة منها جعلته يهتم بدروسه، وكانت تقول له: "لا بد أن تحصل على بعض المعارف في عقلك، بإمكانك أن ترسم كما تشاء بعد أن تنهي واجبك المنزلي في الحساب".

وفي الساعة الثالثة من بعد ظهر يوم الجمعة وهو آخر أيام الأسبوع الدرامي؛ كانت المدرسة بيك تدعو والت أن يرسم على السبورة، فكان يرسم شخصيات كرتونية، ويحكي القصص التي تشد انتباه زملاء الدراسة، وبقطعة طباشير في يده وعيون التلاميذ مركزة عليه؛ كان يبدو كرسام وممثل في آنٍ واحد وحصل على أعلى الدرجات في الرسم.

وحين حان أوان التخرج من المدرسة في يونيو عام ١٩١٧، ابتهجت المدرسة ديزي لأن والت قد اجتاز الامتحانات بنجاح.. وكان من الشائع في تلك الأيام أن يهجر الأولاد الدراسة قبل أن يكملوا الصف السابع، ومر يوم التخرج على أفضل ما يمكن.

وأدهش والت أبويه في حفل التخرج؛ حيث ألقى الكلمة الموجهة للآباء. أما روث، فبصفتها أصغر الخريجات سنًا؛ فقد كانت المسئولة عن إجراءات وفقرات حفل التخرج.

وحتى نهاية الاحتفال ظل والت وولد آخر يدعى ويلي مشغولين برسم الصور في كتب زملائهما.

كانت بعض الفتيات ينظرن إلى ويلي كفتى أحلام ويعتقدن أنه يرسم أفضل من والت، وأثبت ذلك أن الفتيات في تلك السن بعيدات تمامًا عن الحكم الصحيح؛ فقد انتهى الأمر بـ "ويلي" بأن عمل قارئًا لعدادات غاز المنازل!!.

الحرب من أجل الاستقلال

أصبح والت حرًا: فبعد ستة أعوام أوشكت رحلته اليومية الشاقة في توزيع الصحف على الانتهاء. كان إلياس قد نمى هذا العمل وأصبح صاحب امتياز توزيع ثلاثة آلاف نسخة يوميًا وعلى مدى سنوات، وكان يستثمر أمواله في شركة أوزيل، وكانت شركة صاعدة لصناعة الجيلي في شيكاغو، وحين علم أن الشركة على وشك إنتاج مشروب منافس للكوكاكولا فكر في بيع امتياز توزيع الصحف الذي يصل بالمبلغ المستثمر إلى ١٦٠٠٠ دولار.

وبمثل هذا المبلغ المستثمر في شركة أوزيل أحس إلياس أنه لا بد له أن يتابع استثماره عن قرب، وانتقل من جديد إلى شيكاغو وأصبح رئيسًا مسئولاً عن أعمال التشييد والصيانة لشركة أوزيل، وذهبت معه زوجته فلورا وابنته روث، وكانت دروس قواعد اللغة التي يتلقاها والت قد انتهت.. ومكث والت المجهد في كانساس لقضاء الصيف. وسكن في بيتهم في بيلفونين مع شقيقه الأكبر هربرت وزوجته وابنتهما البالغة من العمر عامين وشقيقه الأكبر منه مباشرة روي.

كان روي يعتني بشقيقه الأصغر والت. كان على دراية بـ "والت" أكثر من أي فرد آخر بالرغم من أنهما كانا مختلفين تمامًا. كان روي قد وجد نفسه في موضع المسئولية من أعوام حياته المبكرة، منذ أن مرض أبوه إلياس وهو في المزرعة، ولم يفقد روي أبدًا إحساسه بالمسئولية كابن وشقيق حتى أصبح أبًا ورجل أعمال.

كان روي ذكيًا ومجتهدًا في دراسته، وله ميل خاص إلى الحساب. ولم يدهش أحدًا استمراره في عمل واحد، فقد بدأ حياته العملية بالعمل لدى البنك القومي لمدينة كانساس، وظل يعمل له طول حياته، وراح يتدرج في سلم البنك الوظيفي بنجاح.

وعلى عكسه كان والت الذي كان يرى الأمور بطريقة أبسط. كان رسامًا موهوبًا وممثلاً ذا عزيمة وإرادة إلا أن أسرته لم يكن لديها أي فكرة عما يمكن أن يؤول إليه مستقبله العلمي.

وبطاقته الهائلة اندمج والت في أنشطة متعددة تفوق أنشطة إخوته مجتمعين، وكان يجهد نفسه أكثر من أي إنسان آخر عرفه روي إلا أنه كان مهملاً في جوانب أخرى إهمالاً شنيعًا.

لم يكن والت يرى أي غضاضة في استعارة ملابس شقيقه روي ثم يعيدها معتقدًا أن روي لا يعرف ذلك.. وذات مرة راح روي يبحث عن إحدى ربطات العنق لمدى أسبوع دون

أن يعثر عليها ولما وجدها بعد ذلك اكتشف أن عليها بقعة كبيرة من صلصة الطماطم في منتصفها تمامًا.

كان والت في أغلب الأوقات يطلب أموالاً من أخيه روي.. وبالرغم من أنه كان يجهد نفسه في أعمال كثيرة إلا أنه لم يكن لديه إحساس كبير بقيمة المال.

ولما كان إلياس وفلورا في ذلك الصيف يبعدان عنهما مئات الأميال قرر روى أن يعلم شقيقه الذي هو بمثابة ابنه درسًا هامًا في الإحساس بالمسئولية وتحملها. قال له إنه من المهم جدًا لوالت أن يقضي ذلك الصيف في بيع الصحف والحلوى والفاكهة والمرطبات في خطوط قطارات "سانتا في"، وقام بدفع الضمان المطلوب للسكك الحديدية وكان خمسة عشر دولارًا.

كان والت أصغر عامًا من السن المشترط لمزاولة تلك المهنة؛ لذلك لجأ والت الذي كان في الخامسة عشر من عمرة في ذلك الوقت إلى الكذب بشأن عمره، وسيفعل نفس الشيء في مناسبات أخرى قابلته بعد ذلك.

كان يمضي في القطارات عارضًا ما يبيع على المسافرين مرتديًا الزي الأزرق المميز وشارة معلقة على صدره وأزرارًا نحاسية لامعة تهبه صفة رسمية في القطارات.

أعجبته كبائن القطارات ذات المقاعد المخملية، والقطار السريع الذي لا يقف في المحطات المحلية، وأعجبه الريف بمزارعه الشاسعة والقطار يمرق بين وديانه. كان أهم ما تمثله له تلك المهنة أنها أتاحت له الفرصة لرؤية أماكن جديدة.

كانت تلك المهنة مسلية جدًا لوالت حتى إنه لم يحقق منها أي ربح! وبسبب عدم اهتمامه وقلة تركيزه كان الموردون للفاكهة يعطونه فاكهة على وشك العطب.. وأثناء الرحلة يتجمع عليها الذباب فيضطر إلى التخلص منها. وفي ذات مرة ترك صندوق المرطبات في إحدى عربات قطار، ثم فصلت العربة بعد ذلك، وألحقت بقطار آخر رحل دون أن يعرف والت وجهته، وبه صندوق المرطبات وفي مرات عديدة كان ينسى أن يؤمن مخزونه السلعي فيعود ويجد أن الحلوى قد سرقت.

وحين وصل فصل الصيف إلى نهايته، وكان على والت أن يذهب إلى شيكاغو ليعيش مع أبويه؛ لم تقبل شركة القطارات أن تعيد التأمين الذي دفعه روي بسبب الخسائر التي سببها والت.

لم يهم ذلك الأمر والت فقد كان لا مباليًا.. كانت تلك المهنة تمثل له هدية من السماء فقد عرف معها طعم الحرية.

وضايقه أن يعود إلى البيت والدراسة من جديد، وبدت الحياة مع أبويه مملة وبلا طعم. وفي خريف عام ١٩١٧ وعلى مدى خمسة أشهر انشغلت أمريكا بأجمعها بأمر "الحرب التي ستنهي كل الحروب"، وهي الحرب التي عرفت فيما بعد باسم الحرب العالمية الأولى.

لم يهم والت من كل ذلك إلا "إنقاذ العالم الحر الديمقراطي".. والتحق شقيقه روي بالبحرية وبدا رائعًا وهو مرتدٍ زيها المميز.. كان عمر والت خمسة عشر عامًا وكان أصغر من السن المشروطة للتطوع، إلا أنه وهو يودع شقيقه في محطة القطار ناداه أحد الموظفين معتقدًا أنه جاء للتطوع. من تلك اللحظة لم يكف عن توقه للاشتراك في المعارك الدائرة وفي مثل ذلك الوقت ومثل تلك الظروف من يتوقع أن يهتم بأي قدر بالمدرسة الثانوية التي التحق بها؟ بدت دروس اللغة ووظائف الأعضاء والجمد بلا قيمة على الإطلاق في الوقت الذي ينهمك فيه العالم بأجمعه في حرب طاحنة بين معسكري الخير والشر.

كل مصانع الأحذية وجهت نشاطها إلى صنع الأحذية العسكرية، واستولت الحكومة الفيدرالية على خطوط السكك الحديدية وخطوط البرق للاستخدام الحربي، وتبرعت الأسر بمئات الأطنان من صناديق الفاكهة الفارغة التي كانت تحرق لتستخدم في صناعة الأقنعة الواقية من الغازات السامة.

وتحمس الأمريكيون للامتناع عن استهلاك الخبز يومي الاثنين والأربعاء والامتناع عن تناول اللحوم يوم الثلاثاء، ولحم الخنزير يومي الخميسي والسبت لتوفير الطعام للجنود، ولم يكن أي شيء يشكل صعوبة طالما أن الأمر يتعلق بهزيمة القائد الألماني "قيصر ويلهلم" وقواته.

وانتشرت مخاوف هستيرية من وجود جواسيس للألمان وكل ما يتعلق بألمانيا حتى إن إحدى المجلات كانت تعلن أن "عملاء ألمانيا في كل مكان ويسعون إلى جمع المعلومات عن رجالنا وأسطولنا الحربي وأسلحتنا، وأشارت المجلة إلى أن الأمريكيين لا بد أن يتمنعوا بعد ذلك عن استعمال أي مسمى يحتوي على اسم ألمانيا أو إحدى مدنها مثل الحمى الألمانية والهامبرجر، أو السور كروت، وتحولت تلك الأسماء إلى "حمى الحرية"، و"كرنب الحرية".

ولما كان والت ملتحقًا في ذلك الوقت بالمدرسة الثانوية؛ فقد وجد عزاءه في مكتب مجلة "الصوت" التي تصدرها المدرسة، وقضى أغلب وقته في رسم الصور الكاريكاتورية للمجلة. إحدى تلك الرسومات صورت فتى بدينًا يقول: "أنا بدين ولا يمكن أن أقاتل"، فيرد عليه آخر: "توقف عن الأكل بنهم حتى توفر بعض الطعام للفتية الذين يحاربون"، ورسم آخر يصور تسعة رجال أمريكيين بأربطة عنق وبزات كاملة يحيطون بجثة قيصر ألمانيا وسيفه

مكسور إلى جواره وتعليقات تقول: "عاون العم سام على كسب الحرب أو في أجازة صيفك اعمل أو حارب".

كان والت يحضر ثلاث دروس مسائية كل أسبوع في معهد شيكاغو للفنون؛ حيث يتلقى دروسًا في التشريح والرسم على أيدي رسامين يعملون في صحف "شيكاغو ريكورد" و"شيكاغو ديلي تريبيون".. كان أحد مدرسيه في المعهد يقوم برسم كاريكاتير في جريدة التريبيون وهو الرسام ك. س. أور.. وقام والت على منواله برسم ممائل في جريدة المدرسة "الصوت"، وأطلق على ذلك الركن الذي يرسمه "الصوت الصغير".

وأثناء العام الدراسي عمل والت أيضًا في شركة "أوزيل" في غسل الزجاجات الفارغة، وعمل على ماكينة هرس التفاح. وكان تنشقه لروائح الچيلي الذي يصنعه المصنع يجعل من الوقت الذي يعمل فيه وقتًا غير سعيد بأي حال. وحين قارب الصيف على الانتهاء عمل بمكتب البريد، وكذب مرة أخرى في ذكر عمره حتى يحصل على الوظيفة. كان يستمع وهو يصنف الرسائل في مكتب البريد إلى قرع الطبول لفرق تدور في الشوارع وهي تغني: "تعالوا أيها المتهربون من أداء الواجب، التحقوا بالجيش، نحن نتحداكم".

كان والت مستغرقًا في الإثارة والعظمة المصاحبة لذلك الجو. كانت مسألة الرجال الذين يعلون بأنفسهم فوق الحياة والموت من أجل الحق والخير تنأى به بعيدًا عن التفكير الواقعي في الموت والدمار.

وحدث ذات مرة أنه ذاق طعم عنف الحرب في شيكاغو نفسها.. فذات يوم حين كان يهم بمغادرة مكتب البريد هز انفجار عنيف المبنى كله، وهدم بعض جوانبه، وتطاير الزجاج المهشم في كل مكان، فمات أربعة رجال وجرح آخرين، كان أحد من ماتوا رجل بريد يعمل على بعد بضعة مكاتب من مكان والت، وذكرت الصحف في اليوم التالي أن كل عظمة بجسده قد تهشمت من قوة الانفجار، وأنهم لفوا جسده في قماش سميك حتى يظل متماسكًا وهزه ذلك الحدث بشدة، فقد كان متواجدًا في نفس موقع الانفجار قبل حدوثه بثلاث دقائق.

ومال الصحفيون في تغطيتهم الصحفية الهيستيرية للحادث إلى نسبته إلى جهة من جهتين، إما أنهم عملاء ألمانيا الذين يسعون إلى إرهاب شيكاغو، أو أنهم من "اتحاد العمال العالمي" وهي جماعة راديكالية تحيط بها الشكوك في تقاضيها أموالاً من الألمان لتقويض الأمريكان.

حاول والت أن يقيد اسمه في قوائم المتطوعين وحاول أن يلتحق بالجيش وحاول الالتحاق بالبحرية ومشاة البحرية، ولم يقبله أي منهم لأنه كان ما زال في السادسة عشرة من

عمره، ثم أخبره صديق له عن التطوع في فرق إنقاذ الصليب الأحمر، وهو عمل تطوعي لا يتشدد كثيرًا في مسألة العمر مثل قوات الجيش.

لم يبق أمامه إلا مشكلتان هما فلورا وإلياس. كان والت يحتاج إلى جواز سفر مما يعني أنه محتاج إلى توقيع أحد والديه بالموافقة، ورفض إلياس بعناد، إلا أن فلورا رضخت في النهاية ووقعت عن زوجها وعن نفسها. وبعد ذلك كانت ما زالت تواجه مشكلة أنه أصغر من السن المطلوب ببضعة أشهر، فقد كان السن المسموح به للتطوع في صفوف الصليب الأحمر هو سبعة عشر عامًا؛ لذلك تناول قلمًا أسود وغير تاريخ العام الذي ولد فيه وهو ١٩٠١ وجعله ١٩٠٠ وسرعان ما وجد نفسه بعد قبوله يعيش في خيمة بالقرب من جامعة شيكاغو ليتعلم كيف يصلح عربات الإسعاف في حال تعطلها وكيف يقود تلك السيارات.

وبعد ذلك حينما كان على وشك السفر إلى فرنسا لبدء عمله التطوعي أصيب بالأنفلونزا الإسبانية.. بدأ ذلك الوباء من منطقة عسكرية في كانساس في مارس عام ١٩١٨، وانتشر بسرعة إلى كل بلاد العالم، ومات بسبب ذلك الوباء ما يزيد على ٢٠ مليون نسمة، وهو ما يزيد عن ضعف من قتلوا في الحرب العالمية الأولى.

وحين عرض على والت بعد إصابته بالأنفلونزا أن يذهب إلى بيته وافق ونقلته سيارة إسعاف إلى منزله، حيث كان أبوه وأمه يرتعدان خوفًا عليه، وقد ماتت مدرسة روث المفضلة بسبب الوباء نفسه، وكذا كثير من الجيران والأصدقاء.

على مدى أسبوع ظل والت يرتجف من الحمى ويهذي، وكانت أمه تلازمه، وبعد ذلك لازمته شقيقته روث فانتقلت إليها العدوى فلزمت روث الفراش المجاور للموقد ولزم والت الفراش الذي في غرفة نوم أمه وأبيه وأصاب المرض فلورا أيضًا إلا أنها لم تتوقف عن العناية بـ "والت" و"روث" وبعد بضعة أسابيع شفي الثلاثة تمامًا.

وحين عاد والت إلى معسكر التدريب صدم حين علم أن زملاءه قد سافروا إلى فرنسا أثناء مرضه. والتحق والت بمجموعة أخرى كانت في طريقها إلى كونيكتكت؛ وهي آخر مرحلة قبل السفر إلى فرنسا.

أحد أفراد المجموعة الجديدة كان "راي كروك"، الذي أسس بعد ذلك شركة "ماكدونالد" العالمية المعروفة. ويتذكر راي كروك تلك الأيام قائلاً عن والت: "كان والت مثل البطة الشاردة، فكلما كانت تتاح له أثناء المعسكر فرصة يتوجه فيها إلى المدينة لمطاردة الفتيات كما كان يفعل كل رفاقه كان يظل بالمعسكر ليرسم".

ثم حدث ما لم يكن ليتخيله أحد ففي ١١ نوفمبر عام ١٩١٨ في الساعة الحادية عشر من اليوم الحادي عشر أُعلن عن انتهاء الحرب العالمية الأولى.

كان ذلك الإعلان بمثابة كارثة لشاب مثل والت.. قال والت عن ذلك: "كانت الاحتفالات تجري في كل أنحاء المدينة، إلا أن أصدقائي وجدوني وحدي في غرفتي أبكي، لقد انتهت الحرب دون أن تتاح لي فرصة المساهمة.. كنت كسير النفس بسبب ذلك".

ويتذكر والت ما حدث قائلاً: "كنا مجموعة من الخرقاء المذج، ولم نكن نعي ما الذي يعنيه توقف الحرب! كل ما كنا نعنيه أنه ضاع منا شيء ما"..

وحزم والت حقائبه استعدادًا للعودة إلى المنزل، وذهب للنوم وفي الثالثة صباحًا أيقظه صوت عالٍ يصيح: "فليستيقظ الجميع، اصحوا.. خمسون منكم سيذهبون إلى فرنسا".

قال والت: "كنت أعلم أنني لن أكون واحدًا منهم"، وأدار ظهره وراح في النوم من جديد.

ولم ينتبه من جديد إلا على رفاقه يوقظونه بعنف قائلين: "أنت أيها اللعين المحظوظ".. وجروه من الفراش وألقوا به على الأرض قائلين: "أنت ذاهب إلى فرنسا".

كان الصليب الأحمر ما زال بحاجة إلى رجال لنقل مصابي المعارك وأعمال الإغاثة، وحين نوديت أسماء من وقع عليهم الاختيار كان اسم والتر. إ. ديزني هو آخر اسم في القائمة وفي الصباح التالي وجد نفسه على ظهر سفينة في طريقه إلى فرنسا.

تحيا فرنسا

رحل والت إلى فرنسا على ظهر مركب لنقل الماشية اسمها "قوبان"، وكانت المرة الأولى التي يركب فيه البحر. كان فراشه المثبت إلى جدار السفينة صغيرًا، وزيه غير ملائم لمقاسات جسمه، وكان الرجال عن يمينه وعن يساره يعانون من دوار البحر ويتقيئون على الدوام.

لم يهتم والت بأي من ذلك فقد كان يتشوق لإثارة المجهول الذي هو ذاهب إليه، وسعيد بحريته واستغلاله اللذين طالما تاق إليهما.

وكان توقيعه أنه من الممكن أن يتمزق إلى آلاف المزق لو هوجمت السفينة في أي لحظة! يضيف إثارة خاصة لما كان يشعر به.. وكانت السفينة تحمل ذخائر ومتفجرات، وكان البحر مليئًا بالألغام البحرية.

ويتذكر والت تلك الرحلة قائلاً: "كنا ننام في تلك السفينة المليئة بالمتفجرات ومادة T. N. t وكان من الممكن أن تتفجر بنا السفينة في أي لحظة لو اصطدمت بأحد الألغام.. ولما وصلت السفينة إلى قرب الساحل صاحبتها كاسحة ألغام، وقامت بتفجير الألغام التي كانت تحت الماء.

في الرابع من ديسمبر، اليوم السابق على عيد ميلاد والت السابع عشر؛ رست السفينة في ميناء الهافر الفرنسي؛ حيث كانت أول مرة تقع فيها عينا والت على فرنسا.. وفي الحال واجهته هو ومن معه مشكلة؛ ففي المدن الموانئ كانت دورات المياه العامة بالفعل عامة؛ لأنها مباول مكشوفة في الشوارع!.

كان والت قد سمع أشياء مماثلة، إلا أنه كشاب مهذب من الغرب الأمريكي الأوسط لم يكن يليق به أن يفعل ذلك على الملأ.

وبانقضاء اليوم الأول في التعرف على ما يمكن التعرف عليه من أنحاء المدينة بدت بعد ذلك وسائل المعيشة أكثر قبولاً، وفي نهاية اليوم قال أحد زملاء والت: "لا يهمني أين أنا، الأهم أن نعمل"، وتبعه الجميع في قبول ما يجدون.

وفي آخر اليوم ركبت مجموعة الإسعاف الأمريكية القطار المتجه إلى مدينة "سانسير"، وهي مدينة صغيرة قريبة من "فرساي".

وكانت الغرف التي سكنوا بها هناك معتمة وباردة، فكان والت يلف جسمه بأوراق الصحف جلبًا للدفء حتى يتجنب تجمد أطرافه.

لم يكن لدى من يعد لهم وجبات الطعام أي خبرة بذلك؛ ولذلك كانت الوجبات المكونة من لحم الخنزير واللوبيا تبدو مفزعة، وظلوا يتناولونها ليلة بعد أخرى بلا أي تغيير.

وأصبحت الليلة الأولى في سانسير ليلة لا تنسى.. كان والت يتجول حول المعسكر حين التقى بالمصادفة بصديق قديم دعاه إلى تناول شراب في أحد المحال، وبمجرد أن دخلا المحل قام كل من كانوا فيه هاتفين: "عيد ميلاد سعيد يا ديز".. كان أحد الزملاء قد عرف أنه يوم عيد ميلاد والت، وبدا على الجميع الاهتمام بالاحتفال بتلك المناسبة، وشربوا نخب عيد ميلاد والت مرة أخرى.

ثم تلقى والت هديته: قسيمة حساب المشروبات؛ فقد انشق الليل وابتلع كل من احتفلوا بعيد ميلاده! واضطر والت إلى إفراغ كل ما في جيوبه من مال لسداد فاتورة الحساب!.

وبمجرد أن نقل والت إلى باريس؛ حيث كان يقوم بتوصيل المواد الطبية اللازمة وينقل المسعفين، وحين لم يكن هناك من يحتاجه في العمل؛ كان يجلس مع زملائه يلعبون البوكر ويدخنون، وهي المتعة الوحيدة المتاحة، حتى وقعت واقعة كانت ستطيح به نهائيًا من فرق الإسعاف بعد ذلك بشهرين!.

فقد كلف هو وزميل له بتسليم شحنة من اللوبيا الجافة والسكر إلى مدينة صغيرة تبعد ساعتين بالسيارة عن باريس، وتعطلت منهم الشاحنة بسبب عاصفة ثلجية على بعد ثلاثة أميال من المدينة التي يقصدونها.

وتذكر والت وزميله التعليمات التي تلقياها أثناء التدريب وهي: "لا تترك السيارة التي أنت مسئول عنها مهما كان السبب".. فقاما بدفع الشاحنة إلى مكان مجاور لعامل مزلقان السكة الحديد وعاد زميله إلى باريس ليطلب المعاونة، وبقي والت في مأوى عامل مزلقان السكة الحديد الذي كان يشعل نارًا للتدفئة.

وأشرك والت الرجل معه في غذائه من الخبز والجبن وقوالب الشيكولاتة، ومر يومان لم يذق فيهما والت النوم، وحل عامل مزلقان آخر محل العامل السابق. وأخيرًا ذهب والت إلى المدينة سيرًا ودخل أحد المطاعم، ثم سقط في نوم عميق لمدة ٢٤ ساعة متواصلة.

وحين استيقظ عاد مسرعًا إلى مكان الشاحنة، فلم يجدها ولما عاد إلى باريس علم أن زميله المهمل بمجرد أن وصل إلى باريس ذهب إلى إحدى الحانات وظل يشرب حتى فقد وعيه لمدة يومين قبل أن يتوجه ليبلغ عن تعطل الشاحنة.

وأبلغ الرؤساء الغاضبون والت أنه من الممكن أن يطرد بسبب ذلك الإهمال من صفوف الصليب الأحمر.

قال والت: "ضخموا المشكلة إلى أقصى حد" ولحسن الحظ وجد والت من بينهم من يدافع عنه لأنه عمل معه قبل ذلك، وقال ذلك الرجل مدافعًا عنه: "هذا الشاب ظل ليلتين بجوار الشاحنة فما الذي فعله زميله؟"

كان زميله محبوسًا في ذلك الوقت، وسمحوا لوالت بالعودة إلى الخدمة بعد أن تلقى تحذيرات قاسية.

بعد ذلك بأسابيع تم نقل والت مرة أخرى إلى مقصف بمدينة نانسي يقدم الشطائر والقهوة للجنود ويوفر لهم أماكن للراحة.

واشترى والت بعض المؤن وأخذ يصطحب من كانوا يعملون معه في إجازات بعيدًا عن المدينة، وفي وقت فراغه كان يرسم صورًا كاريكاتورية ويرسلها إلى المجلات بالولايات المتحدة، وتحقق له الرسوم التي يرسمها بعض الدخل من أصدقائه؛ فقد كان يزين ستراتهم برسوم نياشين مقلدة ويرسم لهم صورًا فكاهية ليرسلونها إلى صديقاتهم.. ولبعض الوقت دخل في مشروعات عملية بالاشتراك مع شاب من چورچيا.. كانوا يرسمون على الخوذات ما يشي بأنهم كانوا يخوضون معارك ضارية، وكان صديقه يبيعها إلى البنات اللائي يجمعن التذكارات، وكان يطلق الرصاص على الخوذات ليثقبها، ويلصق عليها بعض الشعر والدم لتبدو واقعية.

وبالقرب من نهاية إقامته التقى والت بـ "روسيل ماس" صديقه من شيكاغو الذي أخبره عن التطوع في الصليب الأحمر.. كان هو وروسيل يشتركان في حبهما للحيوانات واشتريا كلبين من كلاب الرعي الألمانية.

وحين كان روسيل عائدًا إلى الولايات المتحدة أعطاه والت ٧٥ دولارًا لينقل له كلبه معه مع نفقات التغذية.

وبعد حوالي عام قضاه في فرنسا اشتاق والت جدًّا للعودة إلى الولايات المتحدة ومن الأموال التي جمعها من الأعمال الفنية في الخوذات الحربية وألعاب القمار استطاع أن يجمع ٦٠٠ دولارًا ووضع هو وروسيل خططًا طموحة لإنفاق تلك الأموال.

خططا لشراء قارب قديم ليبحرا به إلى منابع المسيسيبي مع كلبيهما.

نجم مدينة كانساس

حين عاد والت من فرنسا في خريف عام ١٩١٩ فاجأه إلياس وهو مبتهج بأنباء سارة.. كان مئات الآلاف الذين عادوا من الحرب قد امتصوا كل فرص العمل الممكنة في سوق العمل. إلا أن إلياس حمل على عاتقه مهمة توفير فرصة عمل جيدة لابنه.

قال له أبوه: "رئيس شركة أوزيل لديه فرصة عمل جيدة لك تحقق دخلاً مقداره ٢٥ دولارًا في الأسبوع".

وبذلك النبأ الذي اعتقد أبوه أنه سار؛ لم يرغب والت أن يسمع أي أخبار أخرى أكثر سوءًا، إلا أنه كان هناك الكثير من الأنباء السيئة. كان صديقه الحميم روسيل ماس قد غير رأيه عن مشروع إبحارهما معًا في نهر المسيسيبي، وكان كلبه الألماني قد مات في رحلة العودة إلى أمريكا، وصديقة له كانت تكتب إليه بانتظام أثناء وجوده بفرنسا أخبرته أنها قد تزوجت.

قال لوالده الذي ظهر عليه الفزع: "لا أريد هذا النوع من الملل".

- ولماذا لا؟
- أحب أن أكون فنانًا.

لم يكن مرجع الأمر رفض إلياس للفن بل رفضه لغباء ابنه، فبقدر ما يعرف هو فإن التخلي عن وظيفة ثابتة ومضمونة ومحاولة كسب العيش بطريقة ليوناردو دافنشي يبدو حماقة لا مثيل لها!

إلا أن والت كان عنيدًا وخلال بضعة أسابيع كان قد عاد إلى مدينة كانساس في منزل الأسرة القديم في بلفونتين مع روي وهربرت، وراح يبحث بإصرار عن وظيفة في كانساس سيتي ستار فبعد فشله في تحقيق ذاته كرسام، عمل كعامل في مكتب، ثم سائق شاحنة، وتوجه والت إلى بنك كانساس حيث يعمل شقيقه روي ليتشاور معه.. ومن جديد يقوم الأخ الأكبر بدوره؛ فقد أرسل والت إلى أستوديو بسمن/ روبن للدعاية، بعد أن كان قد سمع عن شروع الأستوديو في عمل توسعات جديدة.

لم يكن والت يعرف أي شيء عن فنون الدعاية في الوقت الذي أراد فيه لويس بسمن أن يرى عينات من إنتاج والت من رسومات دعائية لشاحنات تستخدم في الترويج لدى المزارعين لأنواع الشاحنات الريفية، إلا أن والت قدم له مشاهد صورها لجوانب من باريس.. وحين عرض عليه بسمن أن يبذل محاولة أخرى نسي والت أن يسأله عن الأجر في الأسبوع الأول. كان يخشى القيام للحظات عن لوحة الرسم التي يعمل عليها، حتى لا يظن مستخدموه

الجدد أنه كسول، وفي يوم الجمعة، مر به أحد رؤسائه وقال له أنهم سيدفعون لـــه ٥٠ دولارًا في كل شهر وقال والت: "كدت أقبله في تلك اللحظة"، كنت أعتقد أنه أتـــى ليفـــصلني عـــن العمل".

وراح والت يقضي وقت العمل في رسم خيول وأبقار وأجولة أغذية الحيوانـــات فـــي دلائل مصورة للمزارع وتعلم أسرار مهنة صناعة الكتالوجات، إلا أنـــه قبـــل الكريـــسماس، انهارت مبيعات الشركة، وقال له بسمن إنه لم يعد لدى الـــشركة أي أمـــوال لـــدفع رواتـــب الموظفين.. وعمل والت في مكتب البريد لبعض الوقت إلا أن تلك الوظيفة انتهت أيضًا بانتهاء موسم الكريسماس، ثم مر عليه صديق ممن كانوا يعملون معه في شركة بـــسمن، وهـــو أوب إويركس، وهو ابن مهاجر ألماني وكان عمره ثمانية عشر عامًا، خارق الموهبة في الرســـم، إلا أنه يخجل من الناس بدرجة مخيفة. كان قد هجر الدراسة قبل ذلك بعامين وراح يعمل حتى يساعد أمه. كان هو الآخر قد صرف عن العمل في شركة بسمن/ روبن.. وبـــالرغم مـــن أن أوب لم يتحدث في أي موضوع، إلا أن الفزع والخوف من البطالة كانا ياديان عليه. قال لـــه والت: "ما رأيك في أن نعمل في مشروع خاص بنا؟".

واعتقد أوب أنها مزحة سخيفة، فمجرد ستة أسابيع قضاها والت في هذا النـــوع مـــن العمل لا تؤهله أن يدير عملاً مماثلاً.

إلا أن والت كان لديه موهبة دفع الناس إلى أداء ما يراه هو صحيحًا، وسميت الشركة الجديدة في بدايتها باسم "ديزني/ أويركس"، إلا أنه بدا بعد ذلك وكأنه اسم محـــل نظـــارات، فحولوه إلى "إويركس/ ديزني"، واستغل والت بضعة مئات الدولارات التي ادخرها من عمله في الصليب الأحمر واشترى مكاتب ولوحات رسم، ومعدات أخرى.

كان أول عميل لهما هو والد صديقه الحميم والت فيفر، الذي اتفق معهما على الرســـم لجريدة اتحاد عمال الجلود ودرَّ عليهما ذلك العمل ١٣٥ دولارًا في الشهر الأول. وقـــد كـــان أكثر مما تقاضاه والت وأوب معًا في شهر كامل من شركة بسمن/ روبن، إلا أنه كانت هناك نفقات لا بد من دفعها بانتظام في حين كان العمل شحيحًا؛ ولذلك حين عرضت علـــى والـــت وظيفة بمرتب قدره ٤٠ دولارًا في الأسبوع لدى شركة كانساس سيتي للشرائح المرسومة في ربيع عام ١٩٢٠؛ راح يناقش العرض مع أوب، وقررا أنه لا بد من قبول الوظيفة وراح أوب يكافح وحده لكي تظل شركتهما قائمة. بعد ذلك بعدة أشهر أقنع والت رئيـــسه الجديـــد فيـــرن كوجر أن يوظف صديقه أوب.

وفي شركة كانساس سيتي للشرائح المرسومة (وتغير اسمها بعد ذلك مباشـــرة إلـــى شركة كانساس سيتي لأفلام الدعاية) دخل والت وأوب إلى عالم جديد من الأعمال. لم يتوقف

استخدام قلم الرسم، وسرعان ما أصبحت شركة أفلام الدعاية التجارية أكثر احترافًا، ويومًا بعد آخر راح والت يلح عليهم أن يعيروه كاميرا تصوير سينمائي. وانطلق والت محاولاً إيجاد مكان ملائم يقوم فيه بورشة العمل التي انتواها.

كان بيتهم في بيلفونتين محدودًا، وازداد ازدحامًا بعد عودة إلياس وفلورا وروث. وانهار حلم إلياس بصناعة مشروب مناقس للكوكاكولا حين اتضح أن رئيس شركة الچيلي لم يكن إلا لصًا سرق رأس المال، وأفلست شركة "أوزيل".. وبعودة الجميع بالإضافة إلى روي وأسرة شقيقه هربرت أصبح البيت يأوي ثمانية أفراد؛ لم يكن خارج المنزل إلا راي الابن الوحيد لإلياس الذي ظل بعيدًا عن الأسرة منذ أن غادر البيت ثم انتقل إلى كندا.

ووقعت عينا والت على الجزء غير المستخدم من الجراج الجديد الذي بناه أبوه.. بنى إلياس الذي لم يمتلك سيارة في حياته الجراج ليؤجره إلى أحد الجيران مقابل مبلغ من المال يعينه على نفقات الحياة. ولدهشته وجد أن أول عميل للجراج هو ابنه والت. ووافق والت أن يدفع خمسة دولارات في الشهر لتأجير المكان، إلا أن روي لم يتذكر مرة واحدة رأى فيها ذلك الإيجار يدفع لأبيه. منذ ذلك الوقت فصاعدًا ظل والت يسهر حتى منتصف الليل كل ليلة، عاكفًا على الرسوم المتحركة، يضبط الإضاءة، ويحاول تصميم أنواع جديدة من الرسوم، ويجرب الزوايا التي يمكنه التصوير من خلالها.

وعين ابنة شقيقه هربرت ذات الخمسة أعوام مساعدة له، وصور لها فيلمًا وهي تسقط زجاجة اللبن في الممر، ثم أدار الفيلم بطريقة عكسية، فقالت وهي مذهولة: "كل أجزاء الزجاجة التي تهشمت قفزت والتحمت معًا".

وكالمعتاد لم يكن والت يعلن عن نواياه إلا أنه كانت لديه أفكار عظيمة.. دار في ذهنه أن دور العرض في كانساس التي تستأجر الأفلام المتحركة من خارج الولاية قد تشتري بعض إنتاج الولاية بضغط من شركات الولاية.. وهكذا عمل والت بعض العينات وذهب بها لدور عرض نيومان.. ومع تفاؤله الشديد سمى شخصيات أفلامه "نيومان للرسوم المضحكة" قبل أن يشاهدها أي أحد من شركة نيومان.

ونظر المسئول في الشركة إلى بكرات الأفلام ووافق على الحديث مع والت وسأله "كم تكلفنا تلك الأفلام"؟ لم يكن والت قد فكر بهذا الجانب من قبل إلا أنه رد بلا تفكير "ثلاثون سنتًا للقدم". وكانت تلك هي التكلفة الفعلية للفيلم وتم الاتفاق، ووجد والت نفسه وقد وقع في حفرة صناعة وبيع أفلام "نيومان للرسوم المضحكة" دون عائد ودون أي ربح.

إلا أنه بالرغم من ذلك كان مسرورًا وسعيدًا فكل حدث في نشرات الأخبار أصبح مرئيًا في رسوم متحركة كوميدية في آخر الأسبوع، ومثلت فضائح رجال الشرطة أو اليوم

السنوي للشركة مناسبات جيدة لعمل رسومات فكاهية عنها.. كان أحد الأفلام عن أستاذ جامعي ينفجر في غضب في نوبات عنف ليمنع الناس من قراءة التعليقات المصاحبة للأفلام الصامتة بصوت مرتفع وآخر يدفع الناس ويسقطهم في الشوارع دون مبالاة بالآخرين، وفيلم رسوم متحركة لرجل يضرب الناس بمطرقة على الرأس.

وبدأ الأصدقاء القدامى لمدرسة بنتون يرون والت بعيون أخرى وأصبح الناس الذين لم يسمعوا عنه من قبل ولم يكن معروفًا لهم يعبرون الطريق خصيصًا ليحيوه ويبادرونه قائلين: كيف حالك يا ديز؟ لقد رأيت فيلمك الأخير في نيومان.

لم تصبح شهرته بالطبع شهرة قومية إلا أن تلك الشهرة المحلية كانت ذات مذاق خاص جدًا لوالت، فاق أي مذاق آخر للشهرة التي حققها بعد ذلك.

صعود وانهيار مشروع الرسوم المتحركة

بالرغم من أن والت انهمك تمامًا في العمل نهارًا لشركة كانساس سيتي للأفلام التجارية وليلاً لعمل الأفلام المتحركة باسم نيومان للرسوم المضحكة، إلا أن وجوده مع الأسرة أضفى جانبًا جميلاً على حياته.. كان لدى فلورا على الدوام شيء جاهز يمكن أكله، تحتفظ به في صندوق التبريد، وروث تنصت باقتخار لقصص والت عن الرسوم المتحركة، وروي وهربرت يساهمان في خلق المواقف الطريفة، وفلورا على الموقد تخفق البيض والدقيق والسكر بكل ما يمكنها من سرعة لأن أبناءها الثلاثة قد دخلوا في سباق لمعرفة من منهم يمكنه أن يأكل أكبر كمية من الفطائر!

وفي صيف وخريف علم ١٩٢١ تشتت شمل الأسرة فقد نقل هربرت إلى مكتب بريد في مدينة بورتلاند بولاية أوريجون، ثم أرسل روي إلى مستشفى حكومي في أريزونا بعد أن اكتشف الأطباء أنه مصاب بالدرن؛ ذلك المرض الصدري الذي قتل ملايين البشر في بدايات القرن العشرين.. وبعد أيام من ذهاب روي إلى المستشفى قبل إلياس وفلورا دعوة ابنهما هربرت للذهاب إليه في ولاية أوريجون؛ حيث إن حفيدتهما الوحيدة ابنة هربرت معهما.. باعا البيت وذهبت معهما روث إلى ولاية بورتلاند.

وصحب والت أسرته إلى القطار وحمل حقائبهم إلى داخل العربة.. وتتذكر روث ذلك اليوم قائلة: "لم أكن أعرف كثيرًا عن مشاعر والت إلا أنني فوجئت بملامحه المليئة بالحزن وسرعان ما استدار وغادر عربة القطار..". كان من الواضح أنه شديد الحزن، كان يعلم أنه أصبح وحيدًا وعثر والت على منزل يؤجر غرفًا فاستأجر مكانًا صغيرًا لينتج فيه أفلام رسومه المتحركة.

كرس نفسه تمامًا للعمل؛ فأنتج إعلانات لشباب كانوا مهتمين بتعلم تلك الحرفة وبلا مقابل بالطبع. لم يكن والت يحقق ربحًا من صناعة أفلام الرسوم المتحركة ووعد جماعة الشباب أن يعلمهم ووعدوه هم أن يشركوه في الأرباح في المستقبل.. كان ذلك سابقًا على استئجاره لكثير من العاملين بعد ذلك.

كان أول مشروع كبير يحقق نجاحًا هو فيلم "الأميرة ذات الرداء الأحمر"، وتخلى والت عن أي حذر واستقال من وظيفته وراح يبحث عن مستثمرين لتوسيع نطاق العمل المحدود.. كانت نظراته التي توحي بالإخلاص والمحبة، وحديثه اللبق، وتصميمه وعزمه؛ أسبابًا مقنعة لبعض رجال أعمال مدينة كانساس تمخض عنها جمع مبلغ ١٥٠٠٠ دولار لتستثمر في ذلك العمل!.

وذكر والت عن ذلك: "كنت أعرف أن القانون لا يسمح لامرئ في العشرين من عمره أن يكون رئيسًا لمؤسسة، وكنت أدرك أننا لو أردنا التخلص من أي ورطة تقابلنا فكل ما علي أن أفعله هو أن أذهب إلى المحكمة وأعلن سني الحقيقي".. لم يكن والت بالطبع يملك سلوكًا لا يتسم بالمسئولية وسرعان ما أصبح لديه فريق من موظفين وستة رسامين منهم صديقه أوب أيويركس وبدأ العمل في مبنى جديد في أحد أحياء مدينة كانساس التجارية؛ كل العاملين كانوا يتقاضون مرتبات بسيطة، إلا أنهم لم يطالبوا بأكثر منها، فقد كان أغلبهم في نهاية العقد الثاني من أعمارهم، ويمضون أغلب وقتهم في مكان العمل؛ لذا كانت احتياجاتهم بسيطة.. كانوا يبدأون العمل في التاسعة صباحًا، وينتهون من العمل في منتصف الليل وكثيرًا ما كانوا يقضون إجازة نهاية الأسبوع معًا أيضًا!.

لم يكن لدى والت ومجموعة العمل التي معه الوقت أو المعرفة اللازمان لتسويق إنتاجهم أو تأجيره لدور العرض، ثم تحصيل قيمة إيجار الأفلام من دور العرض، وكان ذلك من اختصاص شركات التوزيع، وعلى مدى الأعوام سيلجأ والت إلى كثير من شركات التوزيع؛ صغيرة وكبيرة لتوزيع أعماله. وكانت تلك المعاملات غالبًا من المعاملات المليئة بالمشاكل.

كان أول اتفاق هو أن ينتج سلسلة من الأفلام المبنية على الحكايات الخرافية المشهورة لتوزعها شركة صغيرة اسمها "نوادي بكتوريال"؛ وتقاضى والت مقدم أتعاب مقداره مائة دولار لا غير!.

وبسذاجة وثقة في الغير وافق والت بكلمة شفاهية على أن الشركة ستدفع له ١١٠٠٠ دولار بعد تسليم سلسلة أفلام الكرتون المتحركة بعد ستة أشهر من تاريخ الاتفاق.

ولسوء الحظ، وحين كان والت على وشك تقاضي شيك بمبلغ ١١٠٠٠ دولار، أفلست شركة نوادي بكتوريا، وضاع مجهود وعمل ستة أشهر مقابل مائة دولار فقط.

وكتب أحد العاملين لدى والت رسالة إلى أمه في ذلك الوقت ذكر لها فيها: "إن الشركة في وضع أسوأ من الإفلاس، أصبحت مدينة بألفي دولار ويزداد الدين بمقدار ٤٠٠ دولار كل أسبوع: لدينا من العمل أوامر تشغيل كثيرة تعيد الشركة للوقوف على أقدامها إلا أن الشركة بحاجة إلى سيولة مالية.. ربما أستقيل وأبحث عن وظيفة أكثر أمانًا".. وكان ذلك في أكتوبر عام ١٩٢٢.

وترك العاملون العمل بشركة الرسوم المضحكة، وقامت صاحبة البيت بطرد والت لأنه لم يدفع قيمة الإيجار، وانتقل والت للمعيشة في مكتبه، وفي الليل كان ينام على أريكة قديمة كان يضعها بالقرب من لوحة الرسم.

في أغلب الأحوال كان يأكل وجباته بالأجل من محل بأسفل مكتبه. وحين وصل دينه إلى ٦٠ دولارًا جاءه چيري راجوس أحد الشركاء في المحل وقال له: "لن نتمكن من إعطائك أي شيء آخر بالأجل يا والت".. وبعد يومين وجد چيري والت يتناول بعض الحبوب من المعلبات المحفوظة بقطعة خبز من مخلفات أحد الجيران، ولم يكن والت يظهر أنه بائس، بل قال: "أحب الفاصوليا المحفوظة".. لكن البؤس كان باديًا عليه، فقال چيري والدموع تملأ عينيه: "انزل إلى المحل وخذ ما تأكله".. ولم ينبس والت بكلمة واحدة عما يعانيه إلى أسرته إلا أن روي أحس بما يعانيه؛ فأرسل إليه رسالة يقول فيها: "لم أسمع أخبارًا منك منذ فترة طويلة، ولكن لدي شك أنك تحتاج إلى بعض المال، أرفقت مع الرسالة شيكًا، املأ خانة المبلغ بما تريد حتى ثلاثين دولار"، وملأ والت الخانة برقم ٣٠.

وسرعان ما أصبح والت الموظف الوحيد في شركة الرسوم المضحكة، وحاول جاهدًا توفير أي أموال حتى تظل الشركة قائمة ونتج عن إصراره على ذلك أن أحد أطباء الأسنان اتصل به في ديسمبر عام ١٩٢٢ م، وهو دكتور توماس ب. ماكروم لينتج له فيلمًا لتعليم الصغار فوائد غسل أسنانهم بالفرشاة. وقال له والت: إنه يمكن أن ينتجه مقابل ٥٠٠ دولار، وطلب منه الطبيب أن يحضر إلى مكتبه لكتابة عقد الاتفاق.

فقال والت بوجل: "لا أستطيع أن آتي الليلة".

- "ولماذا لا، ما الذي ستفعله ليلاً؟".
- "لا شيء".

قال طبيب الأسنان: "حسنًا، ولماذا لا تستطيع أن تأتي".

قال والت: "ليس لدي حذاء!".

كان والت قد ترك حذاءه عند الإسكافي حتى يصلحه له، ولم يكن باستطاعته طلب الحذاء إلا إذا دفع قيمة الإصلاح، فقام طبيب الأسنان بدفع قيمة الإصلاح، وأرسل الحذاء إلى والت، ثم وقعا الاتفاق.

وسرعان ما انتهى والت من الفيلم الذي ابتدع له طفلاً اسمه "تومي توكر" وهو ولد يداوم على غسل أسنانه بالفرشاة، كما ابتدع شخصية ولد أسماه "چيمي چونز" الذي لا يغسل أسنانه أبدًا بالفرشاة. بدا تومي توكر منتعشًا وسعيدًا، بينما بدا چيمي چونز كما لو كان لم يغتسل ولم يبدل ملابسه من أربعة أشهر، كل الناس في الفيلم أحبوا تومي وأتاحوا له الوظائف الجيدة وكالوا له المديح، وعاف الناس چيمي ذا الرائحة الكريهة والأسنان المتسخة. وبدأ چيمي يغسل أسنانه بالفرشاة، وبدأت حياته في التبدل إلى الأفضل، وأتاحت الخمسمائة دولار التي تقاضاها والت أن يستمر، وبدأ في تطوير فكرة جديدة.

كانت فكرة تقديم قصة "أليس في بلاد العجائب" كفيلم رسوم متحركة وكباكورة لسلسلة من الأفلام عن بنت صغيرة تمر بمغامرات في بلاد كل شخصياتها كرتونية. وقال والت إنها قصة "متميزة" بالرغم من أنه استلهم الفكرة من فيلم مارك فلايشر "من بئر الحبر"، وهو فيلم رسوم متحركة أيضًا: صور مهرجًا كرتونيًا خاض مغامرات مع أناس حقيقيين.

وقام بعمل كل الرسومات بنفسه على وجه التقريب. وفي شهر مايو حين كان العمل في منتصفه تقريبًا اتصل والت بأحد موزعي نيويورك الذي رد عليه بالبريد قائلاً: "لقد اكتشفنا أن هناك جوانب جديدة وتتسم بالمهارة في عملك، أنت قريب من تحقيق الفوز".

وردت عليه م. ج. ونكر موزعة فيلم "من بئر الحبر" قائلة إن أعماله تثير اهتمامها وعلى مشارف تلك البداية الجديدة أعجز والت من جديد نقص الأموال. كان في حاجة ماسة إلى مزيد من الأموال لينهي أول فيلم من أفلام "أليس في بلاد العجائب". ولم تسعفه مهاراته التسويقية في تحقيق السيولة المطلوبة، وكان مستثمرو مدينة كانساس قد خسروا قبل ذلك أموالاً معه، ولم يعد عليهم بنس واحد كأرباح، كان والت على وشك أن يبدو كمن لا يصلح لأي شيء.

وبعجزه الكامل عن تمديد الديون، وعجزه عن المضي في إنتاج أفلام جديدة أعلنت شركة والت أخيرًا عن إفلاسها.

وفي يوليو عام ١٩٢٣ باع والت كاميرا التصوير، وتوجه إلى مدينة هوليود ومعه كل ما يملك من هذه الدنيا؛ سروالين، وقليلاً من الملابس التحتية، ومعطفًا، وبعض القمصان، وحقيبة من الورق المقوى ونسخة غير مكتملة من "أليس في بلاد العجائب" وقال عن ذلك: "بالكاد تحررت وشعرت بالسعادة، كنت في الحادية والعشرين وأخطو إلى الثانية والعشرين من عمري..".

هوليود

حين وصل والت إلى كاليفورنيا، توجه إلى عمه روبرت، شقيق إلياس ويبلغ منذ العمر ٦٢ عامًا ويدمن تدخين السيجار، وكان قد انتقل إلى الغرب منذ عامين مضيا. واتفق مع عمه على أن يدفع له خمسة دولارات أسبوعيًا نظير إقامته عنده، وقضى أيامه الأولى متجولاً بين أستوديوهات الشركات الكبرى.

كانت السنوات الأولى من عشرينيات القرن العشرين سنوات تحول كبير في هوليود؛ إذ كان نجوم الأفلام الصامتة يحققون ثروات ويعيشون في قصور فخمة تحيطها حدائق أشجار البرتقال والكروم! كان توم مكس ملك أفلام رعاة البقر يكسب في يوم واحد ما يمكن أن تكسبه عائلات بأكملها على مدى عام! وكانت للنجمات المشهورات مثل ليليان جش، وجلوريا سوانس، وكذلك النجم رودولف فالنتينو جماهيرية واسعة وملايين المعجبين الذين يقبلون على قراءة كل ما ينشر عنهم من أخبار وشائعات، وكان بإمكان المخرجين المشهورين أمثال سيسيل دي ميل، وإيريك فون ستروهايم، ود. و. جريفث أن يحولوا كل الأفكار المبدعة التي تدور بخيالهم إلى واقع على شاشة السينما بما توفر لهم من ميزانيات وإمكانيات، وصوروا المعارك الحربية بحيوية؛ نادرًا ما صور مثلها بعد ذلك.

كان عشرات الآلاف يتجمعون خارج الاستوديوهات متطلعين إلى فرصة للعمل بالسينما تحدوهم الآمال أن يكونوا ممثلين معروفين بعد ذلك.. ولم يختلف عنهم والت إلا أن الوظيفة الوحيدة التي وجدها هي أن يكون فردًا بين مجموعات كبيرة تظهر بأحد الأفلام، واعتمادًا على خبرته بركوب الخيل حين كان في الثامنة من عمره بمزرعتهم في مارسلين تم تسجيله مع حشد ضخم كراكبي خيول في مشهد لمعركة بين الخيالة، وفي الوقت المحدد أمطرت السماء فتأجل التصوير، وحين تهيأت الظروف للتصوير دفعوا بمجموعة أخرى جديدة. وقال والت: "كان ذلك المشهد الذي لم أشترك فيه هو نهايتي كممثل".

وبالرغم من أن والت طرح جانبًا أي نية لعمل رسوم متحركة معتقدًا أن أستوديوهات الساحل الشرقي مجهزة بتجهيزات لا يمكن له منافستها، إلا أنه راح يعيد التفكير من جديد، وبدأ القلق يعتري عمه لعدم توفيقه في تحقيق أي خطوة. كان الرسم من الأشياء التي يمكن لوالت أن يقوم بها ودون أن يحتاج إلى وظيفة.

وأقام ورشة عمل بسيطة في جراج عمه روبرت، ورسم سلسلة من صور الرسوم المتحركة الفكاهية مثل تلك التي رسمها لدور عرض نيومان في مدينة كانساس، وذهب للقاء ألكسندر بانتاجيز؛ وهو صاحب دور عرض وقاعات مسارح فكاهية ناجحة.

قال أحد مساعديه بلا مبالاة: "لا يهتم السيد بانتاجيز بمثل تلك الأشياء".. وجاء صوت مدوي من مسافة قريبة: "كيف تعرف أنني لا أهتم؟!".

ولم يمض وقت طويل حتى كان قد عقد اتفاقًا مع والت، وعاد والت للرسم من جديد.

كانت خطوته التالية هي محاولة الاتصال بالسيدة م. چ. وينكلز، وهي السيدة التي كانت قد عبرت عن اهتمامها برسومات "أليس في بلاد العجائب".

أرسل إليها عينات من عمله الذي أنجزه حين كان في مدينة كانساس، ومع العينات سرب إليها أنه بصدد تأسيس أستوديو في لوس أنجلوس لإنتاج سلسلة جديدة غير مسبوقة من أفلام الرسوم المتحركة.. كان ذلك بالطبع مبالغة كبيرة من شخص لا يملك ثروة ويعمل في جراج، إلا أن تلك الأخبار كان لها التأثير المطلوب.

وافقت السيدة وينكلز على شراء ستة أجزاء من رسومات أليس مقابل ١٥٠٠ دولار للحلقة. ولإحساسه بالذنب تجاه "بانتاجيز" وبدلاً من رسومات متوسطة الجودة رخيصة التكلفة؛ أصبح أمامه فرصة لإنتاج أفضل ما يود.

في ذلك المنعطف اتخذ والت أحد أهم قراراته في حياته بأجمعها، بعد أن علمته تجربته السيئة في شركة الرسوم المضحكة أنه بحاجة إلى أحد غيره على دراية وخبرة بإدارة الشئون المالية.

كان الاختيار البديهي هو شقيقه روي، الذي كان قد انتقل إلى مستشفى قرب لوس أنجلوس، وراح "روي" خلال فترة مرضه يتابع أخبار توفيق أخيه أحيانًا وعدم توفيقه في أحيانٍ أخرى.

وأعجب كثيرًا بإصرار أخيه وبقدراته الإبداعية، إلا أنه اغتاظ منه بسبب الاتفاق المجحف الذي كان قد اتفق عليه مع شركة "نوادي بكتوريال".

وحين زاره والت بالمستشفى، وراح يثرثر عن رسومات أليس وجد أنه من السهل عليه تحريضه لينضم إليه في ذلك المشروع، وبالرغم من أنه كان ما زال منهكًا وضعيفًا من الكفاح الشرس الذي خاضه ضد مرض الدرن الصدري، إلا أنه طلب في اليوم التالي الخروج من المستشفى على مسئوليته الشخصية.

كان روي شديد الذكاء، شخصية خاصة متميزة من الممكن أن يخلق جوًا من المرح أثناء ممارسة الأعمال البسيطة مثل تقذيب أسوار الأشجار حول المنزل، كما يهوى الرحلات المثيرة، وفي المجال العملي كان بالطبع أكثر راحة وهو مدير لبنك كانساس سيتي من كونه غازٍ جديد لمدينة هوليود، إلا أن تميزه بموهبة طبيعية في الإدارة المالية والقدرة على إجراء

مفاوضات ناجحة، وإحساس عميق بالعدل، والواقعية الشديدة التي يتميز بها أبناء الغرب الأمريكي الأوسط؛ جعل منه أنسب شريك لوالت.

ومن خلال اشتراكهما في كل الأعمال التي جعلت منهما أقرب إلى بعضهما من الأزواج؛ رجع الفضل لإدارة روي في أن تظل شركة ديزني مستمرة.

كان والت يحلم، وكان روي يقوم بسداد فاتورة أحلام والت، وأسسا معًا أستوديو "ديزني إخوان" عام ١٩٢٣. وكان رأس المال الهزيل الذي بدأ به مكون من ٢٠٠ دولار ادخرها روي من تعويض مرضه، و٥٠٠ دولار مقترضة من عمهم روبرت، و٢٥٠٠ دولار أرسلتها أمه فلورا وأبوه إلياس بعد أن قاما برهن بيتهما الذي كانا يعيشان فيه في بورتلاند. وانتقل الشقيقان إلى شقة من غرفة واحدة سكناها معًا. واشتريا ماكينة تصوير مستعملة مقابل ٢٠٠ دولار. واستأجرا أستوديو بلا نوافذ في ظهر مكتب عقارات ووظفا اثنين مساعدين.

وقال والت لأبيه: "سأجعل من اسم ديزني اسمًا مشهورًا في جميع أنحاء العالم".

أجراس العرس

اعتاد والت أن يمزح دائمًا قائلاً: "إنه لن يتزوج إلا إذا ادخر ١٠٠٠٠ دولارًا".. وكانت الوسيلة التي ينفق بها الشاب والت ابن الاثنين وعشرين عامًا كل الأموال على العمل تنبئ أنه سيقضي عمره كله أعزبًا!.

ثم وظف فتاة خجولة اسمها ليليان بوندز التي وصلت حديثًا إلى لوس أنجلوس من لويستون بولاية إيداهو. كانت لوس أنجلوس الآخذة في الازدهار السريع يبلغ سكانها ٦٠٠٠٠٠ نسمة بينما كانت مدينة لويستون التي أتت منها مدينة صغيرة لا يزيد سكانها عن ٧٠٠٠ نسمة. وكانت ليليان التي جاءت لتعيش مع أختها المتزوجة "هازيل" تخشى الخروج من منزل أختها خوفًا من أن تتوه في تلك المدينة الهائلة.

وذات صباح مر عليهم صديق لأسرة شقيقتها يعمل في أستوديو ديزني للرسوم المتحركة، وسأل ليليان إن كانت بحاجة إلى عمل، فوافقت لأن مكان العمل قريب يمكنها أن تصل إليه سيرًا على الأقدام.. كان هذا هو سبب قبول زوجة المستقبل لوالت للعمل في الأستوديو.

وفي أول يوم من العمل رافقتها ابنة شقيقتها مارجوري ابنة السبعة أعوام حتى لا تضل الطريق. وبعد مرور أسبوع كانت قد تعلمت تحبير الرسوم وملء الفراغات بالألوان، وكان هذا العمل التافه التكراري هو أبسط أنواع العمل في أستوديوهات الرسوم المتحركة، من استلام الرسوم من الرسامين، ثم نسخها على مادة شفافة اسمها سليو لويد حتى يمكن تصويرها عن طريق كاميرا خاصة بالرسوم المتحركة. أما التلوين فقد كان عبارة عن إضافة الظلال إلى الرسوم.

وبسرعة أدركت ليليان أن رؤساءها الجدد يعملون برأس مال محدود ويترنحون على حافة الهاوية! كان الأولاد (وكان ذلك الاسم الذي أطلقه الآخرون على الأخوين ديزني) لا يملك كل منهما إلا طاقم ملابس واحد لا يبدله، ويقتسمان وجبة واحدة في الغذاء من محل للأطعمة الخفيفة، وبدأت المبالغ البسيطة التي تعود عليهم من سلسلة "ألبس" تخفف بعض جفاف الفقر الذي يعيشانه، ووظف والت أول رسام يعمل معه في شهر فبراير عام ١٩٢٤، وانتقل مع أخيه إلى مسكن أوسع قليلاً، وعلق لافتة على النافذة الأمامية كتب عليها "أستوديو الأخوان ديزني".. بعد ذلك بعدة أشهر أقنع أوب أويويرك أن يترك مدينة كانساس وينضم إليهما، وأصبح اسمه ينطق بعدها أوب إيورك فقد ناله هو الآخر بعض التمدن.

ووقع الأخوان على سيارة شحن صغيرة مستعملة ماركة فورد فاشترياها، وكان والت يقودها لتوصيل الموظفتين إلى بيتهما ليلاً حين تتأخران في العمل، ووجدت ليليان في والت شخصية جذابة إلا أن الأمر لم يصل إلى التفكير فيه كفارس الأحلام.. ورغم ذلك لاحظت أنه يبقيها في السيارة كآخر من يقوم بتوصيله من الموظفين.. أدهشها مدى اهتمامه بالقصص التي تحكيها عن مسقط رأسها في ولاية إيداهو.. كانت أصغر الإخوة من بين عشرة أبناء لحداد مات قبل مجيء ليليان إلى لوس أنجلوس.. كان أبوها عطوفاً وحين يتوفر له المال كان يشتري هدايا للجميع، وكان والت يستمع إليها بشغف حين كانت تحكي عن أجدادها الرواد الذين رحلوا عبر الولايات المتحدة في عربات مغطاة تجرها الخيول، وكان مغرمًا بحكايات الماضي وكان ذلك معروفًا عنه منذ أن كان طفلاً صغيرًا بمدينة مارسلين.

لم يقبل والت أي دعوة من دعوات ليليان المتكررة لزيارة بيت شقيقتها وزوج شقيقتها.. كان خجلاً من سترته البنية القديمة وسرواله ذي الخطوط البيضاء والسوداء، ثم بعد ذلك اشترى هو وروي حللاً جديدة وفي اليوم التالي سأل والت ليليان إن كان بإمكانه زيارة أسرتها.

كانت هازيل وزوجها يستضيفان بعض الضيوف حين جاء والت أول مرة لزيارتهما. راح يدور بافتخار وزهو ويسأل الحاضرين: "ما رأيكم في بذتي الجديدة؟" وقالت ليليان معلقة على ذلك: "لم تكن لديه أي كوابح أو عقد وأحبته أسرتي من الفور".

وأصبح الإحساس متبادلاً، ومثل أسرة فيفر في كانساس سيتي كانت أيضًا أسرة ليليان تحب الموسيقى وتزايدت زيارات والت للأسرة.. كانت مارجوري تنام على أريكة في غرفة المعيشة، وحين يأتي والت في المساء يحملها ويضعها في غرفة ليليان، حتى يتسنى لهما الاختلاء ببعضهما وقبل أن يمضي والت يحمل مارجوري مرة أخرى وهي نائمة ويعيدها إلى الأريكة في غرفة المعيشة.. وفي ديسمبر عام ١٩٢٤ وصلت والت هدية كريسماس من السيدة م. ج وينكلز، أو بالأحرى من زوجها تشارلي منتز، الذي تولى إدارة أعمال زوجته، وطلب ثماني عشرة حلقة من مسلسل "أليس" بسعر ١٨٠٠ دولار للحلقة.

واشترى والت سيارة مستعملة ماركة قمر كان معجبًا بشكلها، وكانت إطاراتها من الصلب اللامع، ومقدمتها انسيابية ومبرد مكشوف؛ مما جعلها تبدو مثل سيارة الرولزرويس، واصطحب والت ليليان في نزهات بالسيارة، بين بساتين البرتقال المنتشرة في كاليفورنيا، وإلى المقاهي في شارع هوليود، وإلى المسارح وقاعات السينما.

في تلك النزهات التي كانا يقومان بها بالسيارة أفضى والت بكل مكنون قلبه إلى ليلي كما كان يدعوها باسم التدليل. كان شارلي منتز يثير أعصابه ويدفعه إلى حافة الغيظ الشديد،

فقد كان دائم الشكوى بغير حق من أفلام "ألبس". ويتأخر على الدوام عن سداد الأموال التي من المفروض أن يسددها، وكان ذلك يثير حفيظة والت ضده أكثر وأكثر، وبمرور الأسابيع وصل الأمر بوالت أن يطلب من ليلي ألا تتقاضى الخمسة عشر دولارًا التي تتقاضاها كراتب أسبوعي لضيق الحال.

كان روي هو الآخر مصدر مضايقة لوالت في أغلب الأحيان، وكانا يقضيان اليوم بطوله معًا في الأستوديو، ويقضيان الليل بطوله معًا في شقتهما الصغيرة، وازدادت وتيرة التوتر. وأصبح والت دائم الشكوى من الطعام الذي يعده روي في البيت وروي أيضًا يشكو من تزمر والت الدائم. وصل الإخوان إلى مرحلة يحتاجان فيها إلى شركاء سكن جدد.

قام الشقيق الأكبر بالخطوة الأولى فعلى مدى شهور طويلة ظل روي يكابد الشوق إلى صديقته "إدنا" التي عرفها في كانساس، وكانا على وشك الزواج حين اكتشف روي أنه مصاب بالدرن الرئوي، ومر على ذلك أربعة أعوام ظلا فيها بعيدين عن بعضهما، وأرسل روي إليها برقية يطلب منها الحضور إلى كاليفورنيا ليتزوجا، وقام والت بدور الأشبين لروي وقامت ليلي بدور الوصيفة لإدنا وتم الزواج في ١١ أبريل عام ١٩٢٥.

وتطورت الصداقة بين إدنا وليلي ونمت. كانت شخصية إدنا أكثر تطورًا فقد كانت أكبر من ليلي بعدة أعوام وتتمتع بقدر أكبر من الثقة بالنفس، وقامت إدنا بدور الشقيقة الكبرى لليلي ووالت وأثناء اجتماعهما للعب الورق كانتا تتحدثان عن مشاكل شركة ديزني وما يصادفها من صعاب.

وبدأت تتبلور خطط زواج والت من ليلي بعد زواج شقيقه روي، وكانت شهورًا مليئة بالعمل والمشاغل بعد أن انضم ثلاثة أصدقاء من كانساس إلى الأستوديو، وقبل زواج والت وليلي بعدة أيام قام الشقيقان بدفع مقدم استئجار أستوديو أكبر في شارع هايبريون مكون من طابق واحد إلا أنه يتيح لكل من الشقيقين مكتبًا مستقلاً، وكذلك يتيح لجامعة الرسامين مساحة أوسع في حالة ازدياد أعدادهم في المستقبل.

وتم الزفاف في ١٣ يوليو عام ١٩٢٥ م، في منزل عم ليلي في مدينة لويستون بولاية إيداهو.. ارتدت ليليان فستانًا وردي اللون وبعد أن وضع والت خاتم الزواج في إصبعها وكان من الذهب الأبيض محلى بفصوص الماس الصغيرة؛ استقلا القطار إلى مدينة بورتلاند، ليقدم والت عروسه إلى أمه وأبيه وشقيقته وشقيقه هربرت وأسرته.. وتتذكر ليلي تلك الأيام قائلة: "استقبلوني استقبالاً حارًا وكانوا ودودين جدًا.. كانوا يحبون والت ويتمنون له السعادة ولذلك سعدوا بي".

الاتجاه إلى الإنتاج

وسكن السيد والتر ديزني وقرينته بشقة مكونة من غرفة واحدة تطل على حارة جانبية، وأدركت ليلي من البداية أن الحياة مع والت لا بد أن تدور حول العمل.. وحيثما كانا يقضيان أمسياتهما سواء مع روي وإدنا، أو مع مارجوري يشتريان لها الكريم المثلج؛ كانت ليلي تتوقع في أي لحظة أن يقول والت: "تذكرت الآن شيئًا لا بد أن أفعله في الأستوديو"، ويتحول هذا الشيء ليصبح ساعات من العمل، واعتادت ليلي أن تطرح نفسها على أريكة في مكتب والت حتى ينتهي مما يعمله في وقت متأخر في الواحدة أو الثانية صباحًا ويوقظها والت من على الأريكة، وتسأله متثائبة: "كم الساعة الآن يا عزيزي؟".

فيرد: "ياه إنها الواحدة والنصف صباحًا".

وأخذ الأستوديو يعمل بكد ودأب لينتج فيلمين من حلقات "أليس" كل شهر.. لم يكن هناك اختيارات أخرى، وكان فريق العاملين المكون في أغلبه من زملاء لوالت من مدينة كانساس يحتاج إلى رواتب منتظمة، وكانت هناك أدوات تستخدم، وكذلك أجر المصور، ومصروفات أخرى كثيرة من الصعب حصرها، وكان والت يقول: "كانت الأفكار ترد على الذهن، وبسرعة نقوم برسمها".

وتتابعت حلقات "أليس" على الذهن المكدود اللاهث.. منها حلقات "أليس تتغلب على آكلي لحوم البشر"، و"أليس تفوز بالسباق"، و"أليس تنقذ البطل"، و"أليس الطير السجين"، و"أليس في الغابة".. في كل فيلم من تلك الأفلام كانت الفتاة الصغيرة تصور في خلفية بيضاء تمامًا وعلى الخلفية البيضاء يصحبها حشد من الحيوانات المرسومة ببراعة من كلاب وقطط وفئران وبقية الحيوانات الكرتونية الأخرى.

على المستوى الفردي لاقت الأفلام ترحيبًا من الصحف التجارية لبراعة المزج بين الممثلة الصغيرة والرسومات المتحركة.

إلا أن الأفلام أصبحت تواجه مع تتابعها صعوبة في الحفاظ على طرافتها وجدتها! الأسوأ من ذلك أن علاقة والت بـ "تشارلي منتز" أخذت في التدهور بحدة، وكان منتز قد أخر كثيرًا من الدفعات المالية، وطلب من والت أن ينتج بمعدل أقل إلا أن والت رفض، وطالبه بدفع المتأخرات المالية، وتلا ذلك تبادل رسائل حادة.. كتب إليه منتز: "ألا توجد لديك ذرة من تقدير للموقف، لم نربح دولارً واحدًا من الأفلام التي أخذناها منك، نحن نعيد تقدير الآفاق التي سيطرحها المستقبل أمامنا.. لا بد أن تخجل من نفسك".

بالإضافة إلى التوتر الذي كان يسببه منتز كان هناك التوتر الذي يشعره والت من مسئولية الرئاسة.. لقد كان يعمل وهو في مدينة كانساس مع من يعملون معه الآن كتفًا بكتف ويدًا بيد، أما الآن فقد كانوا يعملون بنفس الجدية ويستمتعون بصحبة جميلات كاليفورنيا على شواطئ البحر المشمسة، بينما والت يعتصره هم الحفاظ على الشركة من الانهيار.

مع نهاية عام ١٩٢٥، لم يعد والت يقوم بالرسم بنفسه، وأصبح حكمًا جيدًا لما يصلح وما لا يصلح، وصرح بأن الرسامين العاملين معه يمكنهم الرسم أفضل منه.

وكان ذلك يعني أنه لن يعمل معهم بعد الآن يدًا بيد. وبدلاً من ذلك أصبح يديرهم ويدفعهم إلى العمل أكثر مما يودون.

ورث عن أبيه ميله إلى الكمال في العمل ورفض التقاعس والتهاون..

وبالرغم من أنه كان مغلول اليد في رفت أو إنهاء خدمة أي من الرسامين العاملين معه في تلك الأعوام، إلا أنه كان يمكن أن يكون حادًا ونافذ الصبر معهم في أوقات كثيرة، خاصة حين يكون هناك الكثير مما يجب عمله؛ ولذا كان يجد نفسه مضطرًا إلى العمل كل الوقت، ويصر أن يتواجدوا في مقر العمل في الوقت المحدد لذلك، ويجبرهم على إعادة العمل مرات ومرات، وخفت الضغوط قليلاً عن والت مع مطلع عام ١٩٢٦ حين أبرم والت عقدًا آخر مع منتز لحلقات أخرى من أليس قيمة الحلقة ١٥٠٠ دولار، وبذلك انتهت المشكلة التي كانت متأججة بين والت ومنتز. وانتقلت ليلي ووالت إلى مسكن أرحب واشتريا أثاثًا جديدًا، وتم افتتاح الأستوديو الجديد وغير اسم الشركة إلى "والت ديزني للإنتاج"، بدلاً من "الأخوان ديزني".. كان روي من الشخصيات التي لا يؤرقها الإحساس الزائد بالذات، ورأى روي أنه من الأفضل للمشاهد أن يعرف شخصًا واحدًا مسئولاً عن إنتاج الأفلام؛ شخصًا يشعرون تجاهه بالثقة ويسعون إليه عند إحساسهم بالاحتياج إلى الترفيه والمتعة.

بدا المستقبل ورديًا في العام التالي حين طلبت شركة يونيفرسال من تشارلي منتز سلسلة أفلام رسوم متحركة يكون بطلها "أرنب".. ولما كانت سلسلة أليس قد شقت طريقها إلى الشهرة؛ فقد كان من الطبيعي أن يسند العمل الجديد إلى ديزني. وبعد بعض المحاولات الفاشلة ابتدع ديزني شخصية "أوزوالد" الأرنب المحظوظ والتي حققت نجاحًا هائلاً!

ولما شعرا بالأمان لأول مرة منذ أن بدأا العمل؛ انتقل الشقيقان إلى منزلين متجاورين ومتماثلين في خريف عام ١٩٢٧.

وبعد ذلك بفترة قصيرة انتقلت أم ليلي للإقامة مع ابنتها. وبحلول عيد الشكر أكمل والت أسرته –مؤقتًا– بكلب.. وبالرغم من أن ليلي لم تكن تحب الكلاب لأنها تعتقد أن لها رائحة غير محببة وأن شعرها تسكنه الحشرات، إلا أن والت الذي كان يحب الحيوانات فكر

في تلك المسألة باهتمام، وراح يقرأ كتبًا كثيرة عن الكلاب وأنواعها حتى توصل إلى نوع أقل رائحة وأقل حجمًا.

وحتى يتجنب أي احتجاج جاء بالكلب إلى منزل شقيقه حتى موعد الكريسماس، وفي يوم الكريسماس وضعه في صندوق كبير من صناديق القبعات، وقدمه إلى ليلي كهدية.. كانت صرخة ليلي حين فتحت الصندوق لا يمكن نسيانها؛ ولكن بعد أن مد الكلب الصغير رأسه خارج الصندوق، سرعان ما أحبته.. وبدخول عام ١٩٢٨ تحول الأرنب أوزوالد إلى نجم مشهور، وأصبح لدى والت شخصية فنية يقدم من خلالها السلوكيات الحمقاء والصبيانية المرفوضة، ويحملها بالمواقف الفكاهية المحببة. كان المشاهدون يتوجهون إلى دور السينما للتمتع بآخر ما يعرض من أفلام أوزوالد؛ الأرنب المحظوظ.

وأصبحت دفعات التعاقد –التي زادت إلى ٢٢٥٠ دولارًا للحلقة– تدفع في أوقاتها المحددة. ويرسل تشارلز منتز شقيق زوجته كل أسبوعين لتسلم الإنتاج الجديد. ودأب شقيق الزوجة چورچ ونيكلر على الجلوس مع الرسامين لتبادل الأحاديث الودية.

وفي شهر فبراير حين انتهت مدة العقد الأول استقل والت وليلي القطار وتوجها إلى نيويورك، وكانت لديهما كثير من الأسباب تجعلهما يعتقدان أنهما سيجددان التعاقد وبسعر أعلى، ولكن لم يد بخلد والت أنه من الممكن أن تقع أي مشاكل بينه وبين فريق الرسامين بشركته، ولم يدر بخلده أن تبادل الأحاديث الودية بين وينكلر ورساميه حين يأتي لأخذ الأفلام تدور حول إغراءات يقدمها وينكلر لهم في حال تركهم العمل مع والت عن طريق عرض أجور أعلى وحرية تصرف أوسع إذا عملوا لحساب منتز!.

وبعد الكارثة التي تمخضت عن رحلة نيويورك، والتي أخبر فيها منتز والت أنه استولى على فريق رساميه وعلى شخصية "الأرنب المحظوظ"؛ تولد لديه إحساس بالظلم لا يوصف. كان في ذهنه أن كل أفراد الأستوديو ليسوا إلا عائلة واحدة مترابطة. وكانت سرقة شخصية الأرنب أوزوالد ضربة مؤلمة، إلا أن إحساسه بخسارته لأحد أصدقائه الرسامين كان أشد إيلامًا.. كان الولاء من الصفات المقدسة لدى والت، وأظهر ذلك الولاء حين استدعى زملاءه من الرسامين الذين عملوا معه في شركة الرسوم المضحكة، وهم في مدينة كانساس للعمل معه بعد ذلك، حين انتقل إلى كاليفورنيا وأسس شركته الجديدة، واكتشف خيانة أولئك الزملاء للولاء الذي يقدسه!.

من بين كل الرسامين كان من قاوم إغراءات عروض وينكر هو أوب. وبمعاونة أوب قرر والت أن ينفذ أفكار رسوم متحركة جديدة تدور حول شخصية الفأر.

ميكي

ولدت شخصية ميكي سرًا؛ فبوجود الرسامين الخونة في الأستوديو يكملون أحد أفلام "الأرنب أوزوالد"؛ اضطر والت وأوب أن يتبادلا الحديث همسًا، وخلف الأبواب المغلقة عن أي شيء يتعلق بشخصية الفأر ميكي.

ومثل شخصية الفأر التي ابتدعها في سلسلة أفلام أليس، كان الفأر ميكي أيضًا بأذنين كبيرتين، وذراعين وساقين رفيعتين، وعكف أوب ووالت على إضفاء صفات مميزة (مثل الحذاء، والسروال القصير وأزرار الملابس المستديرة البارزة) وتم صقل الشخصية في تلك الأيام المليئة بالقلق، حين كان مستقبل الأستوديو غامضًا وفي مهب الريح، ومالا إلى جعل شخصية ميكي شخصية متفائلة وتتميز بالإرادة مع كونه فأرًا ضئيل الحجم، وكان الشبه بين والت وميكي مذهلاً؛ مما دفع ليلي بعد ذلك إلى القول: "والت وميكي شبيهان في كل الجوانب حتى إن المرء قد يعتقد أنهما شخصية واحدة".

وألهمت الأخبار الخاصة بالأحداث الكبرى والت بالموضوعات التي دارت حولها مغامرات ميكي الأولى؛ فمن شهر واحد سابق على إنتاج أول أفلام ميكي، كان تشارلز ليندبرج قد أثار العالم بنجاح محاولته عبور الأطلنطي بطائرة، واتفق والت وأوب على أنه سيكون من الطريف عمل أول فيلم لميكي وهو يرتدي زي طيار مثل ذلك الذي ارتداه البطل العالمي، ويقدمونه وهو يحلق في الفضاء ومعه صديقته الفأرة ميني!.

وبمجرد أن اتفقا على الموضوع، راح أوب يرسم ما يربو على ٨٠٠٠ رسم متتالٍ يصور القصة في رسوم متحركة، وإن حدث ودخل الغرفة أي رسام آخر، يسارع بوضع صور الأرنب أوزوالد فوق الصور التي يرسمها لمغامرة ميكي، وفي آخر كل ليلة، يهرب والت ما تم رسمه من صور في الأستوديو إلى المنزل؛ حيث تعكف ليلي وإدنا وهازيل على تحبير الصور وتلوينها.

وشاهدوا الفيلم في عرض خاص قبل أن يعرض للمشاهدين في هوليود في مايو عام ١٩٢٨، وكان زمن عرضه ست دقائق ويحمل اسم "الطائرة المجنونة،" وأثار ضحكاتهم وإعجابهم وهجر باقي الرسامين في ذلك الوقت شركة ديزني وانتقلوا للعمل لحساب منتز وبدأ والت بفريقه العائلي الصغير بالإضافة إلى أوب في عمل فيلم آخر قصير أسموه "الركض الأحمق".. وحين انتهت اللمسات الأخيرة للفيلمين أعلن والت بثقة للموزعين عن مولد سلسلة جديدة من أفلام المغامرات بالرسوم المتحركة بطلها فأر، وأنها جاهزة للعرض في جميع أنحاء الولايات المتحدة.

ولم يلق النبأ صدى في عالم الرسوم المتحركة؛ فمحاولة بيع شخصية خيالية مجهولة تمامًا للناس كان أمرًا شبه مستحيل.. قال له أحد الموزعين ببرود: "الناس لا تعرف فأرك!".

ووقع والت أسيرًا لفيلمين لا يشتري أحد حق توزيعهما؟ ولكن كيف تكون الحال إذا كان ذلك الفأر يتحدث؟ ألن يكون ذلك سببًا في ضجة عظمى تفتح الآفاق بلا نهاية أمام الرسوم المتحركة؟ كان عصر السينما الصامتة قد تجاوز ذلك الصمت حين أنتجت شركة وارنر إخوان فيلم "مغني الجاز" كأول فيلم ناطق من شهور قليلة سابقة، وجلس المتفرجون مشدوهون حين فتح الممثل آل جولوسون فمه على الشاشة وخرج الصوت مصاحبًا للصورة!.

وبحلول صيف عام ١٩٢٨ أدرك العاملون في مجال السينما أن الصوت والفيلم الناطق هو مستقبل السينما، إلا أنه كانت هناك عوائق كثيرة؛ فلا بد من إعادة تجهيز الأستوديوهات بأجهزة حديثة أخرى، وكذلك تعديل دور السينما وتجهيزها بالأجهزة الصوتية. واتخذ كثير من العاملين في المجال السينمائي موقف: "فلنراقب ولنرى ما يكون".. تاركين للآخرين محاولة التغلب على المشاكل الفنية الكثيرة قبل أن يحاولوا هم بأنفسهم.

ولم يكن والت من هذا الصنف؛ فقد رأى بوضوح أن الصوت هو انقلاب حقيقي وثورة عظمى في تقنية السينما، وبدلاً من الانتظار في الخلف ليرى ما تتمخض عنه محاولات الآخرين، قادة حسه إلى أهمية أن يتصدر تلك المحاولات هذه إن لم يكن على رأسها.

وسرعان ما انهمك هو ومجموعته الصغيرة في إنتاج فيلم جديد لميكي اسمه "المركب البخاري ويللي" كفيلم ناطق في جميع مشاهده.

كان منتجو رسوم متحركة آخرون قد أنتجوا أفلامًا تجريبية مع خلفية صوتية موسيقية، إلا أن والت أراد أن يكون الصوت جانبًا من القصة؛ أي جزءًا عضويًّا لا مجرد خلفية موسيقية.

وقام بإجراء تجربة بالاشتراك مع ليلي وإدنا وبعض الأصدقاء في غرفة خالية بالأستوديو، ووزع أدوار الأصوات عليهم، ولم يؤدِّ ذلك إلى النتيجة التي أرادها فلم تكن الأصوات مواكبة للفعل على الشاشة، إلا أن التجربة نجحت بعد محاولات عديدة حتى بدا أن صوت الصغير يصدر من فم ميكي نفسه. وكذلك باقي أصوات حيوانات المزرعة بدت كلها طبيعية ومتزامنة مع المشاهد.

وقال أوب عن ذلك العرض التجريبي وقد عرف عنه أنه لا يبالغ: "لم أشعر بالإثارة في حياتي مثلما شعرتها في ذلك اليوم! ومنذ ذلك اليوم لم أجد من المواقف ما يشعرني بمثلها".

أما أثر ذلك على والت فقد كان لا يوصف، إلا أنه كان شعورًا رائعًا وفتحًا جديدًا.

وسرعان ما سافر إلى الشرق للإعداد للتسجيل الصوتي للأفلام.. كان هو وفريق عمله الصغير قد حددوا بدقة المواضع الموسيقية لفيلم "المركب البخاري ويللي" حتى يعرف الموسيقيون أين يقع كل لحن من الفيلم؟ وقد يبدو ذلك هينًا، إلا أن أحدًا لم يكن قد فعله قبل ذلك أبدًا.

وجد والت رجل السينما في نيويورك في حالة عجيبة من الفوضى؛ عشرات من أستوديوهات السينما تسعى بكل جهد حتى تتحول إلى السينما الناطقة، قليل منهم كان قد غير معداته والأقل كان قد تمكن من استخدامها باقتدار، وبعد معاينته لمعدات وتجهيزات الصوت في آر. سي أ. صعق. فلم يكن بها ما يفي بما يريد.

وفي الأمسيات في الغرفة التي كان إيجارها أربعة دولارات لليلة بالفندق الذي نزل به، راح يكتب الرسائل إلى ليلي.. كانت المحادثات الهاتفية لتلك المسافات الطويلة مكلفة للغاية، إلا أنه لم يقاوم كثيرًا وحادثها هاتفيًا وبعدها كتب إليها قائلاً: "كنت مشتاقًا إلى محادثتك حتى إنني وجدت الحديث صعبًا في البداية. بل إنني بكيت بعد أن انتهت المكالمة.. أتعرفين كم تكلفت المكالمة؟ واحدًا وثلاثون دولارًا وخمسون سنتًا.. تحدثنا ثماني عشر دقيقة إلا أنها تستحق وتساوي الثمن المدفوع من أجلها".

ثم جاء الخلاص، فحين كان والت في أدنى حالاته المعنوية التقى برجل يدعى بات باور بدا أنه على معرفة شخصية بكل أصحاب الأسماء المعروفة في عالم السينما.. كان باور يمتلك معدات صوتية وعرض سعرًا أفضل كثيرًا من أسعار الشركات الكبرى.. بدا باور رجلاً عظيمًا وأيرلنديًا ودودًا وعامل والت معاملة الملوك وقضى معه الساعات واستعرض أمامه أسماء أصدقاء كثيرين في صناعة السينما، وكتب والت مرة أخرى إلى زوجته قائلاً: "باور عالِ المكانة وذو نفوذ كبير".. ثم لما ازداد تأثرًا به كتب قائلاً: "أصبحت موضع عنايته الشخصية".

ورتب باور ما هو مطلوب لتسجيل الصوت، أقنع والت أن يستأجر ثلاثين موسيقيًا مقابل سبعة دولارات في الساعة لكل منهم، وأربعة للمؤثرات الصوتية ومؤدٍّ واحد.. كانت أول جلسة تسجيل مخيبة لآمال والت. اعترض مدير الصوت على العلامات التي وضعها والت على الفيلم وقال إنها غير ضرورية، وفي مرات كان الفيلم يتوقف وتستمر الفرقة، وتعاد التجربة من بدايتها، كل ذلك وعين والت على الساعة فكل ساعة تكلفه سبعة دولارات لكل عازف. ومرت الدقائق الغالية الثمن، ويبدأ الفريق محاولة جديدة، ثم يضيع منهم التزامن مرة أخرى.

كان على والت أن يؤدي صوت ميكي المميز، ومن شدة إثارة أعصابه سعل في الميكرفون وأتلف نسخة أخرى.

وفي النهاية تكلف ١٢٠٠ دولارًا ولم يخرج بنسخة صوتية واحدة.

وطمأن "بات باورز" "والت" بأنه سيدفع تكلفة المحاولة القادمة، إذا لم تعجبه تلك النتائج.. ويبدو أن صديقه العظيم نسي وعده ووجد والت نفسه مجبرًا على دفع الفاتورة الجديدة وأرسل برقية إلى أخيه روي الذي راح يبحث عن مصادر تمويل جديدة، واضطر أن يبيع سيارة شقيقه المحبوبة "القمر".. وفي نيويورك حاول والت أن يسيطر بنفسه ويقود كل شيء؛ تخلص من الموسيقيين غير المتعاونين، وألغى المؤثرات الصوتية، والأهم من ذلك أكد على المنفذ أن يلتزم بالعلامات على الفيلم الخاصة بمواضع الموسيقى، ومرت محاولة التسجيل الثانية بسلاسة، وأصبح لديه نسخة جاهزة للعرض، وارتفعت معنوياته من جديد إلى عنان السماء، ولكن إلى حين..

قال الموزعون إنهم معجبون بفيلمه للرسوم المتحركة الناطق، ولكن ليس إلى حد شرائه.

وأخيرًا تلقى والت نصيحة صادقة من هاري رايكنباخ مدير مسرح وسينما نيويورك الذي بعد أن شاهد الفيلم وأعجب به قال له إن الموزعين يخافون من شراء ما لا يعرفه الجمهور، وأنهم سيقبلون على شرائه إذا أعجب الجمهور، واتفق معه على شراء حق عرضه أسبوعين فقط مقابل ألف دولار، وكان ذلك أكبر مبلغ يدفع في فيلم رسوم متحركة في برودواي واتضح أن تخمين رايكنباخ صحيحًا.

وكتبت مجلة السينما الأسبوعية عن الفيلم قائلة: "إن وصف رائع هو أقل وصف يمكن أن يقال عن فيلم "المركب البخاري ويللي".. وقالت صحيفة نيويورك تايمز: "قطعة فنية رائعة مع كثير من الضحك والمتعة"، وقالت مجلة متوعات: "إنه عمل متكامل".. وتقاطرت الجماهير وازدحمت على قاعات سينما ومسرح نيويورك لا لمشاهدة الفيلم الروائي للمعروض وكان اسمه "حرب العصابات"؛ بل لمشاهدة فيلم الرسوم المتحركة لديزني الذي يعرض معه.

كان هاري رايكنباخ على حق؛ فبعد أن أعجب العمل الجماهير بدأ الموزعون الذي يتكسبون من توزيع أفلام الرسوم المتحركة يسعون إلى ما يرضي الجماهير.

الخيانة مرة أخرى

كان ميكي فأرًا صغيرًا فائق الحيوية، وأصبح والت فجأة شخصية هامة لموزعي أفلام الرسوم المتحركة في مدينة نيويورك، وإحساسًا منه بالولاء لصديقه بات بالورز وافق على أن يكون هو الموزع لأفلامه وادعى باورز أنه يريد أن يكون صاحب امتياز توزيع أفلام ميكي كوسيلة لترويج معدات الصوت التي يبيعها.. ومن كل دولار من عائدات توزيع أفلام ميكي سيكون له فقط عشرة سنتات عن كل دولار، ثم يرسل كل المبالغ المحصلة بعد خصم نسبته مباشرة إلى والت وروي.

وقال والت بسعادة بعد أن استلم ٢٥٠٠ دولارُو هو يوقع العقد: "لا أرى أي مشاكل في هذا الاتفاق".

وبينما كان في نيويورك انضم إليه كارل ستالنج، وهو موسيقي كان صديقًا له من أيام مدينة كانساس، وقام بوضع ألحان ثلاثة أفلام من أفلام ميكي وهي أفلام "الطائرة المجنونة" و"الركض الأحمق" و"رقصة مخزن الغلال"، وأقاما معًا في غرفة واحدة بالفندق وأضافا معًا شريط الصوت للأفلام، ثم عاد والت إلى بيته في كاليفورنيا؛ إلى ليلي وروي وهو يشعر بالانتصار.

لم يشعر روي بالارتياح لصيغة العقد.. لم يكن العقد يتضمن أي بند لمراجعة الأموال التي يحصلها باورز، وعليهم فقط أن يقبلوا ما يدعيه ولا توجد وسيلة للتحقق! الأسوأ من ذلك في الصياغة النهائية للعقد أن والت وافق على دفع مبلغ ٢٦٠٠٠ دولار كل عام مقابل استخدام المعدات الصوتية المملوكة لباورز! وحاول والت أن يزيل الشكوك من نفس أخيه، واتهمه في ضيق أنه لا يرى على الدوام إلا الجوانب السلبية للأشياء. كان والت مسحورًا بشخصية باورز الحيوية والمرحة والذي فتح له ذراعيه ولم يتخل عنه في نيويورك في حين كان الجميع قد تخلوا عنه.

ولذلك بقدر ما رأى والت كان المستقبل مشرقًا، وقام بتوظيف أربعة رسامين محترفين مشهورين، وكذلك عدد من الرسامين المبتدئين الذين أنهوا دراستهم في مدرسة الفنون.. وبحلول نهاية عام ١٩٢٩ انتهى من عشرة أفلام جديدة لميكي وهو يحارب القط، وميكي يرقص مع البيانو، والقطار سريع مرح، ولميكي وهو يواجه الأشباح، وميكي ينقذ ميني في البحر، وكوفئ أوب على ولائه وإخلاصه بتخصيص ٢٠ % من أسهم الأستوديو له، ومنحت له الأسهم على أن يسدد ثمنها بالأجل.

وانتشرت حمى ميكي في أرجاء الولايات المتحدة كلها بصوته المميز الذي يؤديه والت بصوته.. وفي خريف عام ١٩٢٩ ابتدعت إحدى دور السينما عضوية نادي ميكي لأطفال المنطقة المحلية، وتبعتها مئات السينمات الأخرى، واتفق أوب ووالت على رسم ركن فكاهي في صحيفة، وقام كارل ستالنج الملحن بوضع لحن متميز اسمه "ميني بوووه هووه" (يقول مطلع الأغنية: أنا الشاب الذي يطلقون عليه ميكي الصغير) وسرعان ما أحرزت نجاحًا وانتشارًا كبيرًا على مستوى كل الولايات.

وبكونه صاحب أشهر نجم كارتوني؛ كان من الممكن أن يركن إلى الدعة والراحة بعض الشيء، إلا أنه لم يفعل ذلك فبعد أن أصبح على رأس مبتدعي الرسوم المتحركة، أراد أن يغير وجه عالم الرسوم المتحركة في العالم بأجمعه.

بدأ من جديد في التفكير في سلاسل جديدة من الرسوم المتحركة لا تعتمد على الإضحاك أو الشخصيات التي تبدو بارعة كما يفعل كل منافسيه.. كان رأيه أن الرسوم التي أسموها من قبل "السيمفونيات السخيفة" يجب أن يعاد رسمها وأن تؤدي رقصتها على موسيقى كلاسيكية، وكان يرى أن ذلك سيفتح آفاقًا جديدة للإبداع، ويفتح فرصة كبيرة للرسامين لإطلاق الخيال إلى ما لا نهاية.

وخلال أشهر بعد عودته من نيويورك بدأ هو وأوب وكارل ستالنج العمل في أول فيلم من أفلام السيمفونيات السخيفة، اسمه "رقصة الهياكل العظيمة"، وكان صاحب الفكرة كارل ستالنج الذي تذكر أنه كان يلهو وهو صغير بلعبة مكونة من هيكل عظمي خشبي مفصلي يجعله يؤدي حركات راقصة. ومع أن الفكرة مرعبة إلا أن الفيلم كان عبارة عن رقصة تؤديها الهياكل العظمية والجماجم في المقابر على ضوء القمر.

ورفض باورز توزيع فيلم "رقصة الهياكل" وطلب مزيدًا من أفلام الفئران، وتذكر والت نصيحة رايكنباخ، وأقنع قاعة سينما في هوليود أن تتيح له فرصة لعرض "رقصة الهياكل العظمية". ولما لاقت نجاحًا وجد باورز نفسه مجبرًا على قبول توزيع سلسلة "السيمفونيات السخيفة".

ومن جديد أصبح لدى والت الأستديو العائلي الذي يسعى إلى تكوينه.. كانت الاجتماعات الليلية متكررة، ويخفف التوتر والإجهاد الناتج عن العمل لأيام طويلة التلهي بلعب البريدج أو كرة المضرب. وفي ساعات الراحة يجتمع والت وليلي وروي وإدنا وأوب وزوجته للعب الورق. وكان والت سعيدًا بالفريق النامي في الأستوديو. ويشعر بالسعادة التي كان يشعرها وهو صبي صغير في مدينة مارسلين حين يجتمع المزارعون من الجيران يبنون الأسوار معًا، ويقومون بالحصاد معًا، ويطاردون الخنازير البرية معًا. كان العمل بأفلام

الرسوم المتحركة من الأنشطة الجماعية أيضًا؛ كل واحد كان يقترح أفكارًا فكاهية وقصصًا جادة يرى أنها من الممكن أن تنفذ.

ويرسم الرسامون المحترفون مئات الرسومات التي يطلق عليها رسومات البدء، ثم يقوم باقي الرسامين بإكمال باقي السلسلة أو تلوينها وتجهيزها وربط الأحداث بينها، وكان المزج بين الموسيقى والرسم معًا في فيلم واحد يحتاج أيضًا إلى كثير من التعاون والصبر. ومن وجهة نظر والت فإنه كان يرى أنه لا يوجد نجوم في هذا العالم، وإنما أعضاء عمل جماعي يعملون معًا من أجل أن تكون كل صورة أفضل من سابقتها.

وكان من الصعب على بعض الرسامين أن يتخلوا عن الرغبة في التميز الفردي ويصعب عليهم الانضواء تحت لواء العمل الجماعي الذي لا يظهر الإبداع الفردي! أوب على سبيل المثال وجد من الصعب عليه أن يترك الآخرين يرسمون عملاً يفتخر بأنه صاحب فكرته وهو "رقصة الهياكل العظيمة"، وكان يشعر أيضًا بالضيق من تكرار تدخل والت وتغييره لأشياء على لوحة رسمه.

والعجيب أن الجانب المالي والتمويلي كان ما زال يشكل عائقًا وقد أدهش ذلك روي! كان ميكي ماوس قد أصبح ظاهرة قومية، جذبت المشاهدين إلى دور السينما في كل الولايات، وكانت أفلام "السيمفونيات السخيفة" قد بدأت تحقيق شهرة هي الأخرى. إلا أن شيكات باورز أصبحت تأتي متباعدة وبقيم أقل من المتوقع.

وفي آخر عام ١٩٢٩ اتجه روي إلى نيويورك لمقابلة باورز ليعرف جلية الأمر؟ وسرعان ما أدرك ما كان كل العاملين في هذا المجال يعرفونه إلا روي ووالت، وهو أن بات باورز ليس لديه ذرة أمانة! ورفض باورز رفضًا قاطعًا إطلاع روي على أي دفاتر مالية.

قال روي لوالت فور عودته: "باورز لص، أقول لك بكل يقين إنه لص. لم يمكنني من الاطلاع على دفاتر الإيرادات"؟.

ولم يصدق والت ما قاله روي عن باورز واتهم أخيه أنه كثير التشكك في الناس! فقال له روي: "حسن، فلتذهب أنت وترى ما يمكنك عمله".

وسافر والت وليلي إلى نيويورك في شهر يناير ١٩٣٠ ليقابل باورز بنفسه ويستجلي الأمر، كما أرسل روي محاميًا يمثل الشركة وكانت خطوة حكيمة؛ حيث ذهب والت بمفرده أولاً للقاء باورز، ووجد نفسه أثناء المقابلة يعيش من جديد تجربته السابقة مع تشارلي منتز! فبعد أن حطم ميكي كل المقاييس لم يعد باورز قانعًا بنصيبه المتفق عليه؛ فأراد أن يمتلك شخصية ميكي!.

اعتقد باورز أنه حاصر والت وأوقعه في المصيدة، وكان يعرف أن الأخوين ديزني في مسيس الحاجة إلى أموال، وكان عن عمد لا يرسل إليهم حقوقهما المالية! واعتقد أنه أن الأوان ليضرب ضربته. عرض على والت ٢٥٠٠ دولار كل أسبوع؛ أي ما يصل إلى ١٣٠٠٠٠ دولار كل عام مقابل أن يصفي الأستوديو وكل أعماله ويأتي إلى نيويورك ليعمل لحساب باورز.. في عام ١٩٣٠ كان دخل رئيس الولايات المتحدة لا يزيد عن ٧٥٠٠٠ دولار في العام.

ولم يفهم باورز شخصية والت؛ فلا يوجد أي مقابل مالي في الدنيا من الممكن أن يغريه بتصفية الأستوديو. كان السبب الوحيد الذي يحتاج المال من أجله هو أن يستمر في العمل لا من أجل المال في حد ذاته.. كان والت عنيدًا حتى نخاع عظمه، وكلما حاول أحد الضغط عليه، كلما زاد عناده وتنائيه!.

ولما رفض والت العرض تحول الماكر باورز إلى الخطة رقم ٢ حيث أخبره أنه قد اتفق شخصيًا مع أوب على أن يعمل مستقلاً عن والت لحسابه هو، وأنه سيدفع لأوب ثلاثة أمثال الراتب الذي يتقاضاه من ديزني. كان أوب الذي يتوق إلى الاستقلال والإحساس بالأمان الاقتصادي قد انهار ولاؤه هو الآخر واتفق مع باورز سرًا للعمل معه! وأظهر باورز برقية تلقاها من أوب تثبت لوالت صدق ما يقول.

ولم يصدق والت عينيه ولا أذنيه! ولم يصدق أن ذلك من الممكن أن يحدث كما حدث من قبل فقد كان أوب صديقه، ونشأ معه في ذلك العمل! كان من المستحيل أن يصدق أن أوب من الممكن أن يفعل ذلك.

قال له باورز ليقضي على آخر مقاومة له: "خذ سماعة الهاتف واتصل بهم هناك، أخوك لديه علم الآن بهذا الأمر".

وحين تحقق باورز من ضيق والت الشديد، حاول أن يخفف من حدة اللطمة.

فبالرغم من كل شيء لم يكن هدفه أوب إيورك بقدر ما كان هدفه السيطرة على والت ديزني! وراح يناور من جديد: "لا تتضايق، أنت لم تفقده بعد. كل ما أريده أن أصل إلى اتفاق معك".

إلا أن والت لم يلن، وقال: "لا، لم أعد أريده، إذا كانت تلك طريقته في التفكير فلم يعد لي به حاجة ولا يمكن أن يعمل معي بعد الآن".

وبعد أن عاد والت إلى كاليفورنيا واجه خيبة أمل أخرى كانت في انتظاره. فقد رأى كارل ستالنج أن رحيل أوب يشكل ضربة قاضية للأستوديو وقرر أن يترك العمل هو الآخر. كانت أعماله الموسيقية في أفلام ديزني قد حققت له شهرة وتلقى عروضًا جيدة من شركات

الرسوم المتحركة الذين أثاروا مخاوفه بإشاعة أن أستوديو ديزني سينهار! وبعد ذلك بـــأعوام صرح كارل لصحيفة الكوميديا قائلاً: "كان الجميع في ذلك الوقت يشعرون أن ديزني تنهار إلا أنني أدركت بعد فترة أن ذلك لم يكن إلا مكيدة، وأنهم كانوا يريدون تحطيم والت".

ولقد عاد الرجلان بعد زمن طويل للعمل في ديزني.. عاد كارل لفترة أقـــصر علـــى أساس العمل الحر بالقطعة، أما أوب فقد عاد للعمل في ديزني عام ١٩٤٠ وظل يعمـــل بهـــا حتى آخر عمره.

وصدم والت في عام ١٩٣٠ واهتز برحيل صديقيه. كان لديه إيمان عميق بمشروعه حتى إنه لم يعرف كيف أن الآخرين يستسلمون بتلك السهولة؟!

وبالرغم من أنه عانى من قسوة رحيل صديقيه، إلا أنه على المستوى العملي لم يؤثر كثيرًا في العمل، فلقد قفزا من المركب بالكاد قبل أن يـــصل الأســـتوديو إلـــى قمـــة النجـــاح التجاري. وفي الحقيقة كان قرار أوب في إعادة نسبة الـــ ٢٠ % من أسهم الأستوديو مقابـــل ٢٩٢٠ دولار من الممكن تصنيفه اقتصاديًا على أنه أسوأ قرار اقتصادي في كل العصور.

بالرغم من أن فسخ العقد مع باورز كلفهم مزيدًا من الأعبـــاء الماليـــة، إلا أن والـــت سرعان ما وقع عقدًا جديدًا بعائد مالي أكبر مع شركة كولومبيا!.

إلا أن والت تعلم درسًا على أي حال؛ تعلم ألا يطلع العاملين معه على الرؤية الكليـــة لمشروعات الأستوديو مثلما فعل مع أوب وكارل؛ فقد كان ذلك يعرض خططه للانتهاك مـــن انتهازيِّي الفرص.

ومنذ ذلك الوقت أصبح العمل الجماعي له صفة القداسة، إلا أن اسمًا واحدًا فقط هـــو الذي يرتبط بإنتاج الأستوديو وإن ذلك الاسم من المحتم أن يكون والت ديزني!.

جمع ما تناثر

بكل المقاييس كان والت ناجحًا.. كان والت الذي بلغ من العمر ٢٩ عامًا قد بدأ يتحول إلى أسطورة وأطلق عليه محرر في إحدى الصحف: "الرجل الكبير ميكي". وأصبحت عوائد الأفلام تردد بانتظام وازدادت كثيرًا!. ومع بداية عام ١٩٣١ أصبحت شركة والت ديزني للإنتاج تضم ٧٥ عاملاً ومستمرة في التوسع والنمو، ومع ذلك كان ذلك العام أسوأ عام في حياة والت.

ونسي مع اعتياده العمل كيف يسترخي ويستريح، وأصبح النوم ترفًا.. كانت ليلي تتكوم كل ليلة على أريكة مكتبه بينما يعمل هو في أنحاء الأستوديو المختلفة، وسيجارة مشتعلة بين أصابعه. يؤرقه أن الرسامين الجدد يحتاجون مرانًا وتدريبًا حتى يحققوا المستوى المطلوب. ويتعكر مزاجه حين يفشلون، وفي تلك الأثناء تخلص من كثيرين من ذوي الحساسية الزائدة من الذين يستسلمون لليأس بسهولة!.

وظهرت آفاق واعدة من جديد أمام والت إلا أنه في أعماقه كان يشعر أنه خسر معركة ويعتريه بعض التشوش.. وفي يأسه من استعادة كامل حماسته وطاقته تحول إلى الماضي. وبطريقة غامضة بدأ يهتم بأكوام الرسائل التي تتدفق إلى مكتبه من أناس عرفوه قبل أن يصبح مشهورًا.. وكتب رسائل إلى ماكنلي صديق المدرسة الثانوية، وكتب إلى صحيفة "أخبار ميرسيلين".

بدأ في تبادل رسائل حميمة مع مدير مدرسة بنتون الثانوية التي كان بها السيد/ چ. م. كوتنجهام، واستعلم منه عن أخبار مدرسته الأثيرة السيدة/ ديزي بيك، وحين أرسلت إليه إحدى مشرفات الصليب الأحمر رسالة وصورة حديثة لها سره ذلك جدًا وأسعده أنها ما زالت تتذكره، وطلبت منه أن يوقع على صورتها ويرسلها إليها لتضمها إلى دفتر الذكريات.

لم يشر أي من الخطابات التي كتبها في تلك المرحلة أنه في مرحلة يعاني فيها من اهتزاز داخلي! إلا أنه لم يتمكن من إخفاء أثر ذلك على سلوكه وملامحه.

وقال في مقابلة أجراها معه الصحفي بي مارتن من صحيفة "ساتر داي إيفننج نيوز" في تحقيق صحفي للجريدة: "في عام ١٩٣١ تناثرت حطامًا، كنت أتوقع مزيدًا من السوء والتدهور في كل ثانية من الرسامين، وحين يخذلون توقعاتي يزداد انزعاجي وقلقي.. وأصبحت شديد العصبية، ووصلت إلى مرحلة وحالة لا أستطيع معها أن أتحدث في الهاتف، كنت أصيح وأصرخ لأسباب لا تستحق ذلك!!".

ولم تضف شركة التوزيع الجديد وهي شركة كولومبيا إلى والت إلا مزيدًا من التوتر! كان رئيسها "هاري كون" من أصعب رؤساء شركات السينما العاملة في هوليود! وسجل المخرج فرانك كابرا عن ذلك في سيرته الذاتية قائلاً: "لقد عامل "هاري كون" والت ديزني بمنتهى القسوة والغباء، وحاول أن يسحقه كما يفعل البولدوزر!".

حتى حياة والت التي يفترض أن يلقى فيها بعض الأمن والراحة تحولت إلى نوع من التوتر؛ فقد حملت ليلي مرتين، ثم لا يكتمل الحمل في المرتين.

وبدأ القلق يعتريهما لعدم قدرتهما على إنجاب طفل، وكان مولد ابن روي، إدوارد، في يناير ١٩٣٠، من الأسباب التي زادت من رغبتهما في أن يكون لهما طفل من صلبهما.

وحين ذهب والت لاستشارة طبيبه أتت وصفته سهلة وبسيطة، وهي أن يمارس تمرينات رياضية كثيرة، وأن يعمل أقل، وأن يبتعد عن الأستوديو.. وراح روي يحرض والت أن يستريح لفترة من العمل.

وفي الخريف غادر والت وليلي مدينة كاليفورنيا لقضاء إجازة على طريقة "الغجر الجائلين". وزارا خلال تلك الجولة مدينة واشنطن وفلوريدا وكوبا، وأنهيا جولتهما قاطعين خمسة آلاف ميل بحرًا من هافانا إلى لوس أنجلوس، وقال والت: "كانت أجمل أيام العمر.. قابلنا كثيرًا من الناس الرائعين المسافرين عبر قناة بنما! كان الجو دافئًا ويساعد على الاسترخاء".

أما ما يخص جانب ممارسة الرياضة كما نصحه طبيبه؛ فإنه راح يجرب الأنشطة الرياضية واحدًا بعد الآخر.. حاول في البداية مع المصارعة، ولم يشعر بانجذاب لممارستها، وجرب الملاكمة، ثم الجولف لبعض الوقت.. كان والت يستيقظ قبل الفجر لممارسة الرياضة حتى يتمكن من الذهاب إلى الأستوديو في الموعد المحدد.

كان يعتريه الغضب حين يفشل في تصويب كرة الجولف، وكان ذلك يعني أنه لم يصل إلى الهدوء النفسي المطلوب! وأخيرًا استقر على ممارسة ركوب الخيل مما أدى به بعد ذلك إلى ممارسة لعبة البولو وأحب والت الخيل، واستمتع كثيرًا بلعبة البولو. وأصبح من الهواة المجيدين لها.

وبعد بضعة أعوام انضم إلى نادي ريتزي ريفيرا، واشترك في مباريات تضم شخصيات هامة على سبيل الاحتفاء بهم منهم سبنسر تراسي وويل روجرز، في الوقت نفسه أصر أن يمارس كثير من الملازمين له والقريبين منه في شركة ديزني الرياضة أيضًا وبعد أن نفذ كل تعليمات طبيبه كان يصر بعدها أنه شفي تمامًا.

وأصبحت تلك التجربة المؤلمة سببًا لأن يتعلم أن يترك العمل لبعض الوقت حين يزيد العبء النفسي، على الأقل حتى يهدأ وأن لا يغضب. وبالرغم من أنه كان ينسى تلك الدروس في بعض الأحيان، إلا أنه لم يترك نفسه بعد ذلك أبدًا أن يصل إلى حد الانهيار النفسي.

ومر "انهياره النفسي" كما أسماه بنفس السرعة التي حل بها. وبحلول عام ١٩٣٢ عاد كما كان؛ الإنسان المتفائل المتحفز دائمًا لتحديات جديدة كما كان عهده دائمًا.

إنجازات غير مسبوقة

بحلول عام ١٩٣٢ أدى الركود الاقتصادي الكبير إلى فقد ١٣ مليون أمريكي لوظائفهم.. ولم يمر انهيار الأسهم والسندات الذي حدث في أسواق الأوراق المالية في نهاية عام ١٩٢٩ كأنه حلم تتقشع آثاره في الصباح التالي كما تمنى الرئيس الأمريكي هربرت هوفر! إلا أن الركود الاقتصادي لم يطل العاملين بصناعة السينما في هوليود وأستوديوهاتها؛ فقد كانت الجماهير تعاني من وطأة الكساد فكانوا يتطلعون إلى ساعات من الترفيه ينسون فيها متاعبهم؛ لذلك زاد الإقبال على ارتياد دور السينما بحثًا عما ينسيهم متاعبهم، وحققت أفلام الرعب مثل دراكيولا وفرنكشتاين نجاحًا كبيرًا، ولاقت من الجماهير إقبالاً لا نظير له، وكذلك لاقت للنجاح نفسه أفلام العصابات والأفلام الكوميدية التي قام ببطولتها ممثلو الكوميديا المشهورون مثل الأخوين ماركس دبليو فيلدز وبطل الكوميديا المحبب لوالت على الدوام شارلي شابلن.

كذلك أيضًا انتعش أستوديو ديزني.. كانت شخصيات جديدة مثل الكلب بلوتو وجوفي قد انضمت إلى ميكي وميني اللذيْن أصبحا نجمين عالميين وأصبح لهما جماهير في جميع أرجاء العالم. وأنهى الأستوديو عقد التوزيع مع كولومبيا وهاري كون وتوصل إلى عقد اتفاق مريح ومجزي مع يونايتد أرتيست (الفنانون المتحدون).

لم تعد المشاكل المالية تؤرق الأخوين ديزني خاصة بعدما عقدا اتفاقًا مع رجل من مدينة كانساس يتولى بموجبه الإشراف على المنتجات التجارية التي تستغل شخصيات ديزني في ترويج منتجاتها.. كان ذلك الرجل هو "كاي كامن"؛ يتمتع بشخصية لطيفة ويبلغ من العمر أربعين عامًا وله أنف ضخم، ونظارات سميكة العدسات، وذقن بارز، وأصبح من الأصدقاء المقربين لعائلة ديزني، وتم الاتفاق بينهما على اقتسام العائد.. وقد كان اتفاقًا مرضيًا للطرفين.. ومن خلال متابعة "كامن" أصبح والت وروي على دراية بأنواع السلع التي تستغل شخصيات ديزني في أنشطتها التجارية.. وقد كان ذلك الجانب من المشاكل التي عانيا منها فيما سبق.

ولما أصبح "كامن" حر التصرف سرعان ما انتشرت سلع كثيرة على أرفف المحال التجارية في أرجاء الولايات المتحدة تحمل شكل ميكي وميني.. ظهر شكلاهما الضاحكان على مقابض فرش الشعر، وعلى الساعات المنبهات، والمناشف، والفونوغراف، والجوارب، والأحذية، والأخفاف، وحمالات الجوارب، والقفازات، والمرايل، والغلايين، ومعاطف الأمطار، وبيوت لعب الأطفال، وأوراق اللعب، ومفارش الأسرة، وورق الحائط، والبيجامات

الخاصة بالأطفال وهكذا، بمجرد أن أصبح روي قادرًا على سداد الالتزامات الشهرية بلا تعثر؛ كان والت قد توصل إلى وسيلة جديدة تجعلهم مدينين ومتعثرين من جديد.

فعلى مدى شهور كان والت يراقب محاولات متعثرة لشركات السينما لإدخال الألوان على شرائط الأفلام، وكان كل ما توصلوا إليه هو إدخال لون أحمر برتقالي ولون أزرق مائل للاخضرار.

ثم سمع والت عن شركة جديدة اسمها تكنيكلر استطاعت أن تحقق إنجازًا غير مسبوق بالتوصل إلى مدى واسع من الألوان في شرائط الأفلام، وتظهر الصور حية وبألوان زاهية.. وحين شاهد والت التجربة استحوذت عليه من الفور فكرة تصوير أفلام الكرتون بالأفلام الملونة.. وكان قد قطع نصف مراحل إنتاج فيلم رسوم متحركة قصير اسمه "الزهور والأشجار"، وأعلن في ذلك الوقت أنه لا بد أن يصور أفلامه ملونة بالرغم من التكلفة العالية والباهظة لتحقيق ذلك.

لم يكن ذلك مقنعًا لوري وكانت أسبابه مفهومة على ضوء أنهم بالكاد بدأوا يستريحون ماليًا بعد تسعة أعوام متصلة من السير على حافة الإفلاس، وتعلل روي بأن الأفلام الملونة ما زالت في طور التجريب، ولم تعطِ نتائج ثابتة بعد، ولم تختبر بما يكفي للاعتماد عليها! قال إن الألوان من الممكن أن تبهت بعد فترة أو تتساقط مادتها من على الأفلام، وتساءل إن كان لها أي فائدة في مرحلة يكرسون فيها جهودهم على سلسلة أفلام كانت مباعة مقدمًا وتلقى نجاحًا كبيرًا؟ وفي كل الأحوال كانت شركة يونايتد أرتست والجماهير راضية كل الرضى بإنتاج ديزني، وقال روي إنه لن يدفع أي سنت زائد من أجل الألوان.

وتعلل والت بأنهم إن دأبوا على تطوير أفلامهم على الدوام فإن ذلك وحده يضمن لهم استمرار تدفق الأرباح.

كانت معركة تقليدية نمطية بين شخصية والت الجامحة التي لا ترتبط بقيد وشخصية روي المحافظة العقلانية.. وحين اتجه والت إلى المغامرة بالمال الذي جمعوه بالكد والتعب، انفجر الشقيقان في مشاحنات عالية الصوت، ووجوه متقلصة غضبًا، وتلويحات متشنجة بالأيدي.

وعلق چون هينش وهو أحد العاملين معهم لفترة طويلة على موقف الأخوين قائلاً: "كان أقصى طموح روي في الحياة أن يظل بعيدًا عن الاستدانة، وكانت كل توجهات والت في الحياة تدفع روي إلى الاستدانة على الدوام".

وبالرغم من تفجر كل منهما بدوافعه، إلا أن معاركهما ظلت دومًا بعيدًا عن أعين الآخرين حتى إن والت ردع ذات مرة أحد العاملين حين شكا له شقيقه روي قائلاً: "انتبه، إن

من تتحدث عنه هكذا هو أخي، إذا كان هناك خلاف بيننا فإن هذا أمر يخصني أنا وأخي وليس من حقك أن تتدخل لن أسمح لك أبدًا أن تتحدث عن أخي بطريقة لا ترضيني"؟

لم يكن ولاء والت لأخيه روي ينبع فقط من أخوتهما، بل كان مرجعه أيضًا إلى أن طبيعة روي المحافظة كانت من الجوانب الهامة جدًا للشركة في الحفاظ على مصالحها، كان عناد روي في أحيان كثيرة دافعًا هامًا لوالت لتطوير كثير من الأفكار، وحين يفعل والت ذلك كانت المسافة التي تفصلهما في المواقف المختلفة تضيق وتقل.

وهكذا أعلن والت لأصحاب شركة تكنيكلر أن أخيه ضد فكرة الأفلام الملونة، وقال لهم إنه يمكن إقناع أخيه أن يوقع معهم عقدًا إذا تضمن العقد بندًا ينص على ألا تستفيد أي شركة أخرى من الأفلام الملونة لمدة عامين.. ووافقت شركة تكنيكلر على ذلك البند، ولم توقع العقد، وبذلك ضمن أن سلسلة "السيمفونيات السخيفة" ستنهض من بين حطام التنافس كما يصعد قوس قزح إلى عنان السماء، أما ميكي ماوس فلم تلون سلاسلها إلا بعد ذلك بثلاثة أعوام.

كانت قصته "الزهور والأشجار" قصة بسيطة، عن شجيرتين إحداهما شجرة كولد جميل شاب والأخرى كبنت جميلة شابة وقعا في حب بعضهما إلا أن شجرة ثالثة هي رجل عجوز شرير يطارد الشجرة الفتاة وكان على الشجرة الشاب أن يصارع الشجرة الرجل العجوز من أجل إنقاذ فتاته وأضرم الشرير النار في الغابة، إلا أن النار أحرقته، ثم أمطرت السماء وأطفأت النيران وتزوج الحبيبان.

ومع أن القصة غريبة بشكل ما، إلا أن الألوان جعلتها تحفة للمشاهد الذي لم يعرف من قبل إلا الأبيض والأسود.. لم يقتصر الأمر على السماء الزرقاء والحشائش الخضراء والزهور الحمراء؛ بل كانت الألوان معينًا على الانتقال من انفعال إلى آخر، ونال والت جائزة أكاديمية السينما عن فيلم "الزهور والأشجار" في نوفمبر عام ١٩٣٢، كما نال جائزة خاصة عن ابتداعه لشخصية ميكي ماوس. ومن وجهة نظر مهنية أحرز والت سبق الاعتراف به وأصبح في صدر المهنة.

وتدفق الفنانون والرسامون على الشركة؛ كثيرون منهم كان من الممكن أن يعملوا بأتفه أجر لمجرد أن يتحصل على فرصة عمل أثناء الكساد الكبير.. وأضاف والت منشآت ومباني جديدة إلى الأستوديو ثم كرس جهوده لتحسين كفاءة العاملين، وقال عن ذلك: "كنت أوقن أن أي توجه لتحقيق نجاح جديد لا بد أن يكون عن طريق تحسين كفاءة العاملين.. في العام السابق رتب والت لبعض العاملين تلقي دروس في معهد كوينارد للفنون".

أما في ذلك العام فقد اتفق مع مدرسي الفنون على أن يأتوا إلى الأستوديو من معهد كوينارد بضعة ليالٍ كل أسبوع.. كان الفنانون الذين يتنمرون من قضاء ساعات إضافية في التدريب يستبعدون من الفور، أما الغالبية من الفنانين فقد كانوا سعداء بتلك الفرصة لمزيد من التعلم والمران.

لم تكن ترقية ملكات العاملين كافية وحدها لجذب المشاهدين وجذبهم إلى مقاعد السينما.. رأى والت أنه لا بد أيضًا أن يهتم بمضمون القصص التي يقدمها، وشكل له ذلك الأمر أهمية قصوى؛ حيث كانت الأفلام المتحركة التي تقدم بدءًا من عام ١٩٣٠، والتي نالت إقبالاً عبارة عن أفلام عصابات وأفلام حركة.. وكان بوسكو الذي قدمته شركة وارنر إخوان شبيهًا بميكي ماوس يقدم مواقف فكاهية، وهي في الغالب مواقف مكررة مثل انقسام بوسكو وانشطاره إلى أشكال كثيرة أصغر له حين يقع من مكان مرتفع.

ولم تكن الضفدعة "فيلب" التي ابتدعها أوب بعد أن ترك ديزني أفضل حالاً، ولم تهتم شركة فان بويرن بأن تجعل للدب الذي قدمته في أفلام الرسوم المتحركة نفس الشكل في كل أفلام الدب.

وجاء استحداث لوحات للقصص المقدمة في شركة ديزني كابتكار عظيم أدى إلى تقديم قصص أقوى وأكثر إحكامًا.. كانت تلك اللوحات تبلغ مساحتها ثلاثة في خمسة أقدام وتعلق عليها مئات من صور القصة، يتابعها المصمم بالتفصيل معروضة أمامه.

واهتم والت اهتمامًا كبيرًا بتلك اللوحات التي مكنتهم من الإضافة والحذف وإدخال مواقف أكثر إضحاكًا.

أفادت أيضًا تلك اللوحات في إحكام تطوير شخصيات الكرتون؛ ميكي مثلاً لم يعد مهرجًا كما وصفه أستوديو منافس، فقد تم تطوير شخصيته بحيث "لا يكون سخيفًا ولا غبيًّا. ويختلف عمره باختلاف الموقف.. أحيانًا تكون سلوكياته لشاب صغير، وفي قصص أخرى يبدو كناضج حكيم".

وعكف الفنانون في أستوديو والت على رسم الشخصية مئات المرات، مثلما تفعل الشخصيات الحية في الأفلام الدرامية الأخرى من إعادة تصوير المشاهد حتى تحقق أفضل مشهد، ولكن على عكس المشاهد الحية البشرية التي يستعمل فيها الممثلون أصواتهم وأجسامهم كان الرسامون يستخدمون أقلامهم.. ويقول مارك دافيز عن ذلك: "أنت تهب الأداء صدقه من خلال الشخصية التي ترسمها، وأنت تضع شخصيتك في شخصية الكلب الذي ترسمه أو ذلك الفأر أو أي شخصية حية تدب فيها الحركة والحياة.. إذا فشل شيء فلا بد أن تلوم نفسك على ذلك الفشل".

وقال بيل كوتريل الفنان والصحفي: "كان والت يحب دائمًا أن تكون لرسوماته شخصية وأبعاد مميزة".

وأعطى اهتمام والت بالشخصية والقصة ثماره في فيلم "ثلاث خنازير صغيرة" عام ١٩٣٣؛ فمع ازدياد الكساد أتت القصة قوية ومعبرة عن ذلك. كان ملايين الأمريكيين يشعرون أن الذئب الشرير سينفخ بيت الخنازير ويقوضه، إلا أنه فشل وغنى الخنازير في النهاية معًا: "من الذي يخشى الذئب الشرير؟".

وقامت إحدى دور السينما في نيويورك بإطالة شعر سوالف صور الخنازير المعلقة على واجهة السينما كلما طالت أشهر عرض الفيلم وامتلأت.

كان ذلك الفيلم إنجازًا جديدًا نال عنه ديزني جائزة أخرى من أكاديمية السينما بعد فيلم "الزهور والأشجار".. وبالرغم من أن زمن الفيلم لم يتجاوز ثمانية دقائق، إلا أنه احتوى على كل المواصفات التي أرادها والت من المشروع المطور: العمق، والإحساس، والأخلاقيات، وكثير من الشخصيات المطورة".. وحاز الفيلم على إعجاب العالمين بصناعة السينما والجماهير على حد سواء كما ذكر ديزني بعد ذلك وقال: "من الممكن أن تكون الأفلام أعمق كثيرًا من مجرد تقديم فأر يقفز هنا وهناك".

بابا

مارس والت مهام الأبوة على مدى سنوات طويلة، ومهما كانت ساعات العمل طويلة، إلا أنه لم يهمل أبدًا جانب الحياة الأسرية.. وبالرغم من أنه لم يكن لديه طول تلك السنوات أبناء من صلبه، إلا أن أبناء الأقارب كانوا كثيرين، وكانت تجمعات حفلات الشواء في أيام الآحاد كثيرة ومتكررة ومنذ أن انتقل شقيقاه هربرت وراي إلى لوس أنجلوس؛ أصبح الأشقاء الأربعة يواظبون على التجمع في إجازات الأحد.. كان والت وليلي يصحبان في خروجهما أبناء الأشقاء والشقيقات، ابنة هرب، دوروتي، ومارجوري ابنة هازيل، ويصطحبان كلبهما ويشتريان الآيس كريم للجميع.

ولما كان والت شغوفًا منذ صغره بلعب الأطفال التي لم يشترها أبدًا ولم يمتلك أي منها في طفولته؛ فقد حرص على ألا يشعر أي طفل من الذين يعرفهم بمشاعر الحرمان التي عانى منها في طفولته، لذلك ظل يشتري على الدوام لعبًا لكل الأطفال الذين يعرفهم ولم ينقطع عن ذلك أبدًا.

كان كريمًا في الأمور الكبيرة كما كان كريمًا في الأمور الصغيرة.. ولما حان موعد تخرج دوروتي من أول مرحلة دراسية؛ كان فستان التخرج هدية من عمها والت، كما أرسل ابن شقيقة ليلي للدراسة الجامعية على نفقته الخاصة كذلك تولى نفقات عرس مارجوري ابنة هازيل ورتب لها قضاء شهر العسل في أوروبا على نفقته الخاصة.

كانت علاقته بمارجوري ابنة هازيل علاقة خاصة جدًا.. كانت هازيل وابنتها مارجوري قد انتقلا للإقامة مع ليلي ووالت بعد طلاق هازيل عام ١٩٣٠ وأحب والت قيامه بدور الأب لمارجوري فإذا تأخرت مارجوري في الخارج ليلاً، يظل بانتظارها ويطل من أعلى السلم ليطمئن عليها حين يسمع صوت باب البيت وهو يفتح ولما التحقت مارجوري بمدرسة داخلية عام ١٩٣٢ كان يصر على أن تقضي نهاية الأسبوع بالبيت معهم.

لم يكن أي من ذلك من الممكن أن يعوضه عن تطلعه لأن يكون له أبناء من صلبه. وكلما حملت ليلي كان يشعر بسعادة كبيرة، ثم تصيبه صدمة عنيفة حين تجهض، وأخيرًا حين حملت ليلي في منتصف عام ١٩٣٣ استمر حملها حتى نهايته الطبيعية وفي ١٨ ديسمبر من عام ١٩٣٣ كان والت في احتفال يتسلم فيه جائزة من مجلة "الآباء" وفي منتصف الاحتفال، سلمه شخص ما ورقة بها رسالة، ولما تطلع إليه الحاضرون في تساؤل اندفع والت خارجًا من قاعة الاحتفال دون أن يتفوه بكلمة!.

كانت ليلي قد جاءتها آلام المخاض وأسرع والت إلى المستشفى ووصل إليها في الوقت المناسب. كان آخر ما سمعته قبل أن يغيب وعيها تحت تأثير المخدر هو السعال العصبي لوالت.

وخلال ساعات كانت ديان ماري ديزني قد جاءت إلى هذا العالم وجن كل من بالأستوديو فرحًا؛ انشرح روي وزوجته إدنا وقالت مارجوري التي كانت بمدرستها الداخلية إن كل من كانوا معها في قاعة النوم شاركوها فرحتها حين علمت بمولد ديان ماري ديزني.. وبشهادة الجميع كانت ديان طفلة جميلة تثير الإعجاب، وكان والت أبًا محبًّا ومعطاءً من البداية، ومكنته إيرادات فيلم "الخنازير الثلاثة الصغيرة" من بناء فيلا من طابقين على طراز تيودور الإنجليزي، وبها حوض سباحة في الصخور الجبلية التي يقع البيت بينها.

كان الطابق العلوي يحتوي على غرفة حضانة ومعيشة ديان وفي الكريسماس اتسع السقف العالي الذي يصل ارتفاعه إلى طابقين في غرفة المعيشة لشجرة كريسماس عملاقة مست قمتها السقف العالي وحين بلغت ديان عامًا من عمرها، جلست تحت تلك الشجرة المتألقة، تحيط بها لعبها من مختلف الأحجام والأوصاف.

وتاق والت بعد تلك التجربة أن يكون لديه أطفال أكثر إلا أن إجهاضًا آخر حدث لليلي مما أقنع والت بالكف عن مزيد من المحاولات وبدلاً من ذلك قررا بعد عدة أعوام أن يتبنيا طفلاً آخر، وفي يناير ١٩٣٧ تبنيا طفلة عمرها أسبوعين أسمياها شارون ماري ديزني.

ولم يكن أحد يتحدث عن موضوع التبني نهائيًا، أما والت وليلي فقد أحبا الطفلتين وعاملاهما بنفس القدر من المساواة والحب.. وقد شرح والت لابنته ديان حين بلغت الخامسة من عمرها ذلك الموضوع بألفاظ بسيطة قائلاً: "لا توجد إلا وسيلتان لأي امرئ ليكون لديه أطفال؛ أن ينجبهم بنفسه أو يتبناهم".

كانت تقاليد الأسر الثرية في ذلك الوقت أن يكون للطفل مربية خاصة تتعهده بالرعاية، وبعد أن تزوجت هازيل زوجها الثاني وانفصلت عن أسرة والت جاءت شقيقة أخرى لليلي وحلت محلها وهي جريس، وقامت بدور المربية للطفلتين وتقوم برعايتهما حين يكون الأبوان خارج المنزل أو في رحلة بعيدة.

لم تدرك الطفلتان بالطبع مدى شهرة وأهمية أبيهما، وتصرف هو أيضًا في البيت كما يتصرف أي أب محب لأبنائه. كان يمسك كل طفلة من قدميها ويدور بها في الهواء وهما تصرخان من الخوف والفرح في آنٍ واحد، ويحكي لهما الحكايات ويلعب معهما لعبة الساحرة الشريرة حتى تصرخان من الفزع والإثارة وكانتا تحبان تلك الألعاب.

قالت شارون بعد أن كبرت: "لقد ربانا أبي دون أن نعرف أنه من رجال المجتمع العظماء، لم يكن بالنسبة لي إلا أبي.. يذهب إلى عمله كل صباح ويعود للبيت كل مساء مثل أي أب".. ولو كانت هناك أي مشكلة من الممكن أن تقع للفتاتين فإنها كانت بكل تأكيد مشكلة بعيدة عن سيطرة والت؛ ففي أول مارس عام ١٩٣٢ م اختطف ابن تشارلز ليندبرج من فراشه وهو طفل رضيع.. كان ليندبرج من أشهر الشخصيات في أمريكا بعد أن عبر المحيط لأول مرة بطائرة، وطلب المختطفون فدية مقدارها ٥٠٠٠٠ دولار ودفع المبلغ بالفعل وبعد ستة أسابيع وجدوا جثة الطفل نصف مدفونة على بعد خمسة أميال من منزله.

وكان لهذا الحدث المفزع تأثير شديد على والت وليلي. فاما بوضع قضبان وأطر حديدية على النوافذ وتجنبا حضور الأماكن والمناسبات العامة وأخفيا عن الصحافة أي شيء يخص ابنتيهما.. كان من المغري لهما أن ينشرا صورة ابنتيهما وهما تحتضنان ميكي ماوس، إلا أن والت لم يسمح بذلك أبدًا.

وبذل والت وزوجته مجهودًا صادقًا في ألا يدللا ابنتيهما لدرجة الإفساد بالرغم من ميل والت لإغراق البنتين بالهدايا واللعب، إلا أنه تعلم ألا يهبهما كل ما تطلبانه من الفور مهما كان شيئًا صغيرًا.

وقالت ديان بعد ذلك: "أيقن والدي بعد فترة أنه كلما ازدادت رغبتك في شيء، كلما زاد حبك لهذا الشيء بعد أن تناله". وبالرغم من ذلك لم يكن لدى البنتين شك في موقعهما من نفس والت، وقالت ديان بعد أعوام: "كان أبي أحن أب في العالم".

سنو وايت "ثلجية البياض"

بحلول عام ١٩٣٤، أصبح لدى والت منزل رحل فسيح، ويمارس لعبة البولو في نادي ريتز، ويمتلك سبعة خيول من الفصيلة الخاصة بلعبة البولو، ولديه بستاني يشرف على الحديقة. كان العائد التجاري قد أصبح يدر دخلاً يجعل حياته وحياة أسر إخوته سهلة ميسورة، وقرر والت أن يغامر بكل ذلك، وأن يغرق في الديون بإقدامه على إنتاج أول فيلم درامي كامل من الرسوم المتحركة. كانت أفلام الرسوم المتحركة لا تتجاوز مدة عرضها ست دقائق، وكان ذلك يعني أنه سينتج فيلمًا يساوي ٢٣٠ ضعفًا لأي فيلم للرسوم المتحركة. كانت التقديرات المبدئية، والتي تبين بعد ذلك أنها كانت أقل كثيرًا عن الحقيقة تقدر تكلفة إنتاج مثل ذلك الفيلم بنصف مليون دولار.. وأصاب الفزع والرعب كل من روي وليلي فبعد أن عرف الأخوان ديزني أخيرًا كيف يحققان النجاح في الأفلام القصيرة ويعيشان في يسر من عائدها فلماذا المخاطرة والمجازفة بكل شيء بعد أن استقرت بهما الحياة؟

ولم تشكل مسألة التمويل أي خوف أو جزع لوالت على الإطلاق، لم يجعل منه نجاحه محافظًا أو خائفًا من خسارة كل ما حققه. وقال عن ذلك فيما بعد: "الناس ينظرون إلي ويقولون هذا الرجل لا يهمه المال، وهذا غير حقيقي، فأنا أهتم بالمال، هناك أناس يعبدون المال كشيء يكسبونه ليراكموه في مكان ما أما أنا فأفكر بالمال بطريقة واحدة، وهي أن أفعل به شيئًا".

كان والت في واقع الأمر لديه أسبابًا عملية في خلق سوق جديدة لأعماله. كان توجه قاعات السينما منذ منتصف الثلاثينيات ينحصر في عرض فيلمين؛ مما لا يترك مجالاً لعرض بضعة أفلام كارتونية في العرض نفسه، علاوة على ذلك كان والت قد فقد كثيرًا من تفوقه وسبقه على الأستوديوهات الأخرى العاملة في مجال الرسوم المتحركة، بعد أن أصبح كل منافسيه يعرضون أفلام كارتون بالصوت. وحين انتهى عقده مع شركة تكنيكلر لاحتكار الأفلام الملونة لمدة عامين؛ أصبح بإمكان باقي الأستوديوهات تقديم الأفلام الملونة للرسوم المتحركة مثله تمامًا، بل إن شركات أخرى كانت تقدم نجومًا كارتونية جديدة نالت شهرة أيضًا مثل شخصية "بوب آي"، وبشخصيات متميزة وقوية.

قالت والت: "كنت أدرك أنه لو كان لنا أن نطور أنفسنا فلا بد أن نتجاوز صناعة أفلام الرسوم المتحركة القصيرة".. فكر في البداية في عمل فيلم طويل للرسوم المتحركة يدور حول قصة "ريب فان وينكل" أو قصة "أليس في بلاد العجائب". وأخيرًا استقر على "سنو وايت"

(ثلجية البياض). وقال والت: "كان لدينا في تلك القصة ثلاثة أقزام متعاطفون، وشخصية الملكة الشريرة، والأمير، والأميرة، وقصة حب رومانسية، وأظن أنها قصة متكاملة".

كانت قدرته على العمل وحماسته كافيين لإشعال حماس كل العاملين.. وفي ليلة من بدايات عام ١٩٣٤ دعا الرسامين للعشاء، ثم اصطحبهم بعد العشاء إلى خشبة مسرح مضيئة، وعلى خشبة المسرح مثل أمامهم القصة بمفرده، مثل دور الملكة الشريرة التي تهدد سنو وايت، ثم مثل سنو وايت وهي تقطف الورود من الغابة، ثم قام بتمثيل كل فرد من الأقزام السبعة منفردًا وبعد ثلاث ساعات من التمثيل المضني، قام بدور الأمير الذي يقبل سنو وايت لتعود إليها الحياة، ثم اختتم العرض المنفرد بتمثيل دور الأميرة سنو وايت وهي تعود إلى الحياة.

استحوذ أثناء تمثيله على اهتمام مشاهديه، أما خارج الأستوديو فقد انتشرت الشائعات أن والت فقد صوابه. كانت المناقشات الدائرة حول إنتاج فيلم كامل طويل من الرسوم المتحركة محتدمة وعلى أشدها، وكانت الآراء تدور حول: "لن يظل أي مشاهد جالسًا في مقعده لمدة ساعة ونصف لمشاهدة فيلم رسوم متحركة.. الألوان ستؤذي عيونهم.. الناس تمل من مشاهدة فيلم عن العصابات لمدة ساعة ونصف فما بالك بالرسوم المتحركة.. كيف يصدق المشاهد قصة حب بين فتاة وفتى من الكرتون؟" وانتشر بين الجميع أن "سنو وايت" ستكون حماقة والت الكبرى.

وتجاهل والت كل تلك الآراء، بل إنه قام برحلة إلى أوروبا بصحبة ليلي وشقيقه روي وزوجته إدنا في عام ١٩٣٥ وعاد منها بمعنويات مرتفعة. وحماس زائد، اكتشف في رحلته إلى أوروبا أن قاعات السينما بها تعرض ستة أفلام لميكي ماوس متتابعة وكان المشاهدون مستمعين لا ضجرين.

وفيما بين عام ١٩٣٤ وعام ١٩٣٧ استمر الأستوديو في التوسع. في بداية تلك المرحلة كان الأستوديو يضم ٢٠٠ من العاملين، بما فيهم أوركسترا موسيقي وأربعين رسامًا، وخمسة وأربعين مساعد رسام، وفي عام ١٩٣٥ أضاف ٣٠٠ رسام جديد.

وبالرغم من أن "سنو وايت" كان محور اهتمامه؛ استمر والت في متابعة أدق التفاصيل بالأستوديو التي تصل إلى آلاف الجوانب!. وذات يوم حين كان يستمع إلى برامج إذاعية اكتشف والت رجلاً يدعى كلاريني ناش كان لديه مقدرة فذة في تقليد أصوات الطيور المختلفة.

وتعاقد معه والت من الفور براتب مقداره ٤٠ دولارًا في الأسبوع وهو ضعف ما كان يتقاضاه في شركة الألبان التي كان يعمل بها.

وقضى ناش عامًا بالأستوديو في تقليد أصوات الطيور في أفلام الكرتون، قبل أن يتوصل إلى الأصوات المميزة لشخصية دونالد دك التي ابتدعها والت وصارت من أكثر الشخصيات شهرة في عالم الرسوم المتحركة. وبذلك انضمت تلك الشخصية إلى باقي شخصيات دونالد المشهورة ميكي وجوفي.

كانت لدى والت لمسة خاصة يضفيها على كل شخصية كارتونية. وظل يقوم بنفسه بتسجيل صوت ميكي ماوس المميز. وقال مازحًا ذات مرة إن مصدر قوته في أنه لا يفعل شيئًا جيدًا بالفعل، إلا أنه يعرف شيئًا من كل شيء: الفن، التمثيل، الموسيقى، الآلات الميكانيكية؛ بل وتطور الحبكة الفنية والقصصية. كانت لديه قدرة غير محدودة في نقد أي قصة رسوم متحركة، وإظهار كيف يمكن تحسينها وتطويرها، وقال وارد كمبال الذي انضم إلى الأستوديو عام ١٩٣٤، وأصبح من أشهر رسامي ديزني بعد ذلك: "في كثير من المرات كان يدفعنا إلى الجنون، إلا أننا بعد ذلك ندرك ما كان يعنيه ونتساءل: لماذا لم نفكر في ذلك فعلاً؟".. وإن كانت هناك مشكلة في أحداث قصة أو أن نهايتها مقبضة؛ فإنه يبدو عليه الانهماك الشديد في التفكير، ثم يخرج بالحل الملائم".

وخلال الأعوام الثلاثة التي استغرقها إنتاج فيلم "سنو وايت" كان الأستوديو قد أنتج ٦٤ فيلمًا للرسوم المتحركة القصيرة، وفاز بخمس جوائز من الأكاديمية، وأنتج أول فيلم كارتوني ملون لميكي ("كونشيرتو الفرقة")، وأطلق شخصيته دونالد دك.. كما لو كان كل ذلك غير كافٍ حتى يظل طاقم الأستوديو في عمل مستمر ودءوب.. خطا والت خطوة جديدة باتجاه التدريب؛ فزاد من زمن حصص التدريب إلى نصفي يوم كل أسبوع عدا التدريب اليومي الليلي.

درس رساموه علوم الحركة بدءًا من حركة قطرات الماء الساقطة في الأمطار؛ في الجو الهادئ والعاصف، إلى حركة رءوس الزراف حين تمد أعناقها في حديقة حيوانات لوس أنجلوس.. وقال والت: شعرت بيقين أننا لا يمكن أن نقدم أشياء جذابة معتمدة على الواقع إلا إذا عرفنا أولاً ما هو ذلك الواقع.

وباكتمال ٢ مليون صورة مرسومة لفيلم سنو وايت كان قد تم مناقشة كل جانب من جوانب الحبكة والموسيقى مرات كثيرة، وكانت أسماء الأقزام موضوع مناقشات ساخنة، وبعد شهور استقر على أسماء: دوك: جرمبي، هابي، سليبي، سنيزي، باشفل، واستقر على تسمية السابع باسم دوبي مع أن الآخرين في الأستوديو اعترضوا على الاسم الأخير لأنه قد يعطي انطباعًا بأن الأقزام السبعة مدمني مخدرات.

قال أحد الرسامين: "لم يكن أمام ديزني على الدوام إلا وسيلة واحدة لا يؤمن بغيرها؛ وهي أن كل شيء نفعله لا بد أن نفعله أفضل من أي أحد آخر، وكان اختراع الكاميرا متعددة المستويات سببًا في دفع أفراد أطقم العمل دفعة تطورية كبيرة. مكنتهم الكاميرا الجديدة من خلق إيحاء بالعمق في الصورة؛ وذلك بلصق صورة خلفية على زجاج.. وبذلك أصبحت الصور الأقرب إلى الكاميرا تبدو أقرب إلى المشاهد عن الصور التي تحتها؛ مما خلق بعض العمق في الرسوم وفي الفيلم بوجه عام.

وفي أخريات عام ١٩٣٦ وبدايات عام ١٩٣٧ كانت تلك التقنية الجديدة سببًا في نيل والت جائزة جديدة عن فيلم من أفلام السيمفونيات السخيفة اسمه "الطاحونة القديمة"، ثم عن فيلم آخر من سلسلة السيمفونيات السخيفة وهو فيلم "ربة الربيع"، كما أتاحت للرسامين أن يطبقوا التقنية الجديدة على الأشكال البشرية.

وبالرغم من أن الرسامين عملوا ليالي طويلة وعطلات نهايات الأسابيع في رسم سنو وايت دون أن ينالوا عن ذلك أجرًا إضافيًا إلا أن فاتورة تكلفة سنو وايت كانت ترتفع بشكل مخيف. تحول تقدير والت لتكلفة الفيلم من ٥٠٠٠٠٠ دولار ليصبح مليون دولار، ثم قفز من جديد إلى ١,٥ مليون دولار وراح روي يتوسل إلى أصحاب البنوك ليمدوهم بتمويل إضافي وقال والت مازحًا: كنا نفكر في تغيير الاسم من سنو وايت إلى فرانكنشتاين.

استغرقت المشاهد الأولى التي تقع في ثلاث دقائق والتي تصور الأقزام وهم سائرون في الغابة ويغنون "هاي هو" ستة شهور لتنفيذها، ومشهد آخر معقد استغرق وقتًا طويلاً في رسمه إلا أنه حذف بعد ذلك لأنه كما قال والت غير متجانس مع حبكة العرض.

وحين اكتمل الفيلم على وجه التقريب رأي والت أن ستو وايت تبدو شاحبة جدًا وأمر المحبرين والملونين أن يعودوا إلى عملهم؛ ليضيفوا إلى خديها ووجهها الألوان التي تجعل وجهها أكثر حمرة وانتعاشًا في عشرات الآلاف من الرسوم، وأثار ضيق والت أنه لا يتمكن من إصلاح كل ما يود إصلاحه، وبالرغم من أنه كان لا بد من الانتهاء من الفيلم قبل الكريسماس حتى لا يفقدوا الجمهور الضخم الذي يخرج لمشاهدة الأفلام في إجازة الكريسماس وبالرغم من صورة الأمير التي بدت مهتزة، إلا أنه لم يكن هناك من الوقت ما يكفي لتثبيت تلك الاهتزازات.

وفي ٢١ ديسمبر عام ١٩٣٧ بدأ أول عرض لسنو وايت في قاعة سينما كارثي الدائرية في لوس أنجلوس، وكان الفيلم من أمتع وأبهج العروض الأولى في تاريخ السينما، وحضر حفل الافتتاح شارلي شابلن، كاري جرانت، جاك بنيي، تشيرلي تمبل، جنجر روجرز، وچورچ وجرانتشي آلان.. ويتذكر وارد كامبل أشهر رسامي ديزني تلك الليلة: "كانت أكثر

لحظات الفيلم إثارة حين كانت سنو وايت تموت وتتمدد على الحشية.. كانت رسومًا متحركة إلا أن كل المشاهدين كانوا يبكون وكل النجوم الكبار كانوا يجففون مآقيهم من الدموع المنسالة وحين انتهى عرض الفيلم وعادت سنو وايت إلى الحياة بعد أن قبلها الأمير قام كل المشاهدين سعداء ومبتهجين"!.

المأساة

بعد أقل من أسبوعين من الاحتفال المدوي والاحتفاء العام بالعرض الأول سنو وايت؛ قامت عائلة ديزني المبتهجة بإقامة احتفال كبير في الذكرى الخمسين لزواج أمهم وأبيهم، إلياس وفلورا، واستعار والت من الأستوديو جهاز تسجيل صوتي وأعلن روي من خلال مكبرات الصوت: "هنا محطة ديزني للإذاعة وسوف نستمر معكم في إذاعة احتفالية العيد الخمسين لزواج السيدة والسيد ديزني".

وعلى شريط التسجيل أجرى والت حوارًا مع أمه وأبيه متقمصًا صفة مذيع في الإذاعة على سبيل المزاح. وقضوا أمسية رائعة وغنت العائلة كلها معًا أغنية "المفتاح ليس بالباب"، وضحكوا كثيرًا على ديان ابنة والت حين كانت تنطق كلمة تهاني بطريقة مضحكة، ثم قرأت عليهم ابنة روي التي كانت في الثامنة قصة بينوكيو.

كانت هناك أسباب كثيرة أخرى لدى العائلة تستدعي الاحتفال.. كان كل أبناء إلياس ديزني باستثناء راي قد تزوجوا جميعًا زيجات سعيدة، وأصبح بالعائلة خمسة أحفاد وكان إلياس وفلورا قد وافقا أخيرًا على الانتقال إلى هوليود واشترى لهم والت منزلاً مستقلاً.

على مدى الأعوام كان الأخوان ديزني مهتمان بوالديهما، وبالرغم من إنجازات ابنيهما؛ أصر ابناهما الكبيران أن يعيشا حياتهما التي اعتاداها.

كان الأبوان يؤجران غرف منزل لهما في بورتلاند كمصدر للدخل واستمرا في الأعمال الشاقة وأصاب الرعب كل العائلة حين أصيبت فلورا بجلطة صغيرة في المخ في منتصف الثلاثينيات، ثم أصابتها جلطات أخرى متتالية، وكتب والت إلى أمه في إحدى رسائله قائلاً: "أنا أؤمن أن صحتك أهم كثيرًا من أي مكاسب مالية تحققانها بهذا المجهود الشاق، فالمال لا قيمة له في النهاية إذا لم يكن لدينا صحة جيدة لنستمتع به".

وأخيرًا وافق العجوزان أن يستريحا واعتادا حياة كاليفورنيا بسرعة، واستمتعا بالبيت الجديد وبمديرة المنزل التي ترعى شئون البيت، وعاونتهما إدنا وليلي في تزيين المنزل.

وباستثناء روث التي ظلت في بورتلاند مع زوجها أصبحت عائلة ديزني تحيا معًا كما اعتادوا من قبل وحاول والت وروي أن يغريا شقيقهما هرب أن ينضم إليهما، إلا أنه أصر على تفضيل مهنته كساعي بريد، وكان والت كثيرًا ما يذكر أن شقيقهما الأكبر هرب هو أسعدهم جميعًا لأنه كان راضيًا وسعيدًا بحظه من الحياة.

وعمل راي بترويج وثائق التأمين على الحياة، ولم يتزوج أبدًا وكان شخصية غريبة في نظر الجميع.. كان يدخن السيجار على الدوام ويطوف شوارع لوس أنجلوس راكبًا دراجة قديمة عليها سلة كبيرة في مقدمتها.

وفي نهايات الأسابيع، كان والت يحضر طفلتيه إلى منزل أبويه ليقضيا وقتًا معهما ويتبادلوا الأحاديث، وفي أيام الآحاد تجتمع العائلة في منزل روي للعب الكروكيه وتبادل الأحاديث وتناول الشواء، وكان روي يرى أن ذلك النمط من الحياة هو نمط الغرب الأمريكي الأوسط التقليدي.

ثم وقعت المأساة في شهر نوفمبر ١٩٣٨.. كانت أمهم فلورا تشتكي من موقد الغاز على مدى أسابيع، وأرسل والت أحد عمال الأستوديو لإصلاح فرن الغاز، ولم يتم إصلاحه بشكل جيد، وفي الصباح الباكر يوم ٢٦ نوفمبر ١٩٣٨ بدأ الغاز السام ينتشر تدريجيًا وهم نيام وكانت "ألما" مديرة المنزل تعد وجبه من عصيدة الشعير للإفطار ونهضت فلورا، وتركت إلياس في فراشه وذهبت إلى الحمام وبينما كانت تغتسل أصابها الغاز بدوار، ثم فقدت الوعي بسبب الغاز المنتشر في الحمام، ووجدها إلياس على أرض الحمام، حاول حملها إلى خارج الحمام إلا أن الغاز أصابه هو الآخر بالدوار وفقد الوعي.

وأحست ألما وهي في الطابق الأرضي بدوار واندفعت صاعدة لتطمئن على الزوجين فوجدت إلياس ملقيًا في القاعة أمام الحمام.

لم تستطع أن تفتح النوافذ أو تسحب الزوجين بعيدًا، وجرت تطلب معاونة الجيران وتعاونوا على سحب إلياس وزوجته إلى خارج المنزل وكان أوان إنقاذ فلورا قد فات.

ولم يشف إلياس أبدًا شفاءً كاملاً وسواء أكان السبب من الغاز أم من فقد رفيقة حياته، إلا أنه لم يعد أبدًا الرجل الذي كانه قبل ذلك الحادث المفجع وعاش السنوات التي تبقت من حياته وكأنه داخل قوقعة.

وبعد ذلك بعشرين عامًا كانت شارون تقود السيارة بوالت متجهين إلى الأستوديو وبينما كانا يسيران في شارع الغروب تطرق الحديث إلى أبوي والت، سألته شارون: "أين دفنا يا أبي؟" أجابها: "في غابة لاون، لا أحب الحديث عن ذلك".. ورأت شارون عينيه غائمتين بالدمع!!.

وبالرغم من مرور عقدين على ذلك الحادث المؤلم، إلا أن والت كان يبكي كلما تذكر ذلك اليوم من عام ١٩٣٨، ولم يتفوها بحرف بعد ذلك حتى وصلا إلى الأستوديو!.

الزعيم

حرص والت وروي على ألا يثار أي حديث أو أن تظهر آثار المأساة التي مرا بها على إنتاج الأستوديو.. أصابهما موت أمهما إصابة شديدة، ولم يظهرا ذلك إلا مع قلة من الثقات، واستمر العمل بوتيرته الشديدة المعتادة.

وبحلول نهاية عام ١٩٣٨ كان الأستوديو منهمكًا في ثالثة أفلام كارتون طويلة هي "بينوكيو"، وهي قصة ولد خشبي كان يتمنى أن يتحول إلى طفل حقيقي، و"فانتازيا" التي سعى والت من خلالها إلى خلق نوع جديد من الترفيه يمزج فيه ما بين الرسوم والموسيقى، و"بامبي" وهي عن قصة غزال صغير، ومغامراته في الغابة.

وكان أصحاب قاعات دور العرض يلحون عليه لإنتاج أفلام أخرى عن الأقزام إلا أن والت أصر على أن جرمبي وسنيزي وباقي الأقزام قد اعتزلوا العمل للأبد.

قال والت: "هناك شيء واحد لم أؤمن به أبدًا؛ وهو إنتاج سلسلة أفلام كأجزاء تالية لفيلم طويل حقق نجاحًا، طلبوا مني قبل ذلك أن أنتج مزيدًا من الأقزام، فرفضت".

وأسس كل فيلم من الأفلام الثلاثة مستقبلاً جديدًا للرسوم المتحركة.. كان "بامبي" يدعو إلى قوة الإيمان.. كانت الحيوانات تتحدث، إلا أنها كانت مرسومة بواقعية شديدة، لم ترتد الفئران قفازات ولم يضعوا قبعات بحارة على رءوس البط كما كان يفعل في ميكي ماوس ودونالد دك.. جلب إلى الأستوديو غزلانًا وأرانب حتى يتمكن الرسامون من دراسة حركتهم الطبيعية.

كان فيلم "فانتازيا" الذي كان اسمه المقترح في السابق "ملامح الكونشيرت" بمثابة اختبار حقيقي للخيال المبدع الخلاق، ويبدأ الفيلم بميكي ماوس يحكي قصة "صبي ساحر" وهو غلام يتتلمذ على يدي ساحر إلا أنه سرعان ما يدخل إلى آفاق غير محدودة وبالاشتراك مع موسيقى العملاق ليوبولد ستو كوفيسكي الذي صنع توليفة من المقطوعات الموسيقية الكلاسيكية المشهورة، وأصبح التحدي الذي واجه رسامي ديزني هو في كيفية تخيل الأشكال التي ترد إلى خيالهم مستوحاة من النغمات الموسيقية، صوروا السيمفونية السادسة لبيتهوفن كأحداث صراع الآلهة اليونانية، وصوروا سيمفونية إيجور سترافنسكي "شعائر الربيع" على شكل مولد الأرض وعصر الديناصورات، وصوروا سيمفونية "أمليكار بونشيللي" المسماة "رقص الساعات" كعرض باليه تقوم به الحيوانات، وكان من ضمن الراقصين خراتيت ترتدي تنانير جميلة.

ولم يكن فيلم "بينوكيو" فتحًا لآفاق جديدة.. كان مثل سنو وايت عبارة عن قصة خيالية تقليدية، إلا أن والت أحب أن يتيح الفرصة لرساميه في ترجمة كل ما تعلموه ليخلقوا من فيلم سنو وايت عملاً فنيًا فريدًا، كانت الخلفيات رائعة التكوين منسجمة الألوان، وأرسل الرسامين لرسم سواحل المحيط الباسيفيكي وبنى نماذج لمساعات الحائط وألعاب الأطفال مثل تلك الموجودة في محلات "جيبوتو"، حتى يتمكن الرسامون من دراسة حركة الألعاب بعناية قبل أن يبدأوا في رسمها.

وبدأ والت في بناء أستوديو جديد في بوربانك في كاليفورنيا، ولما اكتمل بناءه بتكلفة ٣ ملايين دولار، أصبح تحفة أستوديوهات هوليود وموضع حسد العاملين بصناعة السينما!.

صمم به ملاعب للكرة الطائرة وكرة الريشة، وقاعة ألعاب بدنية ورياضية على قمة المبنى... ومطعمًا يقدم خدمات كاملة ومطعمًا للشطائر والمثلجات التي تصل إلى الموظفين والعاملين في مكاتبهم.. بأرضيات رائعة وقاعات ومقاعد في كل مكان.

وصممت مكاتب الموظفين كلها بحيث تطل على مناظر خلابة، واهتم أن تكون تلك المكاتب مواجهة لضوء الشمال الذي يحبه كل الرسامين.

أهم من كل ذلك أن المبنى الجديد مكيف الهواء بكامله، في الأستديو القديم كانت الغرفة التي يصورون بها الرسومات تسمى "صندوق العرق"؛ لأنها شديدة الحرارة لدرجة لا تطاق.

أما الأستديو الجديد، فقد كان مكيفًا وضمن للعاملين درجة جيدة من البرودة أثناء حر الصيف، ورطوبته العالية، ورغم ذلك ظل الرسامون يطلقون على غرفة الرسامين الجديدة المكيفة الاسم القديم "صندوق العرق"! وبالرغم من ذلك كان والت يجعل الرسامين يعرقون حين كان يراجع رسوماتهم مهما كانت درجة برودة الجو من قسوة انتقاده لهم.

وأحس بعض العاملين الذين رأوا كل تلك الأموال التي أنفقت على الأستوديو الجديد أنهم لم ينالوا حقهم العادل من عملهم في فيلم "سنو وايت". وجعلتهم الأخبار التي انتشرت عن بيعه فيلم "سنو وايت" بثمانية ملايين دولار يعتقدون أنه يشعل كل سيجارة بورقة بنكنوت فئة مائة دولار.

إلا أن الحقيقة أن والت لم يكن هدفه في حياته أن يكون صاحب ثروة فقد كان كل ما يريده أن يستخدم أرباحه في الوصول بالرسوم المتحركة إلى آفاق ذهبية لم يصلها أحد من قبله. وكانت شركة ديزني هي الوحيدة المؤهلة للقيام بهذا الدور، بعد أن فشلت الأستوديوهات الأخرى في صناعة وإنتاج أفلام درامية من الرسوم المتحركة.

وقد كان تكريسه لكل ماله وجهده لتحقيق هذا الهدف يتحول إلى غضب شديد حين لا يعجبه عمل أحد العاملين معه. وكان يدرك ذلك ويقول: "كنت أعتصر منهم طاقاتهم، كنت أحيانًا أشعر أني كعب قذر يدفعهم ويضغط ويضغط ويضغط".. كان سعال والت علامة على أنه يقترب من مكان ما بالأستديو يبعث بمعدة وأمعاء العالمين إلى درجة من التقلص والخوف!. وحين كان يطلق العقال لغضبه ويتفوه بكلمات كثيرة مؤلمة؛ كان يبدو لهم أنه كثير النسيان؛ فمن الممكن أن يؤذي من عملوا معه لسنوات طويلة بتفانٍ مثلما يؤذي من يعملون معه من فترة قصيرة، وكثيرًا ما ترك رجالاً ناضجين والدموع تتجمع في مآقيهم!.

حتى أولئك الذين كانوا يحبونه من العاملين معه ضايقهم ذلك الجانب غير المأمون منه.. كان "وارد كمبال" أحد أبرع الرسامين والمخرجين الذين بدأوا العمل في ديزني عام ١٩٣٤ حين كان عمره عشرين عامًا؛ يطلق على والت: "إنه أحد العباقرة من صناعة أمريكا".. وكان مدينًا للأفكار التي تتدفق من والت على الدوام.. وأكمل: "إلا أنه إن كان هناك ما أنتقده في شخصيته، فهو تقريعه لأي فرد بطريقة مؤلمة أمام الجميع.. وفي اجتماعات مناقشة القصص بدا على الدوام فظًا وخشنًا مع أولئك الذين يبدون أي ملحوظة أو اقتراح ويرى هو أنه لا يتلاءم مع موضوع النقاش، ونتيجة لذلك أحجم الحاضرون عن الإدلاء بأي رأي حتى يتجنبوا صياحه في وجوههم أو تقريعهم أمام الآخرين، إلا أن تلك الطريقة كانت هي أسلوب والت في الإبداع".

أصبح والت وهو ما زال في منتصف الثلاثينيات من عمره إمبراطورًا على مملكة من صناعته هو... كان يمقت التكاسل، ولم يكن يحب أن يستمع لأي شيء يعتبره سلبيًّا، ويمقت النكات القذرة وثرثرة المكاتب والتلصص على الآخرين، وظل كرهه للاختلاس والتلصص الذي عرف عنه منذ صغره ملازمًا له.. وكان الموظفون الذين لديهم شكوى من رؤسائهم أو من مرءوسيهم لا يجدون ضالتهم بالشكوى لوالت.

وقد تسبب ذلك في كثير من المشاكل؛ فاختيار والت لكثير من الموظفين للوظائف الإدارية الوسطى لم يكن موفقًا؛ لذلك تشكى الرسامون والكتاب كثيرًا من أن رؤسائهم غير مبدعين ولا موهوبين وأنهم فقط يقلدون جانب الضغط الذي يمارسه والت إلا أنهم لا يتمتعون بملكات والت الخلاقة وخياله المبدع، ولا سحره الشخصي، ولا إصراره ولا طاقته.

في الوقت نفسه كان والت مفكرًا ويقيم اعتبارًا وتقديرًا لجوانب كثيرة.. كان العاملون مثلاً يعجبون به ويمتنون له حين يسألهم عن زوجاتهم وأطفالهم بأسمائهم! وحين يولد طفل لأحد العاملين يرسل إليه باقات ضخمة من الورود.. وحين عجز رسام شاب عن العمل لمدة ستة أشهر بسبب مرض أصابه داوم والت على إرسال راتبه إلى منزله أسبوعيًّا حتى شفي!!.

آمن بعمق أن على الإنسان أن يظل يتعلم الجديد طالما هو حي، وكان يدفع العاملين إلى اكتساب خبرات جديدة على الدوام، وحين يعلم أن أحد العاملين يدرس الدراما السينمائية في جامعة جنوب كاليفورنيا يطلب منه أن يرتب دروسًا لكل أفراد الأستوديو في نفس الموضوع في داخل الأستوديو.

قام بدعوة كثير من المشاهير مثل ألكسندر وولكوت، وألدوس هيكسلي وفرانك لويد رايت؛ ليحاضروا العاملين في الأستوديو أو ليعرضوا أعمالهم الفكرية عليهم.

والتحق جون هنش (وهو رسام وكاتب وصاحب أفكار خلاقة) بالأستوديو أثناء إنتاج فيلم "فانتازيا"، وأحب الموسيقى الكلاسيكية وفكرة الفيلم إلا أنه لم يحب رقصات الباليه بالفيلم، وحين طلب منه والت أن يرسم عملاً به رقصات باليه طلب هنش من والت أن يسند إليه عملاً غير ذلك؛ فسأله والت: "ما الذي تعرفه عن الباليه؟" قال هنش: "لا أعرف عنه أي شيء". قال والت: "حسنًا هذا ما ستقوم به، عليك أن تتوصل إلى أشياء عن الباليه بنفسك".

ورتب والت من الفور أن يحضر الرسامون موسم الباليه الروسي الشهير في مونت كارلو وقضاء بعض الوقت مع الراقصين في كواليس المسرح، واكتشف هنش أنه قد أحب الباليه، وقال: "حقيقي كان هناك فارق في حياتي فقد اكتسبت أصدقاء جددًا وغير الباليه من حياتي".

كان الأستوديو دائمًا في عمل محموم بسبب ضغط والت المستمر، وجزئيًا لأن العاملين كانوا مجموعة من المبدعين، ولم يكن والت ينضم إلى حلقات المهاترات والمزاح إلا أنه كان يتسامح إن حدثت فطالما كان الشغل يمضي على ما يريد كان يتقبل أي شيء.

كان العاملون يتجرعون كميات كبيرة من الخمور، وكان والت يتجاهل ذلك حتى يخرج من الأستوديو. كان لعب كرة القدم في الممرات شائعًا بين العاملين وكذلك الكروكيه المصغر بأدوات صغيرة، وكان العاملون يعرضون أحيانًا أفلامًا جنسية.. كان كبار الموظفين من الذكور وكانت النكات البذيئة تتداول يوميًا في المكاتب!!.

ذات مرة قام والت كيلي (وهو أحد رسامي ديزني الذي ابتدع الفيلم الكوميدي "بوجو") بتهشيم مشجب إلى قطع صغيرة وأعاد تركيبه ولصقه بلاصق خفيف؛ لأن زميلاً لهم كان يتباهى أنه يقذف معطفه من مسافة بعيدة ليتعلق على ذلك المشجب.. ولما عاد ذلك الزميل من الغذاء وقذف المعطف نزل على المشجب الذي تناثرت أجزائه في كل مكان مما أثار ضحك الجميع.

لم يكن العاملون يراعون جوانب الأمن حين يدخلون في مداعبات جماعية، وذكر بوب مور وهو واحد من الرسامين الذين عملوا لوقت طويل في ديزني حادثة وقعت بالأستوديو بعد

أن التحق به عام ١٩٤٠: "كانت كل المكاتب في صف واحد تربط بينها سلسلة من الأبـــواب على استقامة واحدة، وكنت في آخر مكتب بالصف، وذات يوم جاء رسام آخر إلى مكتبي هو فريدي مور، وكنت منهمكًا في العمل، فانتبهت إليه ووجدته يعلق على الحائط لوحـــة عليهـــا علامات تشكل أهدافًا.. ولم أهتم بذلك، ثم بعد لحظات سمعت صوت سهم يرشق فـــي لوحـــة الهدف! كان فريدي مور ورسام آخر يصوبان عليها بالقوس والسهام من أول باب لتمر عبـــر كل الأبواب حتى تصل إلى الهدف، وإذا مر أحد مصادفة كان من الممكن أن يلقى حتفه بأحد السهام، كان لا بد أن يكون معك علمٌ أبيض لتلوح به إذا أردت الخروج من غرفتك سالمًا"!!.

الإضراب

ضخ والت كل سنت من عوائد فيلم سنو وايت في الأفلام الثالثة التي كان يعمل فيها معًا وهي بينوكيو، وفانتازيا، وبامبي. ثم غزت ألمانيا النازية بولندا في سبتمبر عام ١٩٣٩، وبدأت الحرب العالمية الثانية بين دول أوروبا في البداية، وبذلك خسر والت أسواق أوروبا؛ مما أدى إلى فقد نصف الإيرادات التي كانت ترد إلى الأستوديو، وحدث ذلك في أسوأ الأوقات التي مرت على ديزني؛ حيث راحت تكلفة فانتازيا تتزايد بمعدلات كبيرة لأن والت كان يجرب في ذلك الفيلم وسائل صوتية جديدة، وكذلك أدى تركيزه الشديد على رسم التفاصيل الدقيقة في فيلم بامبي إلى أن يستغرق إنتاجه وقتًا أطول كثيرًا مما هو متوقع، وكان فيلم بينوكيو متأخرًا عن الجدول الزمني الموضوع لإنجازه كما لم يكن متوفرًا له ما يكفيه من ميزانية، وبعد أول ستة أشهر من العمل، توقف والت عن الإنتاج متشكيًا أن شكل بينوكيو غير مقبول وممجوج! وحاول الرسامون والكتاب علاج تلك المشاكل حتى اقترح والت إضافة شخصية صرار الليل كحكاء والذي يمكن إضافته كضمير لبينوكيو. وقال وارد كمبال: "وأخيرًا انتهينا إلى شكل رجل ضئيل بلا أذنين؛ فقد كان ذلك هو الملمح الذي يجعله أقرب إلى الحشرات".

وبالرغم من كل ذلك الجهد والعمل، وإطراء النقاد؛ فشل فيلم بينوكيو في تغطية تكلفته التي وصلت إلى ٢,٦ مليون دولار حين بدأ عرضه عام ١٩٤٠، فقد كان لغياب الأسواق الخارجية، وحالة القلق السائدة في الولايات المتحدة بسبب الحرب في أوروبا أثر كبير في عدم إقبال المشاهدين على بينوكيو!

وواجه فيلم فانتازيا هو الآخر مشاكل أكبر فقد رأت حكومة الولايات المتحدة أنه يمكن توظيف معدات الصوت المتقدمة المستخدمة في إنتاج فيلم فانتازيا لصالح الأمن القومي للولايات المتحدة، واضطر والت إلى عرض الفيلم بمعدات صوت عادية في أغلب دور العرض!.

والأسوأ من كل ذلك أن مشاهدي السينما أغضبهم فرض ما يجب أن يروه من صور مع السيمفونيات والمقطوعات الموسيقية المشهورة، ووصل الأمر بأحد النقاد في جريدة نيويورك هيرالد تريبيون إلى القول بأن فيلم فانتازيا سيؤدي إلى انهيار الحضارة الغربية.

وظل كثيرون بمنأى عن ذلك الجدل؛ لأنهم رأوا أن فيلمًا يدور حول موسيقى كلاسيكية لا يعنيهم كثيرًا. وجاءت الضربة القاضية والنهائية للفيلم حين أجبرته شركة التوزيع RKO (وهي الشركة التي تعاقد معها ديزني للتوزيع بعد انتهاء عقد يونايتد آرتستس) على

اختزال زمن عرض الفيلم من ساعتين إلى ٨٢ دقيقة فقط، حتى يمكن عرضه مع فيلم آخر في كل حفلة، ورفض والت أن يقوم بذلك بنفسه، وكان ذلك الأمر بالنسبة له أشبه بمن يقوم بقص شعر موناليزا.

وذات مساء بعد أن اتضح مدى السوء الذي وصلت إليه الأحوال؛ جاء روي إلى والت وطلب منه أن يأتي إلى مكتبه وملامح القلق بادية عليه. وقال له إنهم على حافة الإفلاس.. كان الأستوديو يضم ١٥٠٠ فرد يتقاضون أجورًا منتظمة، وكان كثير من العاملين يطالبون بزيادة أجورهم، وكانت عوائد سنو وايت قد نفذت من زمن وتراكمت على الأستوديو ديون بلغت ٤,٥ مليون دولار، ولم يكن واضحًا كيف يمكن تجاوز تلك الأزمة المالية العنيفة.

وبدأ والت يضحك بصوت عال! سأله روي: "علام تضحك؟" قال والت: "لقد عادت بي الذاكرة حين كنا لا نستطيع أن نقترض ألف دولار".. وبدأ روي يبتسم هو الآخر!.

وراح والت وروي يتحدثان لفترة عن الماضي، وفي النهاية اتفقا على أن رجال البنوك هم الذين عليهم أن يقلقوا، وقال والت: "هم الذين لا بد أن يفكروا ما يجب عليهم عمله".

وبالرغم من أن الأخوين طمأنا بعضهما، إلا أن العاملين كانوا في حالة رعب على أجورهم وخائفين من اللحظة التي لا يتقاضون فيها أجرًا؟!.

انتشرت الشائعات: "سوف ينهى عمل عدد كبير.. إنه يتعاقد مع نساء لأنهن يتقاضين أجورًا أقل.. إنه يراكم الثروات من مجهودنا... سوف يختزل نسبة كبيرة من أجورنا".. لم يكن لدى والت أي نية في إنهاء عمل أي من الموظفين، وقال: "أنا أكره رفت أي موظف؛ لأنني أعرف أن كل منهم لديه أطفال". وبدلاً من ذلك، فكر في بيع نسبة من أسهم الشركة، وحذره هنري فورد صاحب شركة السيارات من أنه سيندم على اليوم الذي فكر فيه في تلك الفكرة والتي تجعل مستثمرين آخرين يتحكمون في الأستوديو.

وبيعت الأسهم بسعر ٢٥ دولارًا للسهم ودرت على الأستوديو مبلغًا مكن الأستوديو من الاستمرار. وكمكافأة من ديزني للعاملين المخلصين؛ خصص لهم خمس الأسهم.. ويعتقد كثير من الناس في عصرنا الحالي أن فكرة مشاركة العاملين في الشركات قد ظهرت للوجود عام ١٩٧٠، إلا أن ديزني أول من بدأها عام ١٩٤٠.

وبعد بيع الأسهم بفترة قصيرة بدأت أسعارها في التدهور في أسواق المال، ونزلت إلى ٢٠ دولارًا للسهم، ثم إلى ١٨ دولارًا، ثم انخفض إلى عشرة دولارات، وانتهى إلى ثلاثة دولارات، وخلال ذلك التدهور راح والت يشتري أسهمه بكل المال الشخصي الذي كان يمتلكه.

ولم يكن لدى العاملين نفس القدر من الثقة في الشركة! وراحوا يبيعون أسهمهم كلما تدهورت أسعارها، وكان والت يعتقد أن تدهور السعر لن يهمهم كعاملين في الشركة، وأنهم سيفضلون أن يظلوا شركاء بتلك الأسهم في الشركة التي يعملون بها، إلا أنه كان مخطئًا في ظنه؛ فقد كان الإخلاص مسألة في الميزان ومرعبة، وكان العاملون يرون أنه حين يحين موعد سداد التزاماتهم المعيشية فإن أموالهم تبدو لهم أفضل حالاً في بنك لا في أسهم.. وبالرغم من أن كبار الرسامين كانوا ينالون أفضل رواتب مالية في الشركة؛ إلا أن كثيرًا من العاملين الأقل درجة كانوا يعيشون بالكاد بما يتقاضونه من راتب! وكان نظام المكافآت يشمل فقط أفضل العاملين ويؤدي إلى بعث مشاعر لدى الباقين أنهم يتقاضون أقل مما يستحقون وازداد غضبهم حين رأوا أموالاً كثيرة تنفق على الأستوديو الجديد.

وبوجود ١٥٠٠ عامل أو أكثر كان ولاؤهم المباشر لوالت؛ كان من الطبيعي أن تتصاعد نغمة تكوين اتحاد عاملين، وكانت هوليود – مثل غيرها من تجمعات العمل في الولايات المتحدة– أماكن تموج بالحركات العمالية منذ عام ١٩٣٣ حين وقع فرانكلين روزفلت قانوناً يسمح بحرية تكوين الاتحادات العمالية، وكان كل العاملين غير الفنانين قد انضموا بالفعل إلى اتحاد عمالي في شركة ديزني في عام ١٩٤١، دون أي صدام بين الجانبين. ولم يكن هناك من غير المنضمين إلى الاتحادات العمالية إلا الرسامين.

تطلع رسامو الأفلام إلى تكوين نقابي في شركة ديزني، وأدركوا أن شركات أفلام الرسوم المتحركة بمثابة قطع الدومينو، وتأتي على رأس تلك القطع شركة ديزني، ولو استطاعوا تكوين اتحاد مهني بها لأدى ذلك إلى تكوين اتحادات مهنية في كل الشركات الأخرى.

وتصاعد غضب والت بعد إضراب الرسامين؛ مما جعله يعتقد أنه نوع من أشكال عدم الإخلاص للشركة، وصمت تمامًا عن ذلك الموضوع وتجاهله، ورأى أن المضربين –خاصة زعماؤهم– ليسوا إلا خونة. كان خطأ والت في الأحداث التي تصاعدت حتى وصلت إلى إضراب كلي في مايو ١٩٤١؛ هو أنه كان يتوقع من أولئك العاملين أن يتصرفوا كأنهم أفراد أسرة واحدة، وكان والت يقع في الخطأ ذاته طوال حياته المهنية؛ إذ كان يؤمن بفكرة عائلة كبيرة سعيدة والتي ظل يحاول خلقها على الدوام في الأستوديو!.

لو كان والت ذهب للقاء العاملين الداعين إلى تكوين اتحاد ربما كان قد أمكنه السيطرة على الموقف والتوصل إلى حلول، إلا أنه بدلاً من ذلك أرسل محامي الأستوديو جونثر ليسبخ وقام بالحديث إلى العاملين بدلاً منه، كان جونثر محاميًا للأستوديو من أعوام وكان أسوأ شخص يمكنه تشذيب الريش الناشذ.. كان رجلاً اعتاد الإجابة على الأسئلة بتدوير عينيه

بطريقة تشي بأن محدثه شديد الغباء! حاول ليسبخ إقناع العاملين بعدم حاجتهم إلى تكوين اتحاد مهني، وأنه من الأفضل تكوين اتحاد داخلي محدود. واستمر الصراع على مدى شهور، حتى وافق والت على إجراء تصويت بين العاملين حتى يتبين إن كانت الأغلبية تسعى إلى ذلك أم لا، ورفض هربرت سوريل ذلك الاقتراح وكان من قادة العمل النقابي قائلاً في حزم: "لن أذهب إلى شيء من ذلك من تصويت أو غيره، إما أن توقع بالموافقة أو يستمر الإضراب".

قال والت: "لا بد من إجراء تصويت، لن أوقع لمجرد أنك تطلب ذلك".. قال سوريل في حزم: "حسن، لقد حذرتك، من الممكن أن أحيل ذلك الأستوديو إلى مجرد حفنة تراب لا خير فيها".

في العاشر من فبراير عام ١٩٤١ قرر والت أن يتحدث مباشرة إلى العاملين، وعلى مدى ثلاث ساعات من الحديث حاول أن يلين قناتهم وأن يشرح لهم نواياه ومشاعره تجاههم.. حدثهم عن الأيام التي لم يكن يمتلك فيها ثمن وجبة طعام ولا قيمة إيجار المسكن.. وقال لهم إنه أثناء الكساد الكبير لم يفعل كما فعل أصحاب الشركات الأخرى من تخفيض الأجور وإنهاء خدمة العاملين.. وأكد أنه دفع مكافآت تصل إلى نصف مليون دولار للعاملين المجدين خلال السبعة أعوام السابقة.. كان أوان كل ذلك قد فات، وكان العاملون قد اتخذوا قرارهم، وقال أولئك الذين يؤيدون تكوين اتحاد نقابي إن خطابه كان باردًا ويخلو من الصدق.

وفي إبريل أعلن روي أنه بسبب خسارة السوق الخارجي فإنه لا بد أن يكون هناك تخفيض للأجور وتسريح لبعض العاملين، وأن الوظائف العليا ستتحمل أكبر تخفيض في الأجور، ومنهم والت وروي وأصر زعماء العمال أن ذلك ليس إلا مناورة لإخافة العاملين، وفي ٢٧ مايو تم فصل أرت بابيت وكان أحد أفضل رسامي ديزني وكان في الوقت نفسه أحد متزعمي حركة تكوين اتحاد نقابي، وأحس باقي أعضاء زعماء الاتحاد النقابي أن ذلك الفصل كان تعسفيًا بسبب نشاطه النقابي، وفي اليوم التالي بدأ نصف فناني ديزني الإضراب، ورفض النصف الثاني الذي لم يضرب أداء أي عمل إضافي غير عملهم. وكان والت على ثقة من أن الإضراب سينتهي خلال بضعة أيام ولكن بعد أن تحولت الأيام إلى أسابيع؛ بدأ يدرك أن المعركة لا نهاية لها.

وتمركزت قيادة الإضراب في الجانب الآخر من الطريق في مواجهة الأستوديو ليمنعوا العاملين الذين لم يضربوا ويشوشون عليهم ويغنون ويسخرون من والت بكل السبل.. أطلقوا عليه "الفأر.. والكلب الجبان صاحب العمل.. ومحتكر العمال، أما ما كان أشد إيلامًا فهو اتهامهم له بأنه يتقلب على ثروة، وكتب والت عن ذلك: "الحقيقة أن كل سنت كسبته كان

ينفق على العمل ويرتبط به".. وبحلول شهر أغسطس، سأم والت ومل وأصابه الغثيان من المشكلة برمتها، وأصبح مقتنعًا أن القوى التي تحرك زعماء الإضراب كانت قوى شريرة شيوعية، وانتقل غضب آل ديزني إلى أطفالهم.. قالت شارون ابنة والت بالتبني إن النقابيين أشرار بصوت عالٍ، وهتفت ديان وأختها وشارون بذلك من نافذة السيارة وهم يمرون أمام المضربين. وجاء السفر إلى أمريكا الجنوبية كهبة إلهية لوالت. طلبت منه وزارة الخارجية أن يقوم بجولة على مدى اثني عشر أسبوعًا في دولة أمريكا الجنوبية لتحسين العلاقات معها، وجمع معلومات تفيد في أفلام رسوم متحركة توجه لتلك الدول، وكذلك لعمل أفلام كارتونية درامية لنفس الدول، وتم انتقاء مجموعة رسامين وكتاب مختارين لمرافقة والت في تلك الجولة وصحبته ليلي وشقيقتها هازيل وزوجها الجديد الذي يعمل في أستوديو ديزني بيل كوتريل. وقبل سفره مباشرة فتح والت قلبه في رسالة وجهها إلى محرر أحد أعمدة الصحف وهو ويستبرك بيجلر قال فيها: "أنا لست متملقًا، إلا أنني ساخط، من هول الأكاذيب وأنصاف الحقائق التي عرضت وذكرت على صفحات الصحف ولا يمكن أن أنساها بسهولة.. ما يقلقني أن الناس لا تقرأ إلا العناوين الكبيرة بالصحف، ولا تتعمق في فهم موضوع ولا يهبون الوقت الكافي للوصول إلى الحقائق بأنفسهم.. إن هذه البعثة التي أبدأها تهيني فرصة لأن أبتعد عن هذا الكابوس المزعج".

وأثناء تلك الجولة علم والت أن أباه إلياس قد مات، وبالرغم من أنه حزن لموت أبيه إلا أنه تلقى الخبر في هدوء.. فمنذ أن ماتت فلورا بدا إلياس دائمًا بانتظار اللحاق بها. وفي الوقت الذي عاد فيه والت وليلي إلى أستوديو بوربانك كان الإضراب قد تم تسويته ولم يسعد والت بالشروط التي انتهى بها الإضراب الذي حقق للمضربين كل مطالبهم بما فيها شرط أن أي تخفيض للعمالة في المستقبل لا بد أن يكون بالتساوي بين من أضربوا ومن لم يضربوا من العمال، وبعد ذلك وجد كثير من الموهوبين من الرسامين أن أستوديو ديزني لم يعد ذلك المكان الممتع الذي يحبون أن يعملوا به ولذلك تركوا العمل.

وقال والت: "كان ذلك الوقت من أقسى الأوقات التي مررت بها في حياتي"، وتغيرت علاقته بالعاملين إلى الأبد.. بدأ ينظر إليهم بطريقة تملؤها المرارة.. لم يعد يبقي على أي مستخدم لمجرد أنه يشفق عليه لأن لديه أسرة، وأصبح على العاملين أن يختموا بطاقات عملهم بالساعة التي حضروا فيها إلى العمل، كما تم إغلاق محل الشطائر والمشروبات. وذهبت الأيام التي كان والت يعتقد فيها أن كل العاملين بالأستوديو ليسوا إلا عائلة واحدة؛ فالعائلة لا تؤلم عائلها بمثل ما فعل العاملون بالشركة!!.

نازي لاند "بلاد النازي"

من المدهش أن أحد أفضل أفلام ديزني قد أنتج أثناء الإضراب وبدأ عرضه في عيد جميع القديسين عام ١٩٤١؛ وهو فيلم "دامبوا" وهو عن قصة فيل طائر، وكان تحفة فنية رائعة، بلغ زمن الفيلم ٦٤ دقيقة، وكانت موسيقاه التصويرية رائعة لا يمكن أن تنسى، مع حبكة فنية قوية، ورسومات رائعة.. وبحلول عيد الشكر كانت أغنيات ذلك الفيلم تذاع من خلال أغلب المحطات الإذاعية، وكانت مجلة تايم تنوي أن يكون أحد أغلفتها في الكريسماس عن ذلك الفيل بأذنيه الضخمتين، إلا أن ذلك الغلاف لم يصدر ففي السابع من ديسمبر عام ١٩٤١، قام سلاح الجو الياباني بمهاجمة قاعدة أمريكا البحرية في بيرل هاربر في جزر هاواي، وفي أسوأ كارثة في تاريخ أمريكا لقي حوالي ثلاثة آلاف أمريكي مصرعهم في ذلك الهجوم المفاجئ.

في ضربة وحشية مفاجئة أنهى اليابانيون اليقين الذي كان سائدًا لدى الأمريكيين أن أمريكا فوق قدرة أي دولة أن تهاجمها، وانتشر الفزع على الساحل الغربي للولايات المتحدة، وتساءل الجميع: هل ستكون كاليفورنيا هي هدف الضربة التالية؟

في تلك الليلة –وكانت الحرب ستعلن من جانب أمريكا في اليوم التالي– تلقى والت مكالمة من مدير الأستوديو قال له: "والت.. الجيش يزحف إلى الأستوديو ودخله. قلت لهم؛ إنه لا بد من استدعائك أولاً، ووافقوا إلا أنهم قالوا إنهم سيدخلون في كل الأحوال". وخلال ساعات قليلة كان سبعمائة جندي قد استولوا على أستوديو ديزني. كان موقع الأستوديو ملائمًا ليحموا منه مصنع لوكهيد للطائرات من غارات الأعداء، ووقف حرس على باب الأستوديو، وبدأ رجال التحريات يفحصون العاملين ليتأكدوا أنه لا يوجد بينهم جواسيس، وتحول المطعم إلى قاعة طعام للجنود، وتم تخزين ثلاثة ملايين قطعة ذخيرة حربية في ساحة انتظار السيارات بالأستوديو، وعلى مدى ثمانية أشهر بعد ذلك ظل أولئك الجنود بالأستوديو، وتكدس الرسامون بالغرف حتى يسع الأستوديو الجيش والعاملين.

ولما بدأت الحرب توقف والت عن إكمال مشروعاته في أليس في بلاد العجائب وبيتر بان.. أكمل فقط بامبي، وكانت التكلفة عالية جدًا، إلا أن والت لم يكن أمامه أي اختيارات أخرى، وانهمك الأستوديو في أعمال المجهود الحربي، وأنتج أفلامًا تدريبية مثل: "علامات الهبوط على حاملة طائرات"، "وأساسيات ومبادئ قراءة الخرائط"، وكذلك فيلمه الذي لا ينسى "العناية بالمرضى المتأثرين نفسيًا بالحرب".

وبالرغم من أن الأستوديو أصبح على حافة كارثة الإفلاس، إلا أن والت أحب أن تكون تلك الأعمال بمثابة تبرع منه ومساهمة في المجهود الحربي إلا أن الحكومة رفضت وأصرت أن يتقاضى والت ثمن تلك الأفلام ولكن لأن العسكريين لا يعرفون كم يتكلف إنتاج فيلم المرسوم المتحركة؛ فإنهم قضوا كل زمن الحرب يتناقشون حول قيمة تلك الأفلام التي يجب عليهم دفعها.

وتم توظيف شخصيات دونالد دك، وجوفي، والأقزام السبعة، وشخصيات ديزني الأخرى كنجوم لأفلام قصيرة لتعليم أفراد الشعب أو إثارة حماس الجماهير، وكان أشهر تلك الأفلام الدعائية فيلم: "وجه الفوهرر" والذي فاز بجائزة أكاديمية الفيلم عام ١٩٤٣. صور الفيلم دونالد دك وهو يحلم أنه يعيش في ألمانيا النازية، وكان يجبر على القيام بأعمال صعبة وشاقة ولا تتوفر له وجبة طعام واحدة، وكان إفطاره نشارة خشب مع فنجان من القهوة يعده بإسقاط حبة من حبوب البن في فنجانه وينتهي الفيلم وهو يقذف الطماطم على صور هتلر.. وترجم الفيلم إلى عدة لغات كما تم تهريبه إلى عدة دول أوروبية يحتلها النازي؛ مما ألهب روح الحماس والأمل لدى جماهير أوروبا لوقف تقدم النازي.

ثم وضع كل شيء في الاعتبار، وبلغ إنتاج الأستوديو عشرة أضعاف إنتاجه قبل الحرب، وكان أغلب الإنتاج أقل مستوى عن الإنتاج السابق للحرب إلا أنه كان يشكل عبئًا شديدًا ومجهودًا متواصلاً لكل العاملين وتحت وطأة ذلك النوع من الضغط، أصاب والت إحباط كبير من موظفي الحكومة الذين تعامل معهم. أحد تلك المواقف المحبطة كان بسبب مشهد لدونالد دك يحث الجماهير على دفع الضرائب، وبدأت المشاكل حين أطلع والت وزير المالية على ذلك العمل قبل اكتماله وكان وزير المالية في ذلك الوقت هنري مونجنتوا. راح الوزير يسأل والت ويستجوبه عن الشخصيات التي ابتدعها قائلاً: "أراك على الدوام تخلق شخصيات ضئيلة ومنها شخصية دافع الضرائب".

واندفع مساعده قائلاً: "أنا لا أحب دونالد دك".. وتقوس حاجبي والت من الغيظ وقال: "ربما لا تحب أنت دونالد دك، إلا أن هناك كثيرًا من الناس يحبونه". ثم وجه حديثه إلى وزير المالية قائلاً: "لقد وهبتكم دونالد دك، وهذا يماثل تمامًا مترو جولدن ماير التي وهبتكم كلارك جيبل.. كلاهما يفتح أبواب السينمات للعمل".

بعد أن اكتمل الفيلم اتهم أحد رجال الكونجرس والت ديزني بأنه يحاول التكسب من أعمال الحرب بلا ضمير.. كانت تكلفة الفيلم مرتفعة بسبب السرعة التي طلبت بها وزارة المالية إنجاز الفيلم؛ إلا أنه لم يحاول أن يتكسب ولو سنتًا واحد أزيد من تكلفته، بل إنه خسر نتيجة لإلغاء دور السينما العروض العادية لدونالد دك لحساب عرض فيلم وزارة المالية الذي

أخذوه بلا مقابل، واشتكي والت قائلاً: "نحن هنا نكسر أعناقنا في العمل، ثم أتلقى بعد ذلك رسائل تتهمني بعدم الوطنية!!".

وبدأ والت يعمل في فيلم دون تمويل حكومي ودون تدخل حكومي، وكان قد أعجب إعجابًا شديدًا بكتاب "نصر من الجو" الذي كتبه العقيد ألكسندر دي سيفرسكي، والذي أثبت فيه أن سلاح الجو أقدر على حسم المعارك من السفن الحربية، واقتنع والت بأن تلك الرؤية صحيحة تمامًا وهامة، ومن الممكن أن تساعد على كسب الحرب؛ ولذلك حول موضوع الكتاب إلى فيلم؛ جزء منه تصوير حقيقي وجزء آخر بالرسوم المتحركة.

وربما كان لذلك الفيلم بعض التأثير في صنع القرار وتأثر رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل بذلك الفيلم، وأصر أن يشاهده الرئيس الأمريكي روزفلت أيضًا، وحين حل اليوم المحدد للغزو (بداية انهيار النازي) تبين أن خطة الغزو تعتمد على كثافة استعمال الطيران، وكان هناك من رأى أنه لا بد من إرسال بطاقة شكر إلى والت ديزني.

رجل الأسرة

ظل جانب من حياة والت بمنأى عن أفراد الأستوديو وعن كافة الناس، فقد حرص والت وأسرته كل الحرص على أن ينأوا بحياتهم الخاصة عن الجانب العام. وأدى حرص والت على ذلك إلى جانب إقباله الشديد على العمل إلى أن يفترض العاملون في الأستوديو أن حياته الأسرية لا تشكل أهمية له، وأنه يهمل أسرته، كما افترضوا في أحيان أخرى أنه ما دام رئيسًا متشددًا وجادًا في كل الأوقات فإنه لا بد بالمثل أن يكون زوجًا جهمًا ومتشددًا وأبًا قاسيًا.. إلا أن الحقيقة تبرز لنا وجهًا مختلفًا تمامًا ومغايرًا لتلك الافتراضات، ونعرف تلك الحقيقة ممن خالطوه عن قرب، فهم يقدمون لنا صورة رجل شديد العاطفة كرس نفسه تمامًا لأسرته وعائلته، فلو كان والت قد ورث صفات أبيه إلياس في العمل، فإنه ورث أيضًا صفات أمه فلورا في البيت؛ إذ كان رفيق لعب جيد لبناته وأطفال العائلة، بروح مرحة ودعابة لا تغيب عنه في البيت أبدًا، وعطف وسلوك مشجع للآخرين.

كان والت هو المسئول عن كل جوانب العمل. أما في البيت؛ فقد كانت ليلي هي المسئولة عن العمل. كان لا يقدم على إقامة علاقة.. أما في البيت فقد كان دائمًا ممسكًا بأيديهم أو واضعًا ذراعه على أكتافهم.. وتذكر مارجوري: "لم يعد أبدًا إلى البيت دون أن يقبل خالتي ليلي أو يحتضنها". في العمل، كان كل العاملين يحرصون على إرضائه، وحين يكون في البيت، يحرص هو على إرضاء ليلي وابنتيه، وحين ينزلان بأي فندق، يحرص على أن تكون إقامتهما بأفضل الغرف، وإذا كانا في طائرة، فإنه يحرص على أن يترك لها المقعد المجاور للنافذة، وفي أعياد الميلاد والأعياد السنوية كان يجلب لها المجوهرات المحفور عليها كلمات حب؛ وفي أحد أعياد الحب استجاب لانتقادها لإحدى قبعاته وقام بدهنها بلون برونزي ورشق بها زهور الأوركيديا.

كان في العمل يسعى إلى الكمال والإتقان. أما في المنزل، فقد كان يصفق مبتهجًا بأقل نجاح وأصغر إنجاز! وتقول ابنته ديان: "كان يجمع كل ما أرسمه وأنا طفلة ويجعلني أعتقد أنها تحف فنية". وتتذكر شارون هي الأخرى قائلة: "كانت هناك حلقات نحاسية تعلق في مسار قطار الأطفال في مدينة الملاهي، وكان من يستطيع الحصول على إحدى الحلقات يفوز بجائزة عبارة عن جولة أخرى مجانية، وذات مرة فوجئنا بديانا تحصل عليها مرة بعد أخرى، وتشككت في أن هناك سرًا في الأمر، واكتشفت مؤخرًا أن أبي قد رشا الشاب الذي يقود القطار حتى تتمكن ديان من الحصول على الحلقات بسهولة". وقام والت بتأجير منزل في منطقة استجمام اسمها الشجرة المحترقة، ثم اشتراه بعد ذلك وكان على مبعدة أربع ساعات من

كاليفورنيا ويقع في بالم سبرنجز بكاليفورنيا. كان والت يحرص على قضاء أسبوع به ثلاث مرات سنويًا (في عيد الصفح والكريسماس وعيد الشكر) ويقضي الأسبوع في استرخاء بلا مكالمات هاتفية ولا أرق عمل، وهناك، ومن صغر الأطفال، كان يعلمهم ركوب الخيل. وكان يرتدي لبس رعاة البقر وأحذيتهم في تلك الإجازة.

أما أثناء أيام العمل الأسبوعية، فقد كان تواصلهم معه يقل كثيرًا؛ كل ساعة يقضيها متأخرًا في الأستوديو كانت تعني ساعة أقل للبيت، إلا أنه كان يقوم بتوصيلهم إلى المدرسة كل صباح بنفسه، وينتظرونه كل ليلة لتناول العشاء معًا، وتظل البنتان تسألان ليلي: "متى يعود أبي؟". وكان من الممكن أن تكون تلك الوجبات المتأخرة مبهجة ومن الممكن أن تكون غير مرضية لهم حسب ما واجهه في يوم من مشاكل.. تقول ديان: "إذا ناقشناه وهو في حالة مزاج سيئ فمن الممكن أن تتحول المناقشة إلى شيء غير طيب، إلا أنها تتحول إلى جلسة مرحة وجميلة إذا كان قد أنجز ما يرضى عنه في يومه". ولا تتذكر البنتان أبدًا أن أبويهما قد خاضا في مشادة أو نقاش حاد أمامهما أبدًا، بالرغم من أنهما اختلفا حول أشياء عديدة؛ لم يتفقا أبدًا حيال الحيوانات الأليفة؛ كان والت يحب الحيوانات، ولم تكن ليلي تطيق الحديث عنها، وكان شغوفًا باقتناء الكلاب في حين لم تحب ليلي ذلك إطلاقًا، وفي إحدى المناقشات وصل الأمر بليلي إلى البكاء لإصراره على إحضار عنزة صغيرة لتعيش معهم في البيت، وأصر على أنها "كائنات رقيقة"، إلا أنه في النهاية رضخ لرغبة ليلي، وخلال ذلك الصراع مع أسرته كان يرعى كل السناجب والحشرات التي توجد في الأستوديو لدراستها ورسمها، وحين اشتكى له البستاني ذات مرة من أن الحيوانات تأكل كل ثمار الفاكهة من الأشجار، قال له والت: "ازرع مزيدًا من الأشجار، ازرع ما يكفي الجميع".

ولما كبرت ابنتاه اكتشفتا أن لديه قدرًا كبيرًا من احترام أفكارهما وتوجهاتهما.. وبالرغم من أنه هو وليلي كانا ينتميان إلى المذهب البروتستانتي، إلا أنه ترك للفتاتين مطلق الحرية في اختيار المذهب الديني كما تشاءان.. ذهبت ديان إلى مدرسة كاثوليكية ومارست طقوسها بعزيمة، بل إنها ذكرت ذات مرة نيتها أن تصبح راهبة. إلا أن والت حين أحس أن مناهجها الدراسية ضيقة ومحدودة نقلها إلى مدرسة أخرى. وبعد أن أوشكت الحرب على الانتهاء وبلغت ديان أخريات العقد الثاني من عمرها لم تعد تتلهف إلى والدها كصديق لعب ومرح وأصبحت ترى في قطارات الملاهي وحديقة الحيوان مجرد لعب أطفال إلا أن شارون التي كانت في العاشرة فقط من عمرها عام ١٩٤٧ لم تفقد اهتمامها بتلك الأمور، وأصبحت الرفيقة والملازمة الأولى لوالت، تتبعه حيثما ذهب؛ كان بيتهم على قمة تل، وكانت المنطقة المحيطة حتى سفح التل من ممتلكات والت. وحين رأى والت أنه سيكون ممتعًا أن يشق

طريقًا عبر الأشجار والمنطقة العشبية؛ كانت شارون تذهب أثناء شق ذلك الطريق إلى المنزل في سعادة لتحضر له المشروبات المثلجة.

كانت هناك بعض القواعد الصارمة، وقواعد أقل لضبط العمل النظامي للبنات؛ كان الكذب من أهم المحرمات المطلقة التي لا يمكن التسامح معها ولا قبولها، تقول شارون: "أتذكر المرة الوحيدة التي عوقبت فيها عقابًا شديدًا في حياتي.. كان أبي قد وبخني على شيء ما، وذهبت إلى غرفة خالتي جريس وقلت لها إن أبي قد ضربني، ولم يكن قد ضربني. وسمعني وأنا أخبرها بذلك؛ فضربني على مؤخرتي ضربًا مبرحًا بكفيه؛ لم يكن يقبل ولا يتسامح مع عدم الأمانة في الأفعال والأقوال".

مخاطرات والت

كانت حياة والت تشبه في نواحٍ كثيرة مخاطرات شخصية بولين في سلسلة الأفلام التي تحمل اسمها؛ كل مغامرة تخوضها بولين تنتهي بها إلى مأزق خطر يهدد حياتها: مربوطة ومقيدة فوق خط قطار أو معلقة بخيط واهٍ من قمة صخرة على سبيل المثال، وكانت بولين تتخلص من المأزق في آخر لحظة، وإلا كانت تلك السلسلة قد وصلت إلى نهايتها.

وانتهت الحرب العالمية الثانية بوالت وهو على حافة الخطر من جديد؛ فقد لاقى فيلم بامبي الذي أنتج عام ١٩٤٢ نجاحًا ودر دخلاً جيدًا وكذلك كانت الأفلام التي أنتجها للعرض في دول أمريكا الجنوبية.

إلا أن خسارته لأسواق ما وراء البحار بسبب الحرب، والإضراب، وعمله طوال خمسة أعوام هي سني الحرب على إنتاج أفلام رسوم متحركة خاصة بالحرب؛ تنتج عنها تبدد طاقة الأستوديو واستنفاذ حماسه، في الوقت نفسه فقدت أفلام الكارتون القصيرة بريقها! وبعد فوزه بجائزة أكاديمية السينما ثماني مرات متتالية عن أفلام الرسوم المتحركة القصيرة لم يفز بجائزة واحدة بعدها منذ عام ١٩٤٢.

وبالرغم من أن شركة ديزني كانت غارقة في الديون، إلا أن والت اتخذ قرارًا بالمضي قدمًا في مشروعات جديدة، إلا أن روي كان يرى أنه من الأصوب العمل ببطء، وحذر، فقد كان هو المسئول عن مواجهة رجال البنوك المتعصبين وحملة الأسهم الغاضبين، وحرص والت على تجنب حضور تلك الاجتماعات العاصفة. خاض الأخوان ديزني صدامات عنيفة ضد بعضهما حول مستقبل شركتهما وحول الممولين "الصارخين" كما كان والت يسميهم.

- قال روي لوالت: "أنت تترك هذا المكان يقودك إلى مزيد من الجنون، وأنا لا أريد أن أذهب معك إلى هذه الدرجة".. ويتذكر إدوارد ابن روي تلك الأيام: قائلاً: "تدهور الأستوديو وأصبح على حافة الإفلاس والانهيار".

بدا أن كل شيء يمضي في المسار الخطأ؛ كان أمل الأخوان ديزني معلقًا في المستقبل القريب على فيلم "أغنية الجنوب" عن قصة العم ريموس المشهورة عن أرنب بري وثعلب بري، وباستثناء أفلام أليس القديمة، وفيلم كارتوني قصير اسمه "السادة الإسبان الثلاثة"؛ كان فيلم "أغنية الجنوب" أول محاولة للمزج بين رسوم متحركة ومناظر حية لأبطال من البشر. وسعد الرسامون بالأستوديو بالتصوير الطبيعي الذي مثَّل التطور الوحيد في سنوات الحرب الأخيرة. إلا أنه بعد الانتهاء منه وعرضه عام ١٩٤٦ كان بمثابة صدمة للنقاد!

رأى كثير منهم أن حبكة الفيلم مشوشة ومثيرة للالتباس، وأن التمثيل كان سيئًا باستثناء دور العم ريموس، واعترضت الرابطة القومية المدنية على إظهار السود في أدوار الخدم، واتهموا الفيلم بالإسفاف والعنصرية وأنه فيلم فاتر، ويتناول الحقائق باستخفاف". وصدم والت الذي أحب ذلك الفيلم حبًا جمًا من كم الهجوم عليه، ولم ير ما يعيب القصة. إلا أن المجتمع كان يتغير، ولم يدرك ذلك في الوقت الملائم (ومن الغريب أن العروض الحديثة لفيلم أغنية الجنوب لاقت استحساناً، بالرغم من أنه ظل يثير جدلاً).

في ذلك الوقت كان والت وروي يتصادمان بسبب اختلافهما حول الخطوة التالية الملائمة، وكان الاتفاق والحل الوسط الذي توصلا إليه لا يرضي أحدًا، سلسلة من الأفلام ضعيفة الحبكة والتي لم تتجاوز كونها صفقة من أفلام رسوم متحركة قصيرة. واستاءت جماهير ديزني، وأصبح النقاد أكثر حدة وإيلامًا؛ اتهموا والت بالتسطيح وقد كان ذلك صحيحًا وأطلقوا على تلك الأفلام "أكياس المخلفات" وقد كان ذلك صحيحًا أيضًا.. كان سحر اسم ديزني يتآكل يومًا بعد يوم حتى قال والت: "فلنقدم أي شيء أكثر فاعلية". وكان الحل الذي توصل إليه هو وشقيقه روي أن أفلام الكارتون القصيرة لم تعد ذات جاذبية وأفلام الرسوم المتحركة الدرامية الطويلة مكلفة جدًا.. كانا في حاجة إلى مشروعات أخرى جديدة مبتكرة وقال والت: "كنت أريد حلاً لا يضع كل البيض في سلة الرسوم المتحركة فقط".

وبعد أن حرر أفكاره من قيود مشروعاته التقليدية سرعان ما وجد نفسه في صدر الريادة من جديد، وبدا لغزًا في نظر العاملين حين استأجر رجلاً وزوجته يكونان فريقًا للتصوير الطبيعي، وطلب منهما تصوير منطقة ألاسكا وأذهل العاملين الكم الكبير من شرائط الأفلام التي تم تصويرها في ألاسكا بجبالها الثلجية، ولم يكن والت يعرف ما الذي سيفعله بشرائط لا نهائية عن المنطقة الجليدية في ألاسكا، ولكن بعد أن قام برحلة إلى ألاسكا برفقة ابنته شارون قرر أن يصنع من تلك الشرائط فيلمًا عن فقمة البحر.

كانت هناك شكوك كثيرة حول ذلك العمل حتى إن چون هينش تذكر تلك الأيام قائلاً: "لم يكن هناك في الحياة ما هو أشد إثارة للضجر والملل من تلك الفقمات. فقمات تحك جلدها وتحك إناثها تتشممها وتنظر إلى بعضها، وكل الفقمات تبدو متماثلة ولا فارق بينها في نهاية الأمر، إلا أنه كان سعيدًا بها.

رأى والت ما لم يره چون هينش ولا الآخرون! كان يدرك في أعماقه أن الناس يحبون أن يشاهدوا عالم الحيوانات الخفي لكل الكائنات.. من الممكن أن تتحول إلى قصة جيدة بصياغة جيدة للفيلم، وكتابة خفيفة الظل وموسيقى ملائمة ومن الممكن أن يحول تلك الفقمات إلى أبطال وممثلين. جعل من وصول إناث الفقمات إلى الجزيرة الثلجية يبدو كأنه حفل

استقبال لعروس، وحين يبدو في المشهد أحد ذكور الفقمات يأوي إلى كهف صخري يقول صوت المعلق على الفيلم: "ما الذي يتمناه المرء أكثر من هذا؟ بيت جميل وزوجة محبة وجنة آمنة وادعة!".. وفي الأعوام التالية أدى ذلك التناول المغلف بالجمال لأفلام الطبيعة إلى ظهور بعض المثالب. إلا أنه في ذلك الوقت كان مجرد مفهوم إنتاج أفلام توثيقية عن الحيوانات لعرضها جماهيريًا بمثابة ثورة في عالم السينما.

وفي الحقيقة واجه والت مصاعب كبيرة في إقناع الشركة RKO بعرض تلك الأفلام فقد كانت الشركة لا تعتقد أن هناك من سيدفع أي سنت لمشاهدة حيوان الفقمة! وعاد والت لمحاولة الحيلة القديمة التي علمه إياها هاري رايكنباخ.. اتفق والت مع دار عرض كراون في بسادينا بولاية كاليفورنيا على عرض الفيلم الذي بلغ زمن عرضه ٢٧ دقيقة، وكان عرضه يعني دخوله في قائمة الأفلام التي من الممكن أن تتنافس على جائزة أكاديمية الفيلم.. ولم يدهش أحد أن يفوز الفيلم بجائزة الأكاديمية بعد ذلك فتحت شركة توزيع RKo ذراعيها للفيلم وبدأت أفلام الحياة الطبيعية تأخذ مكانها بين باقي الأفلام.

في نفس الوقت تقريبًا بدأ والت يقتحم عالم الأفلام الدرامية غير الكارتونية. كانت الفكرة تراوده من أعوام طويلة؛ فهي أقل تكلفة وأسرع في إنتاجها من أفلام الرسوم المتحركة الطويلة، وتقلل من اعتماد الأستديو على الأفلام الكارتونية الطويلة التي لا ينتج منها إلا فيلم كل عام. ومرة أخرى بدأت شركة RKO للتوزيع تبدي عدم حماسها وحين شرع في إنتاج فيلم تمثيلي اسمه "عزيز جدًا على قلبي" أصروا على إضافة مشاهد مزج كارتونية وحين استقر والت على إنتاج فيلم جزيرة الكنز عام ١٩٤٨ لم يكن مستعدًا للاستجابة لأي توجهات أخرى من أي أحد. كانت رواية روبرت لويس ستفنسون تبدو رواية متكاملة لمشاهدي ديزني؛ فقد كانت محبوكة تحتوي على مغامرات كوميدية كثيرة.

كان ما زال هناك أستديو الرسوم المتحركة، الذي لا بد أن يستمر في الإنتاج، وهناك أيضًا مئات من الرسامين والفنانين الذين يتقاضون أجورهم؛ ولذلك أقنع روي أنه من المنطقي أن يبدأ الأستوديو في إنتاج أفلام رسوم متحركة طويلة، ووعد روي ببذل كل جهد ممكن لتقليص النفقات، وبالتشدد مع العاملين في توفير كل ما يمكن توفيره من نفقات، ثم بدأ في إنتاج ثلاثة أفلام كارتونية طويلة في نفس الوقت: "أليس في بلاد العجائب"، "بيتر بان"، اللذان كانا في الخطة قبل نشوب الحرب و"سندريلا" وهي قصة خرافية مماثلة لسنو وايت.

كانت سندريلا هي الأولى بين تلك الأفلام في الإنتاج.. كان إنتاج أفلام الحياة الطبيعية الذي حقق نجاحًا مدهشًا والأفلام الحية التي أنتجها تفتح أمامه عالمًا جديدًا من الفرص التي

تدفعه إلى التقاط أنفاسه، والتمتع ببعض الاسترخاء.. فعلى مدى أربعين عامًا منذ كان صـــبيًا صغيرًا ظل يعمل بإيقاع إعجازي، والآن حان وقت اللعب واللهو!

الرجل – الطفل

أصبح والت وهو في سن السادسة والأربعين من أقوى وأشهر رجال هوليود.. كان ملوك هوليود يمتعون أنفسهم بقصور هائلة، وأعداد كبيرة من الخدم ويقيمون الحفلات كل ليلة وكانوا يرون أن والت امرؤ غريب وعجيب. فهو يتجنب حضور الحفلات ويبتعد عن المظاهر والنجومية.. كان بإمكانه أن يشتري الكافيار إلا أنه كان يفضل الصلصة الحارة والهامبرجر، وحين يحب أن يسترخى يصحب ليلي إلى نزهة بالسيارة إلى مسارات القطارات وحينما كانت تمر كان يتأمل الذبذبات التي تحدثها في القضبان بعد مرورها.

كانت متعة والت الكبرى تنحصر في مشاهدة أشياء لم يرها من قبل وتبادل الحديث مع من يثيرون اهتمامه بغض النظر إن كان محدثه عالم أو كناس في الشارع، ويظل يوجه سؤالاً بعد آخر حتى يلم بتفاصيل العمل الذي يؤديه.

وقالت عنه مارجوري: "إنه مثل الإسفنجة؛ إسفنجة بشرية، كانت رغبة والت الطبيعية في المعرفة غالبًا ما تدهش الناس الذي يعرفون بعد ذلك أنه لم يتجاوز في الدراسة إلا المراحل الأولى من المدرسة الثانوية وتوقف تعليمه عند هذا الحد. وبالرغم من أن إلمامه بقواعد النحو والنطق كان سيئًا ويعتمد على سكرتيرة في إصلاح أخطائه الكتابية، إلا أن كثيرًا من الناس الذين عرفوه اعتقدوا بأنه أكثر الناس الذين عرفوهم تعليمًا.. لم يكن غريبًا حين يعرف قائد طائرة أن والت ديزني على متن طائرته وأنه يرغب في مشاهدة كابينة القيادة. وبالطبع فإن الإجابة تأتي من قائد الطائرة بالموافقة في ترحيب!. وحين زار نيويورك ذات مرة أعلن أنه يود أن يزور ويرى كواليس المسرح ومحطة الإذاعة الداخلية لقاعة الموسيقى في مسرح "راديو سيتي"، وراح يتفحص بإمعان كل شيء حتى المصاعد الهيدروليكية التي تجعل من العمل المسرحي عملاً ساحرًا ورائعًا ويتذكر ذلك كوتريل قائلاً: "كانت تجربة مفيدة وخبرة رائعة، لا تتاح للمرء الفرصة لمشاهدة مكان كهذا المكان في أي وقت".

وفي صيف عام ١٩٤٨ قام والت بأول رحلة في حياته لغير العمل إلى معرض شيكاغو للقطارات؛ كان بالمعرض ما يزيد على ٣٠ نموذجًا قديمًا للقطارات، وعشرات الشركات العارضة، وعرض خاص اسمه "العجلات الدائرة" والذي يقدم خلاله ٢٢٠ مؤديًا و٨٠٠ عارض تاريخ تطور النقل على مسرح يبلغ اتساعه ٤٥٠ قدمًا.

وقرر والت أن يعمل شركة صغيرة. واصطحب والت معه رسام الرسوم المتحركة وارد كمبال الذي كان في أعماقه أكثر طفولة من والت ولديه مجموعة كبيرة من ألعاب الأطفال الميكانيكية المتحركة تكفي لملء متجر بأكمله؛ كان ظريفًا وذكيًا خصب الخيال وبدأ

العمل لدى ديزني عام ١٩٣٤، وصمم كثيرًا من الشخصيات "الكلاسيكية" التقليدية في أفلام ديزني، ومنها جيميني كريكت.. ويتذكر كمبال ذلك المعرض قائلاً: كنا نذهب إلى المعرض في الصباح، وتبدأ القاطرات المعروضة في العمل، ويتم تشحيمها لتبدأ العرض، وسمحوا لنا أن ندير ها ونقودها.. كنا نسبق الأطفال الصغار تدير القطارات القديمة المشهورة قبل ظهور قطارات لافابيت وچون بول وتوم ثمب، وكانت صفارات القطارات تجعل والت أسعد من نيله عدة جوائز أوسكار!.

كان فضول والت بلا حدود.. لم يكن فضوله يدور حول القاطرات وحدها؛ بل راح يرصد تدفق الناس على نوع من المعروضات إلى معروضات أخرى، ويندهش ويتساءل لماذا لم تصمم الشوارع الداخلية والممرات بطريقة أفضل من تلك التي كانت عليها؟! كما راح يراقب عن كثب معدي الوجبات الغذائية في مطاعم الشطائر، ويتأمل كيف يعدون شطائر الهامبرجر.. وفي المساء أراد كمبال أن يتوجه للاستماع لبعض مقطوعات موسيقى الجاز الشهيرة في شيكاغو، إلا أن والت كانت لديه أفكار أخرى جرت كمبال خلفه للبحث عن أماكن القطارات المعدة للهو في مسارات صاعدة وهابطة، والتي يرتادها ويركبها المراهقون وقال كمبال: "كان يتطلع من النافذة ويفصح عن طفولة كامنة بداخله".

وبعد انتهاء المعرض ابتاع والت نماذج من القطارات لأبناء إخوته الصغار وبنى وشيد نماذج مصغرة لمدن وقرى وغابات أشجار حول مسار القطارات المصغرة. وأحب الأطفال تلك الهدية حبًّا جمًّا؛ إلا أن والت لم يكن بمقدوره أن يقضي كل وقت فراغه لمجرد بناء نماذج مصغرة للأطفال، فقد كان في النهاية رجلاً كبيرًا ناضجًا.

وهنا أراد والت أن يكون لديه قطارًا، وحين قرر هو وليلي أن يبتاعا منزلاً جديدًا عام ١٩٤٨ أصر والت على اختيار بيت تحوطه مساحة كبيرة من الأرض لعمل خط دائري للقطار، لا تقل عن نصف ميل لقطاره المصغر الذي يبلغ حجمه ثمن حجم القطار الطبيعي. وبعد مناقشات عديدة كتب والت عقدًا يبدو قانونيًّا ذكر في جانب منه: "حيث إن والت وليليان زوجان شرعيان وديان وشارون ابنتيهما، وحيث إن الأسرة المذكورة تعيش في تحاب فإن المذكورين ليليان وديان وشارون عهدوا إلى والت بمصالحهم وحقوقهم للتصرف فيما هو في صالحهم".

كان مسار القطار يمر بين أشجار فاكهة في الأرض المملوكة له، ويمر خلال نفق شيده خصيصًا يبلغ طوله ١٢٠ قدمًا، على شكل حرف S، ولا يرى راكبو القطار نهاية النفق حين يدخل القطار من بدايته. وحين اقترح أحد منفذي النفق على والت أنه سيكون أوفر تكلفة لو جعله مستقيمًا، نظر إليه والت بتعجب قائلاً: "كلا الأرخص ألا نقيمه على الإطلاق!".

اكتمل بناء ومد خطوط القطار الذي يعمل بالبخار وكانت القاطرة سوداء اللون بحواف ذهبية وحمراء. وفي عطلات آخر الأسبوع كان والت يدعو زائريه لجولة حول مزرعته وهو معهم ليقود القطار، ويقول عنه: "إنه فخري وسعادتي، وببساطة أنا أعشقه!".

وعكس المنزل الجديد شخصية والت في مظاهر عديدة؛ لم يكن منزلاً بالغ الضخامة! ضم غرفًا للألعاب المختلفة، وقاعة عرض، وركنًا للمثلجات والمرطبات جمع والت فيه بين غرائب الأشياء، بما فيها آيس كريم الشمبانيا، المزينة بمظلات مصغرة مغروسة في الفراولة على قمتها.

وبالنسبة لأي امرئ يشاهد والت ديزني في تلك الأيام كان يعتقد أنه يتقهقر للطفولة وأنه يمهد للتقاعد. فلأول مرة على مدى أعوام طويلة يصبح لديه هوايات. ووجه أغلب طاقته المحمومة التي يستنفذها في إنتاج الأفلام إلى قطاره الجديد، مع اهتمام متنامٍ بالنماذج المصغرة من الأشياء. وحين كان يتسلل من مكتبه بالأستوديو، كان يتوجه إلى ورش الصيانة ويعمل جنبًا إلى جنب مع العمال ويصمم بعناية شديدة مناضد صغيرة ونماذج لمقاعد صغيرة.

وفي صيف عام ١٩٤٩ اصطحب أسرته إلى أوروبا، حيث كان فيلمه "جزيرة الكنز" يصور هناك وقضوا خمسة أسابيع في إنجلترا، وبضعة أيام في أيرلندا، وثلاثة أسابيع في فرنسا وسويسرا وذات مساء، عاد والت إلى أسرته بأحد فنادق باريس ومعه عدد لا نهائي من الصناديق التي تحتوي على ألعاب ميكانيكية كثيرة؛ قردة تدق على الطبول وكلاب تتقلب على الأرض. وفتح كل العلب ووضع كل اللعب على الأرض وراح يتفرج عليها بتأمل ومتعة وهو يقول: "أليست مدهشة انظروا إلى حركتها الآلية البسيطة انظروا إلى ذلك!".. وظن الأولاد أنه يمزح؛ ولم يدركوا أنه يدرس بالفعل تلك اللعب الميكانيكية ويخزن في ذاكرته ما يتعلمه ليوظفه في موضعه الملائم في المستقبل.

كانت الرحلة سعيدة وموفقة وحصل والت على كرة بها صور للأماكن التي عمل بها حين تطوع في الصليب الأحمر. في تلك الرحلة أصر على استعمال القليل من اللغة الفرنسية التي يعرفها، ولم يصدم حين طلب بطريق الخطأ لحم جمل مشوي بإحدى المطاعم الفرنسية، وكان وهو يتابع تصوير الفيلم في إنجلترا مثل طفل صغير حصل على لعبة جديدة! كان سعيدًا بسهولة وببساطة تصوير الأفلام الحية مقارنة بمعاناة إعداد فيلم من الرسوم المتحركة، وقال بعد ذلك لإغاظة الرسامين: "أولئك الممثلين عظماء تحدد لهم فقط المطلوب ويجرون تجربتين، ثم تحصل على ما تريد وينتهي الفيلم كالسحر أما أنتم فيستغرق الأمر منكم ستة أشهر لعمل مشهد".

كان يستمتع بمشاهدة رسامي الديكور مثل بيتر إلينشو المولود بإنجلترا وهو يلون خلفيات المشاهد مثل الموانئ والقلاع دون احتياج من المصور إلى الوصول إلى تلك الموانئ أو القلاع حتى إن كثيرًا من الخلفيات المائية في فيلم جزيرة الكنز لا وجود لها في الواقع على الإطلاق. كان يقول مازحًا: "لا تنسوا يا رفاق إننا لا نحتاج إلى الذهاب إلى أي موقع لتصويره، معنا هنا بيتر من الممكن أن يرسم لنا جزيرة بأكملها!".

وفيما بعد ذلك كان على الرسامين أن يبذلوا جهدًا أكبر ليحظوا باهتمام والت! كانت إثارة التصوير الحي تجتذبه بشدة وسخر أحد الرسامين ذات مرة قائلاً: "كلما ركب والت كاميرا تصوير كنا نوقن أننا بذلك نفقده!".. إلا أن هناك خططًا أخرى كانت تتكون بذهنه، فقد كان لهوه بالألعاب الذي يبدو للآخرين أنه هواية بلا هدف كان على وشك أن يقوده إلى طريق جديد مختلف تمامًا.

مملكة أحلام والت

بدأت الرحلة الطويلة التي انتهت بافتتاح مدينة ديزني عام ١٩٥٥، حين كان والت يخرج مع بناته في نزهات ترفيهية أيام الآحاد في بدايات عام ١٩٤٠. وبعد أن كانت البنات ينتهين من الجولة الخامسة عشر بقطار الأطفال في مدينة الملاهي، يجلس والت على أحد الأرائك الخشبية ويتساءل في داخله: لماذا لا ينشئ أحد مكانًا نظيفًا وآمنًا للترفيه يتمتع فيه الكبار والصغار معًا؟

كانت مدن الملاهي التقليدية السائدة في عام ١٩٤٠ أماكن مزرية بعربات ألعاب صدئة، ومسارات رديئة متهالكة تقرقع وتصدر أصواتًا مزعجة وتنتشر في أجوائها روائح الأطعمة الفاسدة. وفكر والت قبل نشوب الحرب مباشرة في بناء حديقة ملاهٍ صغيرة في الناحية المقابلة للأستوديو على الجانب الآخر من الطريق للضيوف والعاملين بالأستوديو. كان يخطط أن تحتوي على فصيلة الخيول "السيسي"، وقطار صغير، وتماثيل لسنو وايت وميكي وميني. وقام والت بجولة حول الموقع وتفقد أنحاءه كما يفعل من يشرعون في تزيين منزل جديد.

ولم تظهر الفكرة إلى عالم الوجود، إلا أنها لم تفارق خيال والت أبدًا، وفي بدايات الخمسينيات راودت والت أفكار كثيرة حول مشاريع عملية بعيدًا عن عالم الأفلام، إلا أنها جميعًا كانت تدور حول مشاريع ترفيهية. ففي عام ١٩٥١ على سبيل المثال، قام بمعاونة فناني الأستوديو والنجارين في تصميم نموذج لمنزل صغير متكامل بالإضاءة، والأطباق وحديقة خضروات حوله، كل ذلك بدرنات الجزر الصغيرة. وعرض ذلك المنزل في معرض لمنطقة الباسيفيكي، ولاقى من الاستحسان ما دفع بوالت إلى التفكير في إنشاء نماذج كثيرة تصلح لإقامة معرض متجول في أرجاء الولايات المتحدة. وقال هابر چوني أحد فناني الأستوديو: 'لم يشأ والت أن يجشم الفقراء عناء السفر عبر الولايات والإقامة في فنادق لمشاهدة ذلك المعرض".

ومع تطور أفكار والت؛ تبين له أن المعرض المتجول لا يمكن أن يحقق أي عائد مادي، وأن حجمه الصغير لن يسمح بأن يشاهده عدد كبير من الجماهير في نفس الوقت. فتحول فكره إلى إقامة مدينة "ترفيهية عائلية" تختلف عن كل المدن الترفيهية المنتشرة في الولايات؛ مدينة لا تحتوي على تلك الألعاب التقليدية الصدئة المتهالكة. مدينة لا يخشى زائروها تناول الوجبات من مطاعمها.. وفكر أن يكون دخول المدينة مقابل رسم يدفع على

بابها، وقال: "إن لم نجعل لها رسم دخول؛ سنجدها تعج بالمخمورين وبأنواع من الناس يضايقون الآخرين في الألعاب التي تمر بأماكن مظلمة".

وكلما ذهب إلى مدينة ملاهٍ، كان يدرسها، ويوجه كثيرًا من الأسئلة، ويطور خططه الذهنية، وأثناء إحدى زياراته لأوروبا أعجبته كثيرًا مدينة ملاهي تيفولي في كوبنهاجن بالدنمارك، كانت أسعارها ملائمة ويعامل فيها الضيوف معاملة كريمة، الأهم من كل ذلك أنها كانت نظيفة تمامًا. وكان يريد أن يجعل من مدينته الترفيهية مدينة نظيفة مثل تلك المدينة. كان يقول: "بالتأكيد لا تحب النساء أن يصطحبن أطفالهن إلى أماكن قذرة". ومن ساحل الأطلنطي حتى ساحل الباسيفيكي، كان أصحاب الملاهي يقولون له أثناء مناقشته لهم: "لا يمكنك أن تفرض رسومًا للدخول.. ولا بد أن تحتوي أي مدينة ترفيهية على عربات للألعاب.. لا بد من تقديم مشروبات كحولية.. سيكلفك الاحتفاظ بأماكن الراحة نظيفة على الدوام أموالاً طائلة.. ستضطر بتلك الأفكار إلى بيع قميصك في يوم ما".

وعارض روي هو الآخر تلك الفكرة فقد كان يرى أن والت لا بد أن يكرس كل جهده للأستوديو، وألا يمضي وقته من هنا إلى هناك لاهيًا بين المدن الترفيهية؟ كان يشعر بالمسئولية أمام حملة أسهم أستوديو ديزني وحتى لو كان التزامه تجاههم يعني أن يقول لأخيه: لا، بطريقة مباشرة. وقال لأخيه إنه لا يمكن أن يمول تلك الشطحة الجديدة، قال له: "نحن نعمل في مجال الأفلام، نحن نعمل في مجال أفلام الرسوم المتحركة، ليست لدينا أي خبرات في مجال مدن الترفيه وأنا لا أنظر بأي تفاؤل إلى ذلك التوجه".

كان هناك عمل كثير بالأستوديو يتطلب تفرغ والت، كان فيلم سندريللا الذي أنتج عام ١٩٥٠ عملاً لاقى استحسانًا كبيرًا، أما فيلم "أليس في بلاد العجائب" فقد مر بلا حماس يذكر حين أنتج عام ١٩٥١، وفسر والت عدم نجاح فيلم أليس في بلاد العجائب قائلاً: "لم يكن هناك قلب ولا مشاعر أثناء إنتاجه". وبعد عامين أنتج فيلم "بيتر بان" كفيلم رسوم متحركة طويل وحقق إيرادات كبيرة، إلا أنه لم يكن عملاً مدويًا.

في نفس الوقت كانت أفلام الحياة الطبيعية تلاقي نجاحًا كبيرًا حتى إن الأستوديو أنتج عدة أفلام منها، وحين لم تتعاون شركة التوزيع RKO من جديد أنشأ والت شركة توزيع خاصة لتوزيع إنتاج شركة ديزني أسماها "بوينا ڤيستا"، وأنتج فيلمًا حيًا آخر عام ١٩٥٢ هو فيلم "روبن هود" وتبعه ببعض الأفلام التي تستمد أحداثها من التاريخ.. وشرع الأستوديو في إنتاج أكبر أفلامه طموحًا حتى ذلك الوقت؛ وهو فيلم "٢٠٠٠٠ فرسخ تحت الماء" والذي تضمن مؤثرات خاصة جديدة، وبلغت تكلفته ٤ ملايين دولار.. كان مخرجي ومديري الإنتاج في ديزني يسعون إلى جذب انتباه والت على أمل أن يحظوا بأفكاره الإبداعية لتحسين الأفلام

التي يعملون بها، وحين لم يرض عن مشهد هجوم الأخطبوط على الغواصة في فيلم "٢٠٠٠٠ فرسخ تحت الماء" طلب إعادة المشهد إلا أنه أضاف من عنده فكرة جديدة قائلاً لهم: "أضيفوا عاصفة في هذا المشهد"، وكلفت تلك الملحوظة الصغيرة الأستوديو ٢٥٠٠٠٠ دولار، إضافية وظلت الأجهزة الصوتية متأثرة بالماء الذي غمرها سنوات، إلا أن الفيلم تحسن كثيرًا بتلك الملاحظة.

كان والت لا ينام إلا عددًا قليلاً من الساعات كل ليلة، إلا أنه استقر استقرارًا راسخًا على فكرة المدينة الترفيهية، وقرر ألا يسمح لأي إنسان ولا أي شيء أن يزحزحه عن قراره ولا حتى شقيقه روي.. قرر إذا لم تدعمه شركة ديزني؛ فإنه سيبدأ العمل بماله الخاص، وسحب كل مدخراته من البنك واقترض ١٠٠٠٠٠٠ دولار بضمان وثيقة تأمين على الحياة وباع منزله الخلوي في "بالم بيتش"، وأغرى كثيرًا من العاملين أن يقرضوه ما يستطيعون. ولم تكن ليلي راضية حين رأت مدخراتهم توجه إلى المقامرة بها على هذا النحو إلا أنه لم يكن هناك من يستطيع أن يقف أمام والت، وقال والت: "لم أر في حياتي مكانًا ملائمًا أضع فيه أموالي أكثر من المشروعات التي تثير الاهتمام".

وفي ديسمبر عام ١٩٥٢ بدأ في تكوين شركة ديزني المساهمة، والتي تحولت بعد ذلك إلى مؤسسة والت ديزني (Wed). وهي المؤسسة التي تشرف على تصميم وإنشاء ديزني لاند التي ستكون مكانًا للإبداع الخلاق المفعم بعالم الخيال، ونوى أن يطلق العنان للمصممين والمعماريين والمهندسين والكتاب والفنانين لتطوير أفكار جديدة خلاقة تعتمد على العلوم التكنولوجية الحديثة.. كان والت في ذلك الوقت حامل الأسهم الوحيد.

كانت مؤسسة والت إلياس ديزني تحقق لوالت شيئًا يتمناه منذ زمن طويل؛ وهو أن يكون لديه شركة صغيرة هو المتحكم وحده في شئونها؛ حيث يستطيع أن يتخذ قراراته دون تدخل من جانب المحاسبين، ورجال البنوك، والمستثمرين.. كان والت يشعر بمتعة عظمى في الساعات التي يقضيها في مؤسسة ديزني الجديدة، كان يشعر براحة وسعادة واسترخاء حتى بعد أشد ثوراته وأطلق لخياله العنان بلا حدود، وأطلقوا على المؤسسة الجديدة "مكان ضحك والت"، مشيرين إلى اللحن الشهير في فيلم "أغنية الجنوب".

وتعاقد مع معهد ستانفورد للأبحاث ليعينه على اختيار المكان الملائم لمدينة الملاهي، وبعد دراسة مضنية لجنوب كاليفورنيا تم اختيار منطقة "أنا هايم". كان الطقس جيدًا بتلك المنطقة وهي قريبة من كل الطرق السريعة، وتتوفر بها مساحات كبيرة خالية، وبذلك أصبح لدى والت فريق من المصممين، ومكان لإنشاء المدينة. ولم يتبق إلا شيء واحد يحول دون

البدء في تحقيق الحلم. كان تحقيق الحلم يحتاج إلى ملايين الدولارات في الوقت الذي أفلس فيه من جديد، ولحسن الحظ كانت لديه فكرة لجمع المال الذي يحتاجه!

على الهواء

راودت احتمالات العمل بالتلفزيون والت منذ زمن طويل حتى قبل أن يصبح التلفزيون مألوفًا للجماهير.. ومن أواخر الثلاثينيات كان يحاول أن يدخل إلى عالم التسلية بالشاشة الصغيرة، بل إنه فكر في إنشاء محطة بث تليفزيوني في الوقت الذي لم تكن توجد فيه في لوس أنجلوس إلا محطة واحدة.

وفي بداية الخمسينيات بدأت شركات إنتاج الأفلام تأخذ في اعتبارها تلك الوسيلة الجديدة التي أطلقوا عليها بتشكك لقب "الغول" خوفًا من تأثيرها على المشاهدين وإحجام كثيرين من الذهاب إلى دور السينما، وتفضيل مشاهدة التليفزيون في البيوت.. ولم يوافقهم والت على رأيهم هذا فقد أدرك أن التليفزيون إنما يتيح له فرصة أكبر لدخول بيوت المشاهدين وتطوير أعماله.

وفي عام ١٩٥٠ بدأ وجه والت يطل على ٤,٤ ملايين مشاهد تليفزيون في أمريكا من خلال ذلك العرض الذي كان يقدمه تحت اسم "ساعة في بلاد العجائب"، تحت رعاية شركة كوكاكولا، وهو أول عرض يقوم به أستوديو إنتاج سينمائي للتليفزيون، ومن خلال حفلة الكريسماس في الأستوديو قدم مشاهد من أليس في بلاد العجائب والتي كانت ستعرض في دور السينما بعد بضعة شهور، وفي العام التالي قدم عرضًا آخر في أعياد الكريسماس تحت رعاية شركة چونسون وچونسون.

ولما احتاج إلى أموال للبدء في إقامة ديزني لاند فكر والت في الاعتماد على التليفزيون على نطاق أوسع.. في عام ١٩٥٣ كانت محطات التليفزيون تدفع مبالغ كبيرة للأسماء الشهيرة مثل بوب هوب وچاك بيني، فلو وجد محطة تحتاج إلى اسمه المعروف فمن الممكن أن تمول مدينته الترفيهية، فضلاً عن ذلك فإنه من خلال العرض التليفزيوني سيتمكن من تحقيق حملة دعائية لمدينة الملاهي بلا مقابل.

ولأول مرة منذ أن بدأ والت الحديث عن مدينته ديزني لاند؛ بدأ روي يدرك أن أفكار أخيه معقولة إلى حد كبير، وراح والت يفتش عن وسائل يدبر بها المال اللازم لبدء مشروعه ووافق روي على التوجه إلى محطات التليفزيون في نيويورك والتفاوض معها، وسأل والت: "ما الذي لدينا لنجذب اهتمامهم جذبًا حقيقيًا؟".

كانت مشكلة حقيقية فقد كانت لدى والت ومصممية أفكار هائلة للمدينة، إلا أنهم لم يكونوا يمتلكون رسمًا توضيحيًا واحدًا، وفي ذات صباح من سبتمبر ١٩٥٣ طلب والت من هربرت رايمان (وهو أحد رسامي ديزني القدامى وصديق لعائلة ديزني) أن يلحق به وينضم

إليه في الأستوديو، كان والت يحسد رايمان لأنه قاد عاد لتوه من سفر دام عدة أشهر بصحبة فرقة سيرك إخوان. رتجلنج لرسم أنشطة السيرك المختلفة، كان رايمان رسامًا ومصممًا بارعًا وكان مثل والت في فضوله الذي لا يشبع، وراح يستمع إلى والت باهتمام كبير وهو يحكي له قصة ديزني لاند وخططه التي ينتويها، وأن روي سيسافر إلى نيويورك بعد يومين لتدبير المال اللازم للمدينة. قال رايمان: "أتمنى من كل قلبي أن يوفق روي في ذلك، ولكن ما الذي كنت تريدني من أجله؟".

قال والت: "أنت تعرف من هم رجال البنوك يا هربي، لا يمكنهم أن يروا أي شيء أو يتخيلوه، إنهم لا يفكرون إلا في المال، يجب أن يأخذ روي معه رسومات تخطيطية وخطط المدينة ليريهم ما الذي ننتوي عمله".

قال رايمان: "هذا طبيعي، وأنا أود أيضًا أن ألقي نظرة على تلك الرسومات، أين هي؟".

قال والت وهو يصوب إصبعه الطويلة نحوه: "ستقوم أنت برسمها في يومين".

قال رايمان في حدة: "أنا لن أرسم مدينة في يومين، أنت مجنون!! هل كانت لديك تلك الجرأة لتستدعيني في إجازة نهاية الأسبوع وتنتظر أن أنفذ هذا في يومين.. حسنًا، لا أستطيع.. لا يوجد أي أحد في العالم بإمكانه أن يفعل هذا.. أنت تخلق مضايقات لك ولي أنا أيضًا.. لا علاقة لي بهذا الموضوع نهائيًا.. نحن ما زلنا أصدقاء، ولكن ما تطلبه مني مستحيل".

وبعد ساعتين من الجدل بدأ رايمان العمل.. وظل الرجلان يعملان بلا نوم حتى صباح الأحد، والت يتحدث ويصف ورايمان يرسم، وبحلول مساء الأحد كانا قد أنجزا رسومات بالألوان الكاملة وبكل التفاصيل الدقيقة للمدينة الترفيهية.

أظهرت الرسومات الشوارع الرئيسية بالمدينة، والتي تؤدي إلى طريق دائري تتفرع منه طرق إلى الداخل مثل محاور العجلة تؤدي إلى منطقة قضاء الإجازات ونادى ميكي ماوس ونماذج المناطق الريفية النائية، وأرض الخيال، وعالم الغد، ومنطقة الترفيه، وأماكن كثيرة مختلفة الأغراض، وجدير بالذكر أن كثيرًا من تلك المناطق التي شملها التخطيط الأولي لم يتم تنفيذها.

وسافر روي إلى نيويورك ومعه التفاصيل المرسومة، ووجد أن محطة تليفزيون CBS غير مهتمة إطلاقًا بمثل تلك المشاريع ومحطة NBC تهتم بتلك المشاريع إلا أنها لا تود المساهمة، أما محطة ABC التي كانت أصغرهم فقد أبدت اهتمامًا كبيرًا ووافقوا على توقيع عقد مساهمة بالأحرف الأولى.

رأى ليونارد چولدنسون رئيس محطة ABC أن سمعة والت ديزني من الممكن أن تدفع بالمحطة إلى مكان بارز على خريطة محطات التليفزيون، كان لدى محطة CBS برنامج "أنا أحب لوسي" الذي يقدمه إد سوليفان وچاكي جليسون، وكان لدى محطة NBC سد سيزر وبوب هوب، والآن ها هي الفرصة تتاح لمحطة ABC لأن يكون لديها والت ديزني. وتم الاتفاق على أن يقدم والت ديزني ساعة ترفيه أسبوعية وكذلك تملك أسهم المدينة الترفيهية مقابل أن تدفع ABC نصف مليون دولار نقدًا في الحال، وتقدم ضمان قروض بقيمة ٤,٥ مليون دولار.

وفي بداية عام ١٩٥٤ قرر روي أن يضع أموالاً من ميزانية الأستوديو في المدينة الترفيهية على أساس أن المساهمين سينالون أرباحًا إضافية في المقابل، وبأموال ABC وأموال شركة ديزني لإنتاج الأفلام الفكاهية والكتب أصبح لدى والت الأموال الكافية لإخراج أحلامه من على صفحات الرسومات إلى أرض الواقع، وفي الوقت الذي كان فيه والت يركز على الأفكار والتصورات في مشروعه الجديد؛ أبلغته ابنته ديان عن عزمها على الزواج.. كان من أحبته زميلاً لها بالدراسة في جامعة جنوب كاليفورنيا، وكان شابًا وسيمًا ولاعب كرة قدم اسمه رون ميللر، ووصفه والت في رسالة منه إلى شقيقه هرب قائلاً: "إنه شاب رائع، ورياضي من ذلك الصنف الذي تحبه جميعًا".

وتزوجت ديان ورون في كنيسة صغيرة في مدينة سانت باربرا في كاليفورنيا وفي الحفل الذي تلا عقد القران كان والت يشب على أطراف أصابعه حين كانت تلتقط له الصور مع زوج ابنته؛ فقد كان يبدو قزمًا بجوار رون الذي بلغ طوله ستة أقدام وخمسة بوصات (١٩٢,٥ سم).

وفي ٢٧ أكتوبر عام ١٩٥٤ تمت إذاعة أول حلقة تليفزيونية في محطة ABC تحمل اسم "ديزني لاند"، وتم تصوير أغلب البرنامج بالألوان بالرغم من أن محطات التليفزيون كانت ما زالت تعرض برامجها بالأبيض والأسود قبل التوصل إلى الإرسال الملون.. ومرة أخرى يظهر والت أنه يتحلى ببعد نظر لا مثيل له وقال زوج ابنته رون ميللر عن ذلك: "إنه يعمل حسابًا للمستقبل لأنه كان يعرف أنه سيأتي يوم ليس بعيدًا، يتم فيه الإرسال التليفزيوني بالألوان".

واكتشف والت أن كثيرًا من أفلامه وأفلام رسومه المتحركة يمكن إعادة عرضها من خلال التليفزيون، وكان إصراره على نوعية الأفلام ذا مردود عالٍ.. كان العرض الذي يقدمه كل أسبوع خليطًا من عالم الخيال، والمغامرات، والتعليم، والدراما، بالإضافة إلى ذلك أعد

والت تقريرًا تليفزيونيًّا عن بناء مدينة ديزني بحيث يشوق الجماهير إليها قبل اكتمال بنائها وافتتاحها.

كان والت موهوبًا في التخطيط.. رأى بعين خياله أن حلمه وهو صبي بأن يصبح مشهورًا ونجمًا لامعًا مع صديقه الصبي والت فيفر قد بدأ يتحقق أخيرًا. ومن البداية نشبت معارك مع المعلنين الذين أصروا على إجبار والت على عمل ما يرونه ملائمًا ولم يكن ذلك غريبًا في ذلك الوقت؛ كان رعاة أي عمل لهم الصلاحية المطلقة للسيطرة تمامًا على ما يجب أن يشاهده الناس في البرامج التليفزيونية التي تتم تحت رعايتهم. كانت شركات التبغ تحرص على أن يدخن المشاهير السجائر في البرامج التي يرعونها، وفي أحد العروض التي ترعاها شركة فورد المنتجة لسيارات كرايزلر تم دهان المبني بالكامل بلون سماء نيويورك، ولحسن الحظ كان والت قويًّا بما يكفي ليقدم العرض بشروطه هو لا بشروط الشركة الراعية للعرض التليفزيوني، وقال في حزم: "لا يوجد مخلوق من الممكن أن يقول لي نعم أو لا لو كنت أقدم برنامجًا عفنًا أو فاشلاً فإن كل ذلك يعود لي أنا".

وكانت البرامج الفاشلة قليلة، وعلى مدى ثلاثة أعوام كان برنامج ديزني لاند هو البرنامج الوحيد لدى محطة ABC الذي يصنف بين أهم خمسة عشر برنامج في كل سنة. وقدم والت فيلمين تليفزيونين هما "دافي كروكيت"، و"ملك الحدود البرية" وكان كل منهما يقدم على ثلاثة حلقات كل حلقة على مدى ساعة زمن، وكانت أعمالاً ذات صدى في وقتها، وبمرور الوقت تحولت العروض التليفزيونية إلى أفلام، وأصبح كل صبي في السابعة من عمره في كل الولايات المتحدة لديه قلنسوة من جلود القطط، هي شعار البرنامج، ويغني اللحن المميز للبرنامج.

وعلى مدى السنوات القليلة التالية تم تقديم برامج أخرى ناجحة جدًا ونالت شهرة كبيرة مثل "زورو" عن قصة تدور حول فتى من كاليفورنيا من أصل إسباني كان يعلم بذبابة السيف القمصان التي يرتديها الأشرار بعلامة حرف Z.

أما في مسلسل "رجل الفضاء" والذي أذيع عام ١٩٥٥ فقد كان يعتمد على مادة علمية كان يكتبها العالم فيرنر فون براون وآخرون، والتي تعطي المشاهد فكرة عن رحلات الفضاء بما فيها الهبوط على سطح القمر، وتم استخدام أفلام الرسوم المتحركة وكذلك الشرائط المصورة عن الحياة الطبيعية، وقد تحققت كثير من الأفكار التي تم مناقشتها وتقديمها في العروض في الواقع بعد ذلك. كانت تلك الأعمال التي قدمها والت من الخيال كأنها تمهيد لتحقيقها في عالم الواقع، فلم تبدأ الولايات المتحدة برامجها الفضائية إلا عام ١٩٦٠!!

قالب واحد في كل مرة

كانت ديزني لاند أكبر مشروع يقيمه والت؛ أخذ على عاتقه أن ينتهي من بناء المدينة في عامين. خلال ذلك الوقت كان عليه أن يحول حدائق البرتقال في ذلك الموقع والتي تبلغ مساحتها ١٩٨٠ فدانًا إلى مملكة من السحر والخيال بطرق رئيسية وقلعة وغابة ومراكب تسبح في نهر جارف وخط سكك حديدية ومطاعم ومتنزهات للمشي في أنحائها وأكشاك ودورات مياه.

كان والت يذهب كل يوم تقريبًا إلى موقع العمل يراقب ويصلح ويعدل ويناقش ويعطي التعليمات: "حرك هذه الشجرة ستة أقدام إلى اليسار، إلى ما يراه من ملحوظات". وببطء ومن بين الطين بدأت تبرز ملامح المدينة. كان التصميم مستوحي من مدن الملاهي التقليدية التي تتكون من محور رئيسي أوسط، ويؤدي الطريق الرئيسي إلى الطريق الدائري، حيث توجد قلعة "الجمال النائم" ويؤدي الطريق الدائري أيضًا إلى أرض الخيال وأرض المغامرات وأرض الحدود وأرض المستقبل، وحين يصل الزائر إلى مدخل أي منطقة فإنه يرى ما يجذبه بلا مقاومة، وكأنها قطعة من السجق معلقة في طرف العصا.. وأطلق والت على جذب الزائرين بهذه الوسيلة اسم: "المدومين مغناطيسيًا".. كانت تضاف كل يوم عوامل جذب جديدة وتزال، وتبدل تصميمات قديمة. رسمت التصميمات الأولية أولاً، ثم تحولت إلى نماذج مصغرة، حتى يتمكن والت من تخيل المفاهيم بوضوح. كثير من المصورين كان لديهم دراية كافية بصناعة الأفلام، واستخدموا الخدع والحيل السينمائية لخلق عالم من الإيهام.. أحد الوسائل التي استخدمت كان يطلق عليها "المفهوم الإجباري" أو "التصور الإجباري" لأن الطوابق الأعلى في المباني المطلة على الطريق الرئيسي كانت أصغر من الطوابق الأسبق، وبسبب ذلك خداعًا بصريًا يجعل المرء يعتقد أن المباني أعلى من حقيقتها. كما لم تنفذ كثير من الأفكار التي تم طرحها في التخطيط الأولي.. على سبيل المثال كان مخططًا إنشاء جانب اسمه صخرة جبل الحلوى، وكان مفترضًا أن يكون كله من الحلوى للأطفال، ولسوء الحظ تبين أن المكان بعد إنشائه تحول إلى شيء مقزز تعافه النفس.. وقال چون هينج وهو من مصممي التخيل لما يمكن أن تكون عليه المدينة: "بدأ النموذج يتحول إلى شيء مثير للتقزز كلما اقترب من إنجازه.. فكرنا أن نموذجًا صناعيًا لأشكال الحلوى الحقيقية والشيكولاتة وكميات كبيرة من اللادن تعلق في الأشجار، ولم يكن المكان مكيفًا فقد كان في الهواء الطلق؛ ولذلك ساحت كل الحلوى وجاءت الطيور لتختطف اللادن من على الأشجار، وفي النهاية، يأس والت من ذلك الجانب وألغاه!.

لم يكن هناك ما يثير الدهشة والإثارة أكثر من رحلة بقارب في نهر يمر بقلب غابة لذلك كان لا بد من شق نهر في منتصف منطقة "أنا هايم" التي تقام بها المدينة وأن تحتوي الغابة على حيوانات ونباتات وأشجار غريبة ونادرة، وتولى خبير البراري إيفانز مهمة إقامة الغابة، ولم يكن الوقت كافيًا لزرع غابة وطاف بسيارته حول كل أرجاء المنطقة باحثًا عن أشجار مميزة تكون مثيرة للانتباه، وخلق أشكالاً جديدة من الغابات، وذلك بأن وضع الأشجار مقلوبة بحيث تكون جذورها في الهواء إلى أعلى، ثم يزرع أشجارًا لتتسلق جذور الأشجار المقلوبة.

وشغل موضوع الحيوانات التي لا بد أن توجد في مسار النهر ذهنه. كذلك إطعام القردة والأفيال التي توضع في الغابة، لكنه تبين أنها قد تفر أو تنام أثناء حرارة النهار في الوقت الذي يقوم فيه الزوار بالتجوال، وبذلك تتفاوت جولات الزائرين وحظوظهم في مشاهدة الحيوانات – قد يشاهد زائر في رحلة في النهر عشرات الحيوانات بينما لا يرى زائر آخر في رحلة أخرى أيًا من الحيوانات.. كان الحل الوحيد المتاح هو وضع نماذج لحيوانات آلية وميكانيكية.

وبعد تنفيذ الفكرة بدت الحيوانات وكأنها حقيقية، ووضعت لطخ من الطين على الخراتيت حتى تبدو طبيعية، وبدا الزراف وهو يأكل أوراق الأشجار كأنه زراف حقيقي؛ كانت الحيوانات تدار بقوة ضغط المياه لأن والت كان يخشى أن تصعق الكهرباء الأطفال إذا تمت إدارة حركة الحيوانات بالكهرباء؛ لذلك بدت حركة الحيوانات وكأنها غير سلسلة ولا منتظمة ولو اضطر عدد كبير من الناس للاستحمام في وقت واحد في منطقة أناهايم، كان ذلك يؤدي إلى انخفاض ضغط الماء الذي يحرك الحيوانات، وحينئذٍ تبدو الحيوانات وكأنها تحت تأثير العقاقير المنومة (وتم إدارة حركة الحيوانات بعد ذلك بالكهرباء).

كان والت يعمل مع فرق العمل المختلفة لمدة خمسة عشر وأحيانًا لثمانية عشر ساعة كل يوم. كان الافتتاح يقترب وارتفع المبلغ المقدر للمدينة حتى وصلت التكلفة إلى ١٧ مليون دولار وما زالت تبدو خاوية، لم يكن أي شيء قد أنجز في أرض الغد، وصواريخ القمر كانت ما تزال على قاعدة الإطلاق وأحالت الأمطار الغزيرة أغلب أنحاء المدينة إلى برك وأوحال وكانت اتحادات العمال كثيرًا ما تعلن الإضراب حتى إن بعض العمال دمروا بعض الأعمال في المدينة بعد أن أتموها لإثارة حماس باقي العمال في مدينة ديزني.

وفي الثالث عشر من يوليو (أي قبل أيام قليلة من موعد الافتتاح) احتفل والت وليلي بعيد زواجهما الخامس والثلاثين في المدينة. وبعد أن تناولوا مع الضيوف حلوى بالنعناع في نموذج لسفينة تعمل بالبخار في ركن مارك توين؛ توجهوا إلى ركن الحدوة الذهبية لتناول

الغذاء مع الضيوف، وعلى مدى ساعات نسي والت متاعب وآلام مدينة ديزني واستمتع بقضاء وقت طيب، بل كان وقتًا طيبًا جدًا، كان يشاهد والشراب بيده طوال ذلك المساء واكتشفت ليلي غيابه فجأة، وبحثت عنه حتى وجدته في شرفة المطعم وهو يصيح "بانج – بانج" في دور تمثيلي وحياه المشاهدون بالتصفيق ونزل وتوجه إلى خشبة المسرح وانضمت إليه أسرته وسرعان ما راح الجميع يرقصون وسعد والت بكل دقيقة قضاها في ذلك اليوم.

واقترحت عليه ابنته ديان أنه من الأفضل أن تقود هي السيارة لتعود به إلى البيت وجلس والت في المقعد الخلفي للسيارة وهو يمسك بخرائط مدينة ديزني مطوية في يده، وقالت ديان: "كان يطوي الخرائط في أسطوانة وينفخ فيها كأنها نفير مثل طفل صغير يلهو بنفيره، ثم راح يغني أغنية وفجأة انقطع صوت غنائه، ولما استدارت إليه مستطلعة وجدته مثل الطفل الذي راح في سبات عميق ونفيره في حضنه".

يوم الأحد الأسود

لم يكن هناك قمر في سماء ليلة ١٦ يوليو عام ١٩٥٥، ولم يتبق على الافتتاح إلا سويعات وعشرات من الرجال والنساء يغمرهم العرق ويتبادلون الشتائم في ظلام وفي حر ورطوبة المدينة وهم يعملون عملاً محمومًا حتى ينتهوا من العمل في وقت الافتتاح.

وكانت هناك جماعات ما زالت تعمل في الغابة التي يمر خلالها النهر الجارف ويرفعون فيلاً ميكانيكيًا يزن ٩٠٠ رطل إلى موضعه. والسباكون يصلون المواسير إلى دورات المياه حتى تكون جاهزة قبل الافتتاح. والنقاشون يدهنون الأماكن التي تبدو فيها الأسطح عارية بالألوان لتجميلها. ورجال الصيانة يثبتون الأعلام والبالونات في مختلف أرجاء أرض الغد لإخفاء خلو ذلك القسم من أي شيء يعمل.

أما والت الذي ظل بلا نوم في الليلة السابقة فتمنى لو كان يستطيع أن يؤجل الافتتاح. إلا أن عرضًا حيًا كان يقدم في التليفزيون عن موعد الافتتاح طوال الشهور السابقة. وحين فتحت أبواب المدينة كان يراقب ما يحدث من نافذة شقته التي أقامها فوق مبنى سيارات الإطفاء ويحوطه كثير من أطفال فرسان الفأر، وهم أطفال موهوبين فنيًا وسيحققون شهرة بعد ذلك كمؤدين في مدينة ديزني.

وحين تسابق الأطفال لدخول المدينة بعد فتح الأبواب في الموعد؛ كانت الدموع تتساقط من عيني والت. بعد ذلك نزل والت من شقته ليقرأ الإهداءات المسجلة في أرجاء المدينة، والتي ما زالت موجودة على لوحة نحاسية في ميدان المدينة، وينكر نصها:

"إلى كل من يأتون إلى هذا المكان المرح.. أهلاً بكم في مدينة ديزني، مدينتكم.. هنا يجد كبار السن ذكريات الماضي وهنا يجد صغار السن التحدي الذي يواجههم في المستقبل والأمل الموعود. ديزني لاند مخصصة للمثل العليا، وللأحلام والمعاناة التي نشأت عليها أمريكا.. آملين أن تكون موضع سعادة وإلهام لكل العالم".

وفي إجراء افتتاحي تبع قراءة الإهداء، ركب والت الذي كان يشعر بتوتر وسعادة إحدى عربات المدينة إلى جوار حاكم كاليفورنيا، بينما كانت الموسيقى تعزف لحن أغنية: "نجوم وخطوط للأبد". (وهي مكونات علم أمريكا).

كان باقي اليوم عبارة عن فوضى خالصة، كان والت على حالة من الاتساخ لم يمر بها في حياته، يهرع من جانب إلى جانب، يفحص أشياء ويراجع أشياء أخرى مع العمال، ويقرأ الإهداءات التي وضعت في كل منطقة ويجري مقابلات حية على الهواء مدتها ٩٠ دقيقة لبرنامج "الموعد النهائي لافتتاح ديزني" ولقاء بوب مكنجز، ورئيس المستقبل (كان حينها

ممثلاً) رونالد ريجان، كل ذلك حجب عنه أن الافتتاح تحول إلى كارثة وفي الحقيقة، وقبل أن يتحول كل شيء إلى الاتجاه الخاطئ، كان من المفترض أن الافتتاح سيضم فقط من يحملون دعوات إلا أن آلافًا من بطاقات الدعوة المزيفة وصلت إلى آلاف الأيدي قبل الافتتاح مباشرة بطريقة غير مفهومة. وفي يوم الأحد وهو اليوم التالي كانت الطرق المؤدية إلى ديزني لاند مزدحمة بالسيارات التي تطلق النفير في نفاذ صبر من طول توقفهم واحتباسهم داخل سياراتهم في حر خانق من شدة الازدحام، وبمجرد أن وصلوا ملأوا وزحموا أماكن انتظار السيارات واندفعوا إلى مدينة لم تكتمل بعد.

وأطلق والت على ذلك اليوم بعد ذلك: "يوم الأحد الأسود".. كانت سلال النفايات غير كافية، وسرعان ما امتلأت أرجاء المدينة بالنفايات. وأدت حرارة النهار إلى انصهار الإسفلت الذي تم وضعه حديثًا، واضطرت عشرات النساء إلى ترك أحذيتها التي انغرست في الإسفلت ولم يستطعن تخليصها وتعطلت سيارات الركوب، واصطف طابور لا نهائي في تلك الحرارة الشديدة في انتظار الدور لرحلة النهر في الغابة. واندفع كثير من الزائرين على المركب البخاري مارك توين في وقت واحد حتى إنها غطست إلى حد كبير في الماء مما دفع الماء إلى طابقها السفلي، ولم تكن هناك في أرجاء المدينة صنابير مياه كافية في ذلك الحر.

وقال رون دومينجوز الذي كان أحد موظفي ديزني في ذلك الوقت، ثم أصبح نائب مدير المدينة بعد ذلك: "قال بعض المعلقين إننا لم نضع صنابير مياه كافية لأننا تعمدنا ذلك حتى نربح من بيع المياه الغازية، إلا أن ذلك لم يكن صحيحًا. فحين ضاق الوقت قبل الافتتاح أمام السباكين كان عليهم الاختيار بين مد خطوط مياه وصنابير كافية أو الانتهاء من دورات المياه، فاختاروا إنهاء دورات المياه". ومع ذلك لم تكن دورات المياه كافية هي الأخرى وركزت آلات تصوير التليفزيون على الأشياء الجميلة فقط؛ "فرقة موسيقى الافتتاح، والتجمعات، وفرق الموسيقى في كل منطقة، وفرانك سيناترا، وسامي دافيز الصغير، وباقي الشخصيات الشرفية التي كانت تقود سيارات الترفيه في أنحاء المدينة والذين بدت عليهم السعادة والانشراح".

وحتى فرق التليفزيون واجهت مشاكل؛ فقد تعطلت الميكروفونات والتقطت الكاميرا والت ديزني على الهواء في موقف لم يتوقع أن يصوره التليفزيون فيها.

وعلى مدى الأيام التالية، راح والت يتابع التقارير الصحفية عن الافتتاح. قال أحد النقاد عن المدينة: "بدت المدينة وكأنها ماكينة حسابات نقدية عملاقة تصدر ضجيجًا مثل مخلوقات ديزني المعدنية وهي تهبط من الأماكن المرتفعة في أحلام يقظة ليختفي سحرها وتظهر عدوانيتها".

وكان رد فعل والت لمثل ذلك النقد متوقعًا.. كان يتخذه كتحدٍّ لإصلاح وتحسين كل شيء، وليثبت أنه على صواب.. أما عن نقاد الصحف فقد كان يقول عنهم: "إنهم مخلوقات غريبة الأطوار.. فليذهبوا إلى الجحيم".

لماذا؟ لأننا نحبك

ربما لم يفهم من حضروا الافتتاح ما رأوه حين شاهدوا أربعة وعشرين طفلاً مؤدبًا يرتدون زي رعاة البقر وتم تقديمهم باسم "فرسان الفأر". ولكن بعد ذلك بعدة أشهر أصبح كل فرد في أنحاء الولايات المتحدة يعرف أولئك الأطفال. في الثالث من أكتوبر عام ١٩٥٥ أذيع أول برنامج لنادي ميكي ماوس من محطة ABC وخلال أسابيع قليلة أصبحت شخصيات ذلك النادي من الشخصيات المشهورة مثل: أنيت الذكية، وبوبي ذو الابتسامة العريضة، وكوبي الصغير الظريف، وتحولت النغمة المميزة للبرامج ميكي (لماذا؟ لأننا نحبك) لتصبح كأنها نشيد قومي لجيل كامل.

كانت الفكرة في الحقيقة لمحطة ABC الذين أسعدهم نجاح عرض والت التليفزيوني الأول، ووعدوه بتمويل المدينة بـ ١,٥ مليون دولارًا أخرى إذا استطاع تقديم برنامج للأطفال ينافس برنامج "هاودي دودو"، وتم تعيين بيل والش وهو كاتب موهوب ومنتج مسئول عن ذلك البرنامج، وبالرغم من أن تقديم البرنامج يوميًا كان يحتاج إلى مجهودات الجميع، إلا أن مكتبة ديزني التي كانت تحتوي على كثير من أفلام الرسوم المتحركة كانت عونًا هائلاً له في ملء تلك الساعة التي يستغرقها البرنامج يوميًا.

وبحلول عام ١٩٥٥ أصبح الأستوديو في ديزني ينتج أفلامًا قليلة من الرسوم المتحركة، إلا أن أغلب الأطفال كان بإمكانهم مشاهدة أفلام ميكي ماوس القديمة ودونالد دك القصيرة في التليفزيون أكثر مما هو متاح لهم في قاعات السينما.

وفي مارس قرر والت أن يطلق على أطفال البرنامج لقب "فرسان الفأر" وقرر والت ووالش مدير البرنامج الاستعانة بجيمي دود وهو ممثل مرح يبلغ من العمر ٤٥ عامًا، وروي ويليامز وهو رسام رسوم متحركة من الطراز الأول وكاتب ليقودا فريق الأطفال. وكان ويليام هو أول من اقترح تصميم قبعة خاصة للأطفال مثل قبعة ميكي ماوس.

واستغرق تكوين فريق "فرسان الفأر" عدة أشهر، وتم عقد مقابلات لمئات الأطفال من جميع أرجاء الولايات لاختيار الفريق منهم.. كان والت يعرف جيدًا ما الذي يريده.. لم يكن يريد أطفال محترفين من هوليود؛ بل كان يبحث عن أطفال عاديين وطبيعيين. وكانت آنيت فونسيللو التي تبلغ من العمر ١٢ عامًا آخر من اختارهم ليكملوا الـ ٢٤ طفلاً المطلوبين؛ لم تكن قد غنت في حياتها من قبل وتتذكر أنها كانت ترتجف مثل أوراق الأشجار في مهب الريح حين طلب والت منها أن تغني له أي أغنية تعرفها.

في نفس الوقت كان العمل يجري على قدم وساق لإنتاج بعض المسلسلات، وبمرور الوقت حقق عرض أطفال "فرسان الفأر" شهرة كبيرة وأصبح له شكل وخطة، ويقدم كل مرة حلقة مختلفة؛ فيوم الاثنين للمرح مع الموسيقى، والثلاثاء تقدم حلقة "الضيف النجم".. وهكذا كانت الحلقات تتضمن مادة تعليمية ودروسًا في الرسم وحلقات عن الرحلات، ورسومًا متحركة بالإضافة إلى المسلسلات، وقال بي واللش عن ذلك: "كان إيقاع العمل أشبه بالألعاب النارية الصينية؛ كنا نعقد اجتماعًا في الصباح مع الأطفال، ثم نعقد اجتماعًا مع الكتاب، ثم نعقد اجتماعًا مع منسق المناظر ومعد الملابس والأزياء، وبعد الغذاء يلتقي الجميع من جديد ونناقش كل التفاصيل والأفكار، وفي الساعة الثالثة بعد الظهر نبدأ التصوير".

حقق العرض نجاحًا هائلاً منذ بدايته؛ كان يعرض في الساعة الخامسة مساءً من يوم الاثنين حتى يوم الجمعة، كان ثلاثة من كل أربعة تليفزيونات في جميع أرجاء الولايات المتحدة يحول إلى قناة ABC لمشاهدة عرض "نادي ميكي ماوس"، وتكدست رسائل المعجبين، وكانت آنيت وحدها التي أصبحت مثالاً جذابًا لملايين الأطفال تتلقى حوالي مائتي رسالة كل يوم.

وظل والت بعيدًا في الظل، وكان أطفال "فرسان الفأر" ينظرون إليه بمزيج من الانبهار والإعجاب. وحين كان يشترك معهم كان يبدو كأنه خجولاً وكان قد اعتاد على ارتداء الخاكي.. وقالت شارون بيرد وكانت من ضمن فريق الأطفال: "أتذكر أنه كان يذهب عبر الباب ليعاونهم في خلط الألوان، ثم يعود من قسم الألوان وهو ملطخ بالطلاء".

كانت والت أثناء إعداد المشاهد، يتأكد أنها لن تحتوي على سباب ولا مشاحنات بعكس ما يحدث تمامًا في الأستوديوهات الأخرى التي تنفذ بها برامج أطفال، كان هناك ضغط شديد في العمل، وكان الكل يؤدي أقصى ما يمكنه أن يؤديه، ودفع ذلك بالبعض أحيانًا إلى البكاء. وتم الاستغناء عن بعض "فرسان الفأر" خلال أشهر العمل بما فيهم كول الذي تم الاستغناء عنه بعد الموسم الأول بسبب عدم إتقانه الرقص، ثم تم التعاقد معه قبل بداية الموسم الثاني بعد ما تدرب وأتقن الرقصات.. كان "فرسان الفأر" يعملون وقتًا أطول وبمجهود أكبر من كل أطفال البرامج الأخرى المنافسة، وأكثر من الكبار أيضًا بما فيها موسم الصيف الذي يعملون به ثماني ساعات متصلة في السيرك في مدينة ديزني، إلا أنه كانت هناك فوائد وامتيازات كثيرة عادت عليهم من ذلك المجهود الدءوب.

وما زالت أسباب اختفاء عرض ميكي من قناة ABC بعد أربع سنوات مستمرة؛ من تقديمه أسبابًا غير معروفة ادعت ABC أنها بدأت تواجه مصاعب في إيجاد شركات راعية للبرنامج، وفسر والت اختفاء البرنامج بأنه فقد شعبيته بعد أن أصبح يقدم من خلاله إعلانات

تجارية كثيرة واستمر لوالت برنامجان في شبكة ABC وهما "ديزني لانـد" و"زورو"، إلا أن ما حدث من توقف عرض ميكي ماوس عام ١٩٥٩ كان بداية النهاية للعلاقة الطويلـة التـي ربطت والت بشبكة ABC.

وضرب عرض "ديزني لاند" في صميمه حين قدمت شبكة NBC برنامجًـا منافـسًا اسمه "عربات القطار" عن الغرب الأمريكي، وكان رد فعل شـبكة ABC علـى ذلـك هـو إصرارها أن يقدم والت برنامجًا عن رعاة البقر، وازداد التوتر بينه وبين شبكة ABC.

وحين كان عرض "زورو" يبدأ في عامه الثالث في ABC، قرر مـديرو الـشبكة أن يمتلكوا نصيبًا من العرض؛ لأنهم من الممكن أن يربحوا من البرامج التي يملكونها أكثر ممـا يمكن أن يربحوه من برامج ينتجها الغير.

ويتذكر روي ابن شقيقه ما حدث: هددت شبكة ABC أن تغير موعد عرض البرنامج وتجعله في الثانية صباحًا إن لم يستجب ديزني لطلبهم، وأغضب ذلك أبي، وعلى مدى عـام كان يستعد لمقاضاة الشبكة. وقبل أن تعرض القضية فـي المحكمـة تـدارك مـدير ABC الموقف، وفي مفاوضات تصفية المشكلة باع إلى ديزني ثلث أسهم مدينة الملاهي التي كـانوا قد اشتروها في بداية التعاقد.

وانتهت المشكلة لصالح ديزني؛ فلم يعد هناك مستثمرون آخرون في مدينـة ديزنـي وبذلك أصبحت الهيمنة والإدارة في أيدي والت بلا منازع، والأهم من ذلك أنه أصبح بمقدوره التعامل مع شبكة NBC وهي شبكة كانت تبدي اهتمامًا بعرض الاستعراضات الملونة التـي صورها والت.

وبدأ الاستثمار الذي مهد له والت بتصوير عروضه بالألوان يؤتي ثماره بعد تحـول الإرسال التليفزيوني ليصبح ملونًا.

في الوقت نفسه كان والت قد احتفظ بجانب من "نادي ميكي ماوس" حين فسخ عقـده مع ABC، ووقع عقدًا آخر مع آنيت قونسللو التي أصبحت أشهر "فرسان الفأر" وأنـتج لهـا والت فيلمًا وشرائط غنائية.

وقالت له مازحة لتذكره بأول لقاء وهي طفلة: "أتذكر حين قلت لك لا أعـرف كيـف أغني؟".

ورد مازحًا: "سنجعلك تيدين جيدة، لا تخافي".

وبعد عدة أعوام حين كانت قد أنهت امتحانات المدرسـة الثانويـة وأوشـكت علـى التخرج، أراد منها الاشتراك في حفل غنائي على مسرح قاعة "راديـو سـيتي" للموسـيقى.

ورفضت في البداية وأحبت أن تبقى في البيت، ولما طلب منها ذلك بنفسه، استجابت وأدى ذلك إلى غيابها عن حفل التخرج، واتفق والت مع مدير مدارس نيويورك أن يقدم لها شهادة تخرجها وهي على خشبة مسرح قاعة "راديو سيتي" للموسيقى، بينما تقرع الطبول بنغمتها العالية.

وقالت آنيت: "أليس ذلك ألطف وأفضل هدية تخرج من الممكن أن ينالها أي إنسان؟ ومن يهتم بعدها بحفل تخرج في المدرسة؟".

الجيل التالي

يخشى كثير من الناس أن يصبحوا أجدادًا لأن ذلك يظهرهم كبارًا في السن، إلا أن والت لم يكن من ذلك الصنف، وبالرغم من أنه كان قد بدأ يشعر بوطأة العمر –خاصة بعد إصابة قديمة أصيبت بها أثناء لعب البولو سببت له آلامًا من التهاب فقرات عنقه– إلا أنه سعد جدًا لما أصبح جدًا؛ أول حفيد له (كريستوفر) جاء إلى الحياة في نهاية عام ١٩٥٤. ووقف أمام مهد الطفل وبيده آلة التصوير يلتقط الصور عند كل ابتسام وعبوس للطفل الوليد. وقال في رسالة إلى شقيقته روث: "لا أستطيع أن أخبرك عن مدى متعتي به، كلنا سنجن به".

كانت خيبة أمل والت الوحيدة في أنهم لم يسموه على اسمه وشرحت ديان ما حدث قائلة: "كنا سنسميه والتر على اسم جده، ثم فكرت أنه من الأفضل أن نهبه اسمًا جديدًا لأنه إنسان جديد، وبعدها أحسست أننا أخطأنا".

وبعد سبعة أشهر من مولد كريستوفر حملت ديان مرة أخرى وبدأ والت بنفسه في تصميم منزل جديد لابنته ديان وأسرتها الجديدة.. كان يرسم في الليل بعد أن تنام ليلي الرسومات المعمارية التخطيطية، بل إنه صمم المطبخ كنوع من المعامل العلمية التي تحتوي على أدوات توفر الوقت.

وحين بلغته أنباء ولادة ابنته ديان لحفيدته جوانا سعد والت سعادة كبيرة، ثم أشعل سيجارة، وأخرج لوحات تخطيط منزل ديان الجديد وقال: "فلنجعل حمامات الأولاد منفصلة".

وولدت له حفيدة أخرى (تمارا) عام ١٩٥٧، وكان حينها بشيكاغو حين وصله نبأ مولد حفيدته تمارا، وأرسل برقية إلى "تمارا والتر إلياس ديزني ميللر".

وفي نفس العام انضم روي إلى نادي الأجداد، فقد أنجب ابنه إدوارد من زوجته باتي (وكان قد مضى عامان على زواجهما) طفلاً أسمياه باريك، وتلاه طفلتان وولد، وبذلك أصبح روي جدًا حتى النخاع.

وفي الوقت نفسه كان الجيل الثاني لعائلة ديزني في قيادة العمل في الأستوديو. كان إدوارد ابن روي قد بدأ العمل في الأستوديو عام ١٩٥٢. وقاوم كل أفكار أبيه في أن يصبح مثله رجل أعمال؛ فقد كان يرى أنه يفضل الجانب الفني من الأشياء، وعمل في برامج الاستعراض التليفزيوني التي كان والت يقدمها.. كتب أيضًا التعليق على بعض أفلام الحياة الطبيعية المصاحب لمشاهد الأفلام، كما عمل مصورًا للطبيعة في البراري، وقدم فيلمًا شائقًا عام ١٩٥٧ عن السناجب.

كان والت قد أتاح فرصة العمل لإدوارد مثل أي عامل صغير يبدأ من أول وأدنى درجة إن لم يكن من درجة أقل وأشق!.

وقال إدوارد: "لم يكن ذلك عدلاً بالنسبة لي، إلا أنه كان علي صواب فيما فعل".

كذلك عمل رون ميلر زوج ابنته ديان معه قبل أن يلتحق بالجيش، وبعد أن لعب محترفًا في فريق كباش لوس أنجلوس لكرة القدم لموسم كامل. وفي المرتين اللتين ذهب فيهما والت لمشاهدة رون كان رون يصاب. وفي مرة منهما أدت الإصابة إلى فقده لوعيه. بعد انتهاء الموسم قال والت لرون: "أنت تعرف أنه أصبح لدي ثلاثة أحفاد منك وإذا داومت على لعب كرة القدم ستموت، وحينئذ أجدني مضطرًا لتربية أولئك الأطفال".. وهكذا بدأ رون يعمل لدى والت من جديد؛ عمل في أفلام مثل "الصاروخ القديم" (١٩٥٧)، و"الرجل الثالث في الجبل" (١٩٥٩) ثم أصبح مساعد إنتاج، وقال هرب رايمان صديق العائلة: "والت يعامل رون كأنه ابنه، كان يقف خارج الأستوديو ويخبر رون عن شخصيات الداخلين بسياراتهم وعملهم حتى يعرف رون كل شيء عن العمل، وقال والت ذات مرة: "أنا أضع عليه آمالاً كبيرة، فهو الذي سيدير الأستوديو في يوم ما".

في شهر مارس عام ١٩٥٩ فوجئ والت بآلام شديدة وحَدل يمتد إلى أسفل ظهره وأرسله الطبيب لإجراء فحوص في المستشفى في الحال، وكانت مشكلته كما تبين بعد ذلك وجود حصوة بالكلية، وهي من أكثر المشاكل التي يمكن أن تسبب آلامًا مبرحة لأي إنسان.. وبينما كان في مرحلة النقاهة في غرفته بالمستشفى زارته ابنته شارون مع بوب براون، وهو مهندس شاب ذكي من مدينة كانساس كانت على علاقة حب به منذ عام ونصف، وقالا لوالت إنهما يريدان أن يتزوجا. وقال له والت مازحًا عن شارون: "إنها أصبحت مشكلتك الآن".. وبمجرد أن تزوجا في شهر مايو كان والت يحثهما على إعطائه مزيدًا من الأحفاد.

وكان يقول: "لن تكتمل ديزني لاند أبدًا".

وكان يسمى التبديل والإضافة المستمرة "التجديد الدائم"، وأحب ذلك حبًا جمًا. وفسر حبه الدائم للتغيير قائلاً: "حين أصور فيلمًا سينمائيًا حيًا وأنتهي منه.. أبعث به إلى التلوين في شركة تكنيكلر، وبذلك يكون قد خرج من تحت يدي إلى الأبد، لا أستطيع أن أمسه بعد ذلك أبدًا، وحتى لو ظهر بالفيلم بعد عرضه أشياء لا أرضى عنها فإنني لا أستطيع أن أفعل شيئًا حيال ذلك، أما المدينة فهي أمر مختلف عن صناعة الأفلام، يمكنني أن أضيف إليها على الدوام، وكذلك تستمر أشجارها في النمو وتبدو المدينة كل عام أجمل من العام السابق. وحين أتوصل إلى ما تحبه الجماهير وتهواه، يمكنني أن أحقق لهم ما يحبون".

تخلص والت من الشركات التي كان قد تعاقد معها لتزويد المدينة بأطعمة وأشربة الزائرين حين وجد أنهم يحاولون تحقيق ثروات كبيرة من ذلك دون أي اعتبار أخلاقي، وحين كان يعطي قائمة أسعار الأطعمة لرجاله لتوفيرها للزائرين قال لهم: "يجب أن نطعم الزائرين ولكني لا أريد أن أحقق أي مكاسب من الطعام والشراب"، ولما رأى معالم الدهشة تعلو وجوههم قال: "لن أبالي إذا كانت هناك إضافات بسيطة، أما القهوة فلن تزيد أبدًا عن سنت واحد طالما كنت أنا من يدير هذه المدينة".

وأدرك والت أن الوسيلة الوحيدة للمحافظة على جودة مستوى الترفيه تتحصر في التدريب الدائم والمستمر للعالمين بالمدينة. أطلق عليهم لقب أعضاء الفريق؛ فبقدر رؤيته هو فإنه كان يقدم عرضًا عملاقًا.

وحين شاهد ذات مرة أحد مشغلي القطارات يعامل بعض الزائرين بوقاحة، توجه إلى المشرف عليه وقال له: "أريدك أن تزرع مفهومًا عن العمل الذي نعمله لدى ذلك الشاب، وإن لم تتمكن من رفع معنوياته وظل غير مرح؛ فإنه لا يجب أن يعمل هنا.. نحن نبيع السعادة للجماهير".

كان من أهم الجوانب التي تشغل والت نظافة المدينة. لم يمر أبدًا على دورة مياه للرجال دون أن يدخلها ليطمئن على نظافتها، وكان يقول: "إذا حافظنا على نظافة دورات المياه سيحترمها الزائرون ويحافظون على نظافتها".

لم يكن أي خطأ يقابل بتسامح من والت، وقال ديك نوينز الذي أصبح بعد ذلك مديرًا عامًا للتشغيل إنه حين كان مديرًا لمنطقة المغامرات جاء والت لتفقد رحلة النهر السريع بالقارب عبر الغابة وركب قاربًا أسود، واستغرقت الرحلة أربع دقائق ونصف، وكان من المفروض أن تستغرق ست دقائق وغضب والت وقال: "لم أكد أتحقق إن كانت الحيوانات وحيدة القرن أم جاموس بحر، ما الذي يمكن أن تشعر به إذا ذهبت إلى السينما لمشاهدة فيلم ودفعت الثمن ثم تجد أنهم لم يعرضوا إحدى بكرات الفيلم؟".

وبعد بضعة أسابيع ظل فيها نوينز في مياه النهر أكثر من الوقت الذي قضاه على الأرض؛ بدأت تلك الفقرة تصل إلى شكلها المكتمل.. كانت الخرائط معلقة أمام كل منطقة، وكانت الفقرة التي تلقى إقبالاً يتم تحسينها إلى درجة الإتقان الكامل، أما الفقرات التي لا تلقى إقبالاً فقد كانت تلغى.

وبدأت القوارب الشبحية العمل بعد الافتتاح بعدة أيام وكان راكبوها يحسون بالغثيان قبل نصف الوقت ولا تترك أثرًا جيدًا لدى زائريها ولذلك ألغيت.

وتم إضافة فقرات جديدة مثل "دامبو – الفيل الطائر"، "وعشرون ألف فرسخ تحت الماء"، "وقوارب مايك فنك كيبل"، وكانت قد أضيفت إلى برامج المدينة قبل نهاية عام ١٩٥٥، وأضيفت في العام التالي "أرض القصص المكتوبة"، و"جزيرة توم سوير".

كان والت يتابع الإنشاءات المعمارية على الجزيرة بنفسه، وبعد افتتاحها اقترب منه توم ناب وهو صبي ذو شعر أحمر ووجه مليء بالنمش، وكان يبيع نشرة أخبار ديزني لاند على طريق المدينة الرئيسي وقال لوالت: "أعتقد أنني أصلح للقيام بدور توم سوير على الجزيرة، ورد والت قائلاً: "سأفكر في هذا".

وعلى مدى أسابيع ظل توم يطلب ذلك من والت كلما رآه، وناقش والت الأمر مع مساعديه، إن كان الأفضل أن يضع شخصية حية لتوم سوير أفضل من دمية، ووافق والت في النهاية وقام توم بأداء شخصية توم سوير لمدة أربعة أعوام كان قد أصبح شابًا وكبر على دور الصبي، إلا أنه ظل يعمل في وظائف أخرى بالمدينة على مدى ثلاثين عامًا.

في عام ١٩٥٩ قامت المدينة بأول توسع كبير منذ افتتاحها. وأنفق والت ما يزيد على سبعة ملايين دولار في فقرة لرحلة بالغواصة، والمونوريل المعلق، وعلى أضخم فقرة وهي فقرة الانزلاق من ارتفاع ١٤ طابقًا. كانت تلك الفكرة قد وانت والت حين كان ينتج فيلم "رجل ثالث على الجبل" وهو فيلم عن أول وصول إلى قمة جبل "ماترهورن" عام ١٨٦٥.. وكان والت يصحب المشاهير بنفسه إلى تلك الفقرة مثل بوب هوب، والملك حسين ملك الأردن ورئيس أمريكا السابق "هاري ترومان"، ويراقبهم وهم شاحبي الوجوه في نهاية الفقرة المرعبة. وذات مرة كانت أم "هرب رايمان" تقدم قطعة من قطيرة قرع إلى والت في بيتها وقالت له: "لماذا لا ترشح نفسك لرئاسة الولايات المتحدة؛ الناس تحبك وسوف تنجح".. فقال لها: "لماذا أسعى لأن أكون رئيسًا وأنا ملك؟ أنا ملك ديزني لاند".

في مواقع التصوير

غالبًا ما كان والت يجد أن النقاد يتحاملون عليهم كانت أفلامهم الدرامية تهاجم على أنها متخمة وعاطفية أكثر من اللازم، أما الأفلام الفكاهية فقد فتحوا عليها النار في مقالات نقدية كثيرة على أنها سطحية وتتضمن مواقف سخيفة، بل إن النقاد الأرق حاشية رأوا أن أفلام ديزني ليست إلا عروضًا للأطفال، واشتكى والت من ذلك قائلاً لبيت مارتن: "أولئك السفسطائيون يدسون أنفهم في كل شيء؛ يقولون إنها أعمال سينمائية تناسب الأطفال، حسنًا.. بحق الجحيم ما هو عيب شيء يناسب الأطفال؟".

وبعيدًا عن النقاد كانت أفلام والت تحقق إيرادات مرتفعة في مناقذ بيع بطاقات دور السينما. كان في المقام الأول يصنع أفلامًا يحب هو أن يشاهدها؛ كان عشقه للتاريخ وخاصة تاريخ الوطن يدفعه إلى إنتاج أفلام البطولة والمغامرات ذات الصبغة الوطنية التاريخية، وخلال الفترة من منتصف الخمسينيات حتى آخرها أنتج الأستوديو أفلامًا مثل: "مطاردة القطارات الأولى" (١٩٥٦)، "القطارات المتجهة غربًا" (١٩٥٦)، "وجوني تريمين" (١٩٥٧) وقالت ديان: "يعتقد أبي أنه لا يوجد أكثر تشويقًا وإثارة من أحداث التاريخ الأمريكي".

وبالمثل كان حبه للأفلام المرحة يقوده إلى إنتاج أفلام كوميديا الموقف مثل "الكلب ذو الشعر الكثيف" (١٩٥٩) وهي قصة صبي في العقد الثاني من عمره تحول إلى جرو، وكذلك فيلم "البروفيسور شارد العقل" (١٩٦١) من إخراج فريد ماك موراي عن قصة عالم اكتشف مادة اسمها الفلير (المطاط) تجعل السيارات تطير وأقر والت أنه يحب صناعة أفلام الرسوم المتحركة المرحة: "أنا أحب بالفعل أفلام الكارتون المرحة وقضيت أعوامًا في صناعتها".

فوق كل ذلك كان والت يؤمن إيمانًا عميقًا أن أي عمل سينمائي لا بد أن يرتكز في المقام الأول على قصة جيدة. كانت لديه مقدرة خاصة على تكوين حبكة مقنعة ومؤثرة في الصغار كما هي مقنعة ومؤثرة في الكبار. وكان يتجنب توجيه التعليمات المباشرة إلى الأطفال من خلال أفلامه وقال والت في حديث لصحيفة "كانساس سيتي تايمز" في عام ١٩٥٦: "أذكر حين كنت طفلاً حين كان بعض الكبار يربتون على رأسي ويقولون: مرحى أيها الصغير، كيف حالك؟ كنت أشعر حينها كأني أود أن أوجه إليه لكمة في أسنانه وحين نقدم عرضًا فإني أفضل أن ندخل في الموضوع الموجه للأطفال مباشرة، ولا نقلل أبدًا من ذكائهم الحقيقي ولا نستهتر به.. لا أحب أن نقوم بأعمال جنونية تستخف بذكاء الأطفال، ثم نسألهم بعد ذلك ألم يكن ذلك طريفًا!؟".

وكان ما يسبب الضيق أحيانًا لبعض النقاد والكتاب أن والت كان يحاول أن يفرض أفكاره أو لمساته على أعمال الآخرين، حتى حين كان الأستوديو ينتج العمل التقليدي القديم المعروف "عائلة روبنسون السويسرية"، والذي أنتج عام ١٩٦٠ إلا أنه لم يستطع مقاومة إنتاج هذا العمل بالرسوم المتحركة.. كان إحساسه بمزاج المشاهدين يدله على أن هذا العمل جاد ويحتوي على قيم أخلاقية كثيرة، وقام بتغيير شخصية الأب وأدخل بالقصة علاقة حب وخلق مواقف فكاهية تكفي لعمل أفلام أخرى كثيرة.

وشرح والت ذلك قائلاً: "قلت فلتنفذه بالوسيلة التي نعمل بها أفلام دونالد دك".. مشيرًا إلى مشاهد المعارك التي دارت بين أسرة من ستة أفراد تهزم مئات القراصنة السذج بقنابل من ثمار جوز الهند وسيقان أشجار ومصيدة نمور. كانت مشاهد الفيلم التي تحتوي على مغامرات للفهود والأفيال والقردة والثعابين تبعث السرور والمتعة في الأطفال والصبية حتى أن والت فكر في عمل فقرة في ديزني لاند تحتوي على بيت على قمم الأشجار يماثل ما قدمه في الفيلم.

كان والت يبحث على الدوام عن القصص الجيدة ويعمل على شراء حق تحويلها إلى أفلام حتى ولو لم يتم البدء في تصويرها في الحال، دخل في مفاوضات مع الكاتبة ب. ل. ترافيرس التي كتبت قصة "ماري بوبينز" والتي نشرت عام ١٩٤٦ من عام ١٩٤٠ قبل نشر القصة. كانت بعض الأفلام مثل "السيدة والمتسكع" (١٩٥٥)، و"داربي أوجيل والأقزام" (١٩٥٩)، و"سيف في الصخر" (١٩٦٣) تعتمد على روايات مكتوبة لذلك كان يهتم بالروايات المنشورة والشخصيات الواعدة التي تلفت نظره في مجال الأدب من بداية عمله بالسينما.

ومثل أفلام الحيوانات كانت أفلامه الحية ترتكز أيضًا على قصص مكتوبة.. كان يهتم بكل التفاصيل مقدمًا، حتى قبل أن يضع الممثل قدمه في الأستوديو أو موقع التصوير كانت لديه موهبة مشاهدة ما تم تصويره، واكتشاف ما يشوبه من أخطاء لإعادته مرة أخرى.

كانت كل القرارات الهامة تعرض عليه أولاً للحصول على موافقته عليها؛ كان يعقد المقابلات الشخصية مع الممثلين والممثلات بنفسه قبل أن يتعاقد معهم، بالرغم من أن تلك المقابلات لم تصطبغ بصبغة رسمية أبدًا.. وحين رشحت الممثلة البريطانية هايلي ميلز لدور البطولة في فيلمه "بوليان" طار إلى لندن.. وتتذكر هايلي ميلز ذلك قائلة: "التقينا في فندق دور شستر وكان معي كلبي الصغير من فصيلة "بيكينجي" وأعجب إعجابًا كبيرًا بكلبي الصغير الأبيض وقضى وقتًا طويلاً على الأرض يداعب الكلب وجعل من اللقاء لقاءً وديًا إلى أبعد حد".

وحين وصلت الممثلة الصغيرة التي كانت تبلغ من العمر في ذلك الوقت ١٢ عامًا إلى الولايات المتحدة لبدء تصوير فيلم "بوليان" (كان أول فيلم لها مع ديزني، ومثلت بعده خمسة أفلام أخرى لديزني) اكتشفت أنها انضمت إلى أسرة ديزني وأصبحت واحدة من أفرادها وقالت: "كانوا ودودين ومضيافين إلى أبعد حد".

ولما نزلت بفندق بيفرلي هيلز، اكتشفت أن والت كان قد رتب أن تملئ غرفتها بالزهور والفاكهة والحلوى، واصطحبها هي وأسرتها في جولة كاملة لجميع أنحاء ديزني لاند وركب معهم في كل ما يركب من ألعاب وقالت: "أجمل ما في ذلك أنه جعل نفسه جانبًا من جوانب حياتنا؛ كان شخصًا في غاية الهدوء ودمثًا ورقيق الحاشية وأصبح صديقًا للأسرة بعد ذلك".

ومع بداية تصوير مشاهد الفيلم حرص والت أن يكون حاضرًا، فإذا كان التصوير يتم في الأستوديو كان يمر كل يوم ليراقب ما يحدث.. ولو كان التصوير يتم في الأستوديو كان يمر كل يوم ليراقب ما يحدث ولو كان التصوير يتم في مواقع خارجية ينتهز هو وليلي الفرصة للذهاب إلى موقع التصوير وكأنهما في إجازة من العمل، وإن كان التصوير في مكان بعيد ولا يتمكن والت من التواجد معهم فإنهم كانوا يستدعونه إذا كانوا سيجرون أي تعديلات في تصوير المشهد حتى يتأكدوا أولاً أنه موافق على ذلك، ولسوء الحظ مع مضي الوقت أصبح والت مقيدًا بعمليات إنتاجية سريعة منعته من تواجده في مواقع تصوير الأفلام وأصبح كل فيلم ينتج كتحفة فنية يقابله فيلم يعد كارثة فنية فأفلام مثل "العشرة الذين تجرأوا" (١٩٦٠) و"المختطف" (١٩٦٢)، و"أطفال في بلاد اللعب" (١٩٦١)، و"البحث عن مفقودي البحر" (١٩٦٢) كانت كلها أفلامًا مخيبة للآمال.

وحين لم يكن والت يجد الوقت الكافي للإشراف على فيلم فإن إصراره على ذلك كان يتحول إلى كارثة! لم يتمكن من إضفاء لمساته السحرية على كل الأفلام التي أنتجها في الوقت الذي لم يسمح فيه للمخرجين بتنفيذ رؤاهم وخبراتهم الشخصية وقالت هايلي ميلز: "كانت الأفلام بالتأكيد من إنتاج ديزني، إلا أن ذلك كان بمثابة خنجر ذي حدين، فقد كان ذلك يشكل عائقًا أمامهم حتى يتيقنوا أن ما يفعلونه مقبول لوالت".

وشرح رون ميلار ذلك الجانب قائلاً: كان والت كأنه في مصيدة.. لقد كون أطقم عمل وشركة توزيع وبذلك أصبح عليه أن يعمل على إنتاج أفلام تكفي شركة التوزيع، وفي مثل تلك الأحوال لا بد أن تستمر في إنتاج أفلام مع أنك لا تؤمن ١ % بقيمتها ولا يترك لك أن تأمل في حدوث شيء مما يجعل الأفلام تخرج بشكل أفضل مما تخرج به".

حتى فيلم "الجمال النائم" الذي يعد أغلى أفلام الرسوم المتحركة تكلفة، والذي عرض عام ١٩٥٩ حقق خسائر كبيرة.. كانت الرسوم معقدة وكثيرة التفاصيل ورائعة إلا أن حبكة القصة والشخصيات كانت أضعف كثيرًا من "ثلجية البياض" (سنو وايت) وسندريللا. لم يوجه والت اهتمامه المعتاد للقصة ولم يكن يراجع العمل بانتظام مع رساميه كما كان يفعل فيما سبق وقال أولى جونسون أحد العواجيز السبعة والكاتب المساعد للعجوز فرانك توماس وهم من الكتاب الذين وضعوا كتبًا عن الرسوم المتحركة: "كان لا بد أن نرسل في استدعائه ريما مرتين أو أكثر قبل أن يجد فرصة للحضور. كان الفيلم الروائي التالي للرسوم المتحركة "مائة وواحد كلب دالماس" (١٩٦١) فيلمًا ساحرًا وعظيمًا وأكثر نجاحًا وعزا والت قوة الفيلم إلى القصة المكتوبة بإتقان كنص أدبي.

بحلول السيتينيات كان والت قد مل وتعب من إنتاج الأفلام. كان تدفق الأفلام من الشركة جيدها مع رديئها قد خلص الشركة من أي ديون، إلا أن النجاح كان بمثابة قضبان ذهبية حبس والت نفسه خلفها وجاءت أفلام إثر أفلام كأنها صدى وتقليد للنجاحات القديمة.

كان قد أقسم من زمن بعيد أنه لن ينتج أفلامًا مكملة أو على غرار أفلام ناجحة أنتجها إلا أن فيلم "ابن الفلبر" الذي عرض عام ١٩٦٣ كان يعد جزءًا ثانيًا ضعيفًا لفيلم "العالم شارد العقل" وبعد النجاح المدوي لفيلم "الصارخ القديم" وهي قصة مؤثرة ومحزنة لصبي وكلبه أُنتج عام (١٩٥٧)؛ أنتج الأستوديو من بعده أفلامًا عن قصص الحيوانات.

كان الرجل الذي اشتهر عنه كسر كل القواعد قد أصبح الآن يعيد ويكرر ذاته على الشاشة في أغلب الأوقات، ويعود السبب في ذلك إلى حد بعيد إلى الجمهور الذي كان يتوقع أفلامًا على نمط "ديزني" المرحة التي اعتادوها.. أي فيلم جديد لديزني كان يخلق انطباعًا في أذهان الجماهير حتى قبل مشاهدته أنه يحتوي على شخصيات محددة بوضوح؛ أي شخص خير وشرير والفيلم يمضي في إطار مرح سهل بلا سفسطة ولا تعقيد.

عند الخروج عن أي من تلك الملامح يبدأ جمهور ديزني في الصراخ والعويل والاحتجاج، وحين احتفى رجل وامرأة شراب المارتيني في الفيلم الذي أُنتج عام ١٩٦١ باسم "مصيدة الآباء" تلقى الأستوديو مئات الرسائل تدين ذلك الفعل المشين، وحدث الشيء نفسه مع عرض فيلم "رحلة سعيدة" عام ١٩٦٢ الذي كان به مشهد لمومس، وكان ذلك أيضًا سببًا في وصول أكوام من الرسائل الغاضبة، وقال رون ميللر: "إنه خائف جدًا.. لقد خلق والت صورة لنفسه ولإنتاجه لدى الجماهير، ثم أصبح سجينًا داخل ذلك التصور".. وفي عام ١٩٦٢ وحين شاهد والت فيلم "قتل الطائر الساخر" وهو ليس من إنتاجه، والذي يتناول مشكلة الفساد المتفشي في مدينة أمريكية صغيرة بالجنوب، قال: "يا إلهي، بالتأكيد أحب أن أنتج فيلمًا

من هذا النوع!"، إلا أنه كان على يقين أن رواد السينما في الولايات المتحدة لن يقبلـــوا منـــه فيلمًا من ذلك النوع!!.

والت وروي

"كلما تغيرت الأشياء، كلما ظلت كما هي".

فبعد ما يقرب من أربعين عامًا عمل فيها والت وروي كفريق، أصبحا فيها بعيدين تمامًا عن شبح الديون وأصبح كلاهما من الأثرياء إلا أنهما ظلا يتشاجران ويختلفان بالطريقة ذاتها التي كانا عليها وهما صغار في مدينة كانساس.. كان والت قد مل من معاملته كما كان يعامل وهو صبي يبلغ من العمر ١٥ عامًا حين كان يضيع زجاجات المياه الغازية التي كان يبيعها في القطارات.

وكان روي قلقًا من عدم اهتمام والت بالجوانب المالية ومخاطرته بالمال. في أغلب الأحيان كان والت لا يحضر الاجتماعات الرسمية في شركة ديزني للإنتاج السينمائي.

وقال والت: "بألقاب أو بدون ألقاب، أنا من يدير هذه الشركة".. كانت علاقته الرسمية بالشركة تنحصر في عدد الأسهم التي يمتلكها بالإضافة إلى عقد مع الشركة أن تدفع له راتبًا نظير خدماته التي يقدمها للشركة.

وكالمعتاد دائمًا كانت خلافات الأخوين تنحصر في المشاكل المالية.. وحين طلب والت من الأستوديو أن يشتري له طائرة خاصة عام ١٩٦٣ رفض روي ذلك الطلب في الحال؛ فماذا يقول المساهمون عن ذلك الطلب الشخصي الغريب؟

ومثلما يفعل الطفل الصغير الذي تملؤه الرغبة في شراء دراجة أصر والت على الطائرة وقال: "أنا أضطر أن أسافر إلى أماكن كثيرة ولا بد أن أكون هناك بسرعة، لا يجب أن أظل تحت رحمة نظم الحجز على الطائرات التي أحيانًا لا تكون ذاهبة إلى الوجهة التي أريدها وإن لم يرد الأستوديو أن يشتري لي طائرة، سأشتريها لنفسي".

واشترى الأستوديو لوالت الطائرة التي يريدها. وجاءت المشكلة الكبرى حين قرر روي أن الأستوديو لا بد أن يمتلك شركة "والت إلياس ديزني" التي تكونت فيما سبق للإشراف على إنشاء مدينة ديزني.. لم تكن "والت إلياس ديزني"، هي الذراع الخلاق لإمبراطورية والت؛ بل كانت تمتلك أيضًا الأرض، وبعض الألعاب في ديزني لاند، بل حتى حق الحصول على أرباح من اسم والت على أنه شيء تجاري. كان روي يخشى أن يظن المساهمون أن والت يخدعهم بتفضيل شركته الخاصة على حساب شركة أستوديو ديزني للإنتاج السينمائي.

ولم يكن والت يريد أن يبيع WED، فقد كانت هي المكان الوحيد الذي لا يحاسبه فيه أحد على أي مال ينفقه، وكان فقدانه لتلك الحرية يؤلمه أشد الألم، وقال لأخيه متألمًا: "أتعرف

ما الذي يريده حملة الأسهم الآن؟ إنهم يريدونني أن أبيع كل شيء، بل إنهم يريدون شراء اسمي مني، يظنون أنني من الممكن أن أبيع اسمي".

وفي المفاوضات التي تمت حول WED، قام محاميو الأستوديو بالضغط على والت ضغطًا عسيرًا حتى إنهم هددوه برفع قضايا ضده أمام المحاكم، وكان ذلك عسيرًا جدًا على روي، وعلم أن هناك اجتماعًا ودخل إلى القاعة في ذلك الوقت وصاح في حملة الأسهم والمحامين وعيناه تطلقان شرر الغضب: "لا تنظروا، أنتم تعرفون أننا هنا جميعًا الآن بسبب والت كل ما يحدث هنا بسبب والت؛ لذلك لا تعاملوه كأنه مجرم خارج على القانون لا نريده بيننا".

وفي النهاية استسلم والت وباع WED للأستوديو، إلا أنه احتفظ بالحقوق القانونية للعربات المعلقة (الموتوريل) والقطار البخاري في ديزني لاند، وكذلك على حصته من الفوائد التي تعود من استغلال اسمه تجاريًا وكان هناك تصالح آخر عظيم الشأن؛ فطبقًا للعقد كان على WED أن توفر ميزانية كبيرة لقسم الأبحاث حتى تظل المدينة في تطور دائم مستمر.

واستمر أحد الخلافات بين الشقيقين لفترة طويلة.. كان والت وروي يتفاوضان حول بعض النقاط الهامة في عقد والت مع الشركة، وكان المقابل المخصص لوالت يقل كثيرًا عن الدخل المخصص لرجال يشغلون مثل منصبه في الشركات الأخرى.. وواجه محامي والت روي بطريقة لم يتوخ فيها علاقة الأخوين ببعضهما وقال: أعتقد أنني لا بد أن أعين مندوبًا من هولبود نيابة عن موكلي ليمثله في شركة ديزني.

وتحول وجه روي إلى لون أحمر قانٍ لم يصدق سمعه حين سمع ذلك التهديد، وبالطبع لم يلجأ والت في حياته إلى مندوب ليمثله، وكانت مجرد خدعة ومناورة من المحامي إلا أن تلك الخدعة حولت الموقف من سيء إلى أسوأ وتراشق الطرفان بكلمات قاسية، ولم يمض وقت طويل حتى وقعت قطيعة بين الأخوين ولم يعودا يتبادلان أي حوارات.

ولم يكن ذلك قاسيًا على الشقيقين وحدهما؛ فقد آلم أيضًا ليلي وإدنا أن يشاهدا "الأولاد" كما كانوا يطلقون عليهما يصلان إلى ذلك الحد.

وعلى مدى شهور ظلا يتواصلان فيما يخص العمل عن طريق طرف ثالث هو بيل كوتريل، وقد كان رجلاً مخلصًا للعائلة وذا عقل متحرر ويعمل على إطفاء نيران الصراع بين الأخوين.. وتلاشى الغضب بين الأخوين حين أرسل والت هدية إلى روي في عيد ميلاده عبارة عن نموذج لغليون تدخين ومعه بطاقة كتب عليها: "من الممتع أن أدخن غليون السلام معك من جديد، إن سحب الدخان التي تتصاعد منه رائعة جدًا. أظن أننا حققنا شيئًا على مدى الأعوام الماضية.. وبكل حب وإعزاز عيد ميلاد سعيد ومزيد منها... و... أنا أحبك".

ماري بوبينز

في كل عام وقبل أعياد الكريسماس كان والت يكتب رسالة إلى شقيقته روث التي ظلت مقيمة في بورتلاند.. كان يسطر بتلك الرسالة كل الأحداث الهامة، ويسألها عما يتمناه ولدها تيد في إجازة الكريسماس، وفي ٥ ديسمبر ١٩٦٣ كتب إليها قائلاً: "قضينا أغلب الصيف هنا في الأستوديو نصور فيلم ماري بوبينز مع "چولي أندروز"، و"ديك ڤان دايك"، و"إيدواين"، و"جلينز چونز"، مع طفلين إنجليزيين رائعين هما "كلارين دوتريس" و"ماثيوجاربر" وقد انتوينا أن يعرض في أعياد الكريسماس القادمة، ولدينا آمال كبيرة معقودة عليه. وأظن أنه سيكون من أحسن أفلامنا". ولم يخب أمل والت؛ فقد كان اهتمامه بالقصة التي كتبتها ب. ل. تراڤرس قد بدأ منذ عام ١٩٤٤ حين قرأ النسخة التي كانت مع ابنته ديان التي كانت في الحادية عشرة من عمرها، وبحث هو وأخيه روي عن المؤلفة، إلا أن التعامل معها كان صعبًا من البداية.

كانت تراڤرس تشعر أن شخصية ماري بوبينز تمثل لها علاقة شخصية حميمة وكانت رغبة والت في إدخال تعديلات على الشخصية وعلى القصة تعد إهانة لها، وقاومت رغبته لأعوام طويلة وفي عام ١٩٦٠ وافقت أخيرًا بشرط أن تشارك في إجراء التغييرات المطلوبة بنفسها، واستمرت المشاحنات حول التغييرات حتى انتهى تصوير الفيلم.

وكان والت بنفسه غارقًا في كل تفصيلة من تفاصيل الفيلم وقال ديك ڤان دايك: "كان كأنه رهانه الشخصي".. كان مأخوذًا بالقصة وهي عن راهبة إنجليزية تستطيع أن تحادث الكلاب، وتطير، وتقفز بين ثنايا رسومات الطباشير وتصبح جزءًا منها، وتصعد على درجات من الدخان، وكان ضيق والت بالأفلام قد اختفى تمامًا منذ أن شرع في إنتاج ذلك الفيلم، وكانت جولي أندروز التي شاهدها والت في أحد مسرحيات برودواي وهي مسرحية "كاميلوت" هي البطلة الملائمة من وجهة نظره لذلك الفيلم، بالرغم من أن مؤلفة القصة "تراڤرس"، قد اعترضت لجمال چولي أندروز الشديد. وكان ڤان دايك واحدًا من أشهر نجوم الشاشة الصغيرة في ذلك الوقت، وتم اختياره ليقوم بدور منظف المداخن "بيروت"، واختار والت أيضًا باقي فريق تمثيل الفيلم، وكان بيل والسن مساعد إنتاج. واختار الشقيقان ريتشارد وروبرت شيرمان لوضع ألحان الفيلم. واختار روبرت ستيفنسون الذي أخرج "الصارخ القديم" و"العالم الشارد" لإخراج الفيلم، كما اختار "دون دا جراي" وهو أحد أفضل المتخصصين في السيناريو الدرامي لكتابة سيناريو الفيلم.

وبعد وقت قصير من بداية العمل بالفيلم طلب والت من رون ميللر أن يحضر إليه نسخة من فيلمه القديم "أغنية الجنوب" الذي أنتجه برسوم متحركة، وحدد والت موعدًا لكل كبار العاملين بالفيلم لرؤية فيلم أغنية الجنوب في الساعة الثانية وبعد أن شاهدوا الفيلم المكون من مشاهد حية مع مشاهد من رسوم متحركة على الشاشة، قال والت: "كنت فقط أريد أن أرى شيئًا" ثم غادر القاعة.

وقال أحد الحاضرين: "يا إلهي، أتمنى ألا يفكر بإدخال رسوم متحركة في الفيلم".. لم يكن أحد منهم يود أن تتداخل في فيلم ماري بوبينز مشاهد رسوم متحركة؛ لأن ذلك سيحوله إلى فيلم أطفال.

في اليوم التالي استدعاهم والت وطلب أن يشاهدوا الفيلم مرة أخرى. وساد التوتر القاعة بعد انتهاء عرض الفيلم حتى تحدث والت وقال: "أتعرفون، أظن أن هذا الفيلم أيضًا سيحتاج إلى بعض الرسوم المتحركة".. وتلقى الحاضرون تلك المعلومة في صمت وهم مصدومين، باستثناء صوت سقوط الأخوين شيرمان صرعى من الصدمة كما حكى رون ميللر في تندر!.

إلا أن مقاطع الرسوم المتحركة التي أدخلت في فيلم ماري بوبينز كانت من أمتع المشاهد وأكثرها جاذبية.

لم يكن والت قد تلقى أي دراسات موسيقية بل إنه لا يستطيع أن يلحن نغمة، إلا أنه كان يتمتع بحس غريزي في إدراك ما يريده من الموسيقى في أفلامه والأغاني التي تحتويها. وهز رأسه في عدم رضى حين أسمعه الأخوان شيرمان أحد ألحان الفيلم، وقال هناك خطأ ما في الجزء، ولماذا لا تجربان هذا اللحن بإيقاع أسرع؟"، ونجحت المحاولة.

وكانت الأغنية الأثيرة لدى والت في هذا الفيلم هي أغنية "أطعموا الطيور" وهي أغنية رقيقة تغنيها ماري بوبنز عن امرأة عجوز طيبة تجلس أمام كاتدرائية القديس بولس. وفي الأمسيات التي تلت الانتهاء من الفيلم كان والت يجلس في استرخاء في مكتبه محاولاً تجاهل الألم الشديد الذي أصبح يجتاح ظهره ورقبته.. في أحيانٍ كثيرة كان يستدعي في تلك الأمسيات الأخوين شيرمان ويطلب منهما أن يغنيا له الأغنية، وكانا يعرفان دون أن يسألاه أي أغنية يريد.

وطوال التصوير، كان والت يدخل تحسينات على المشاهد، فلم تكن الراهبات تبتعد سائرات على أقدامهن، بل كانت الريح هي التي تحملهن، وكذلك رقصة منظفي المداخن على الأسطح فوق منازل لندن لا تنتهي بانحناءة الراقصين. وأضاف والت إلى النهاية مشهدًا للألعاب النارية.

وعند تنفيذ مشاهد المؤثرات الخاصة –مثل سلالم الدخان– كان يصبح على ثقة شديدة من أن فريق السحرة الذي لديه يمكنه إظهار تلك المشاهد بإبهار شديد على الشاشة، وكان يتحول إلى شخص آخر حين يواجه المترددين أو المتشككين.. وقال بيتر إلينشو الذي قام برسم لوحات كثيرة كونت في مجملها ما بدا وكأنه أسطح بيوت لندن في عام ١٩١٠، أنه أبلغ والت ذات مرة أثناء العمل بأن هناك مشكلة في إظهار أسقف المنازل مع الرقصة في تآلف طبيعي. وواجهه والت بتقطيبة وجه من الممكن أن تصهر الحديد!. وأدرك إلينشو أنه كان يجب أن يقول: "هناك مشاكل ولكن لحسن الحظ أننا سنسعد بإيجاد حلول لها". كان والت يكره التفكير السلبي ولا يرضيه إلا التفكير الإيجابي وإلى حد كبير كان العمل في الفيلم يمضي بسلاسة في أغلب الأحيان وعلق والت على ذلك بأنه نادرًا ما رأى وجهًا عابسًا في الأستوديو أثناء إنتاج الفيلم، وقال مازحًا: "رؤية أي وجه عابس يصيبني بالتوتر، أنا أعرف أن الفيلم يجب أن يدر عشرة ملايين دولار حتى يغطي التكلفة، إلا أنني لا أحب هزات الرأس السلبية التي تنم عن العجز، لا أقبل أنبياء الإخفاق؛ حتى روي كان سعيدًا".

وفي ٢٧ أغسطس عام ١٩٦٤، عرض فيلم ماري بوبنز العرض الأول في هوليود. وحصد ثلاث عشرة جائزة من أكاديمية الفيلم، وفازت "چولي أندروز" بجائزة أفضل ممثلة. وحقق الفيلم في عرضه الأول ٤٤ مليون دولار.

وأظهرت الكاتبة ب. ل. تراڤرس فتورًا وعدم حماس بعد مشاهدة الفيلم واقتربت من والت في الاحتفال المشهود الذي أقامه والت بعد العرض الأول، وقالت له: "كانت أندروز مقبولة في دور ماري بوبينز، إلا أن السيد فان دايك لم يكن موفقًا بأي شكل في أداء الدور ولم يعجبني الخلط بين الرسوم المتحركة والتمثيل الحي، متى سنبدأ في قص تلك المشاهد وحذفها؟".

مدينة المستقبل

تسبب نقص الأموال في عدم تمكن والت من شراء مساحة كبيرة لمدينة ديزني في عام ١٩٥٠. وخلال بضعة أعوام من افتتاح المدينة أحاطت بها جميع أنواع الأنشطة، كز والت على أسنانه من الغيظ حين قاد سيارته بين تلك المنشآت قاصدًا ديزني لاند، وكانت قد أنشئت لخدمة زوار المدينة من مطاعم وفنادق رخيصة وبارات ومقاهي.

كان الوقت قد فات لعمل أي شيءٍ للتغلب على ضيق مساحة ديزني لاند؛ ولذلك شرع موظفو والت في أواخر الخمسينيات في البحث عن مواقع محتملة لعمل مدينة ملاهي أخرى على ساحل الولايات الشرقي. وبدت ولاية فلوريدا ملائمة تمامًا.. كانت الأراضي رخيصة وجوها دافئ طوال العام، وكان القرب من ساحل البحر مرفوضًا فلم يكن والت يحب أن تتعرض المدينة للأعاصير المدمرة، ولا يحب أن يدخل مدينته أناس بملابس البحر المبللة بالمياه. ومع تطور أفكار والت بدأ جانب الترفيه في مشروع فلوريدا يقل في الهيمنة ويتراجع، فمدينة ديزني لاند الثانية لا بد أن تجذب الزائرين والمال أيضًا، إلا أن أحلامه الحقيقية كانت أكثر طموحًا.. لقد قضى حياته في تغيير عالم الترفيه التقليدي. أما الآن فقد كان يطمح إلى تغيير الطريقة التي يحيا بها الناس.

أصبح مشغولاً –ثم بعد ذلك مسحورًا– ببناء مدينة المستقبل؛ مكان حقيقي يمكن أن ينام فيه ساكنوه، ويعملون، ويلهون؛ مكان لا توجد به عشوائيات ولا مساكن فقيرة، مدينة لا تعرف التلوث، ولا الجريمة. ولم يكن التوقيت ملائمًا، ليشرك أحدًا معه في أفكاره، كانت هناك بعض الفجوات ما زالت بانتظار ملئها بما يلائمها، وكان على والت أن يحتفظ بأفكاره لنفسه في ذلك الوقت باستثناء بعض المساعدين المقربين.

وبدا اشتراك والت في معرض نيويورك عام ١٩٦٤ لمن لا يعرفون ما يدور بذهنه كأنه سلوك غامض غير مفهوم؟ فما الذي يدفع رجل كرس حياته لإنتاج الترفيه لإضاعة وقته في معرض سيغلق بعد زمن قصير محدد أي خلال أيام.

إلا أن والت كان يعرف سبب اشتراكه في معرض نيويورك الدولي.. وقال مارتي سكلار: "إن ذلك المعرض كان فرصة يجرب فيها بعض الأشياء على حساب الغير".

وافق والت على إبداع أربع عجائب عظمى هي: "نشوة التقدم" لصالح جنرال إليكتريك، و"إنه عالم صغير" لصالح شركة بيبسي كولا، و"طريق السماء الساحر" لشركة فورد للسيارات، و"لحظات عظمة مع الرئيس لنكولن" لصالح ولاية إلينوي.

وتفوق والت في قدرته على إنجاز أفكار جديدة مثل النماذج المجسمة المتحركة وهي عبارة عن نسخ لكائنات حقيقية تتحرك بتروس وبكرات وصناديق نقل حركة لتحريك الأذرع والسيقان والأقواه، كان قد بدأ الاهتمام بذلك الجانب حين شرع في تصميم حيوانات الغابة وطيورها في ديزني لاند، أما في معرض نيويورك الدولي، فقد صمم له أشكالاً ثلاثية الأبعاد وصلت إلى أعلى معدلات الإتقان في النموذج الذي صنعه لإبراهام لنكولن.

كان لنموذج لنكولن مواصفات مبهرة، فقد كان يؤدي ٤٨ حركة بدنية مختلفة و١٥ حركة لملامح الوجه، وأزعج والت أن نموذج الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة بعد شحنه إلى نيويورك وعند أول تشغيل له راح يرتجف ويهتز ويحطم المقاعد حين يجلس، وقال چون هنش عن ذلك: "كلما اشتغل مصعد وانخفض التيار الكهربائي يصبح نموذج لنكولن وكأنه أصيب بنوبة صرع، يا إلهي، لقد كان نموذجًا يثير الفزع والرعب!".

وبعد مرور أسابيع من محاولات تهدئة نموذج لنكولن، أصبح الوجه رائعًا للغاية حتى أن بعض مشاهدي العرض يتذكرون لنكولن وهو يسير إلى آخر المسرح ويصافح عددًا من المشاهدين.

وعند انتهاء المعرض، كان حوالي ٥٠ مليون زائر قد شاهدوا واحدة على الأقل من عجائب والت الأربع التي كانت بالمعرض، وأقر أكثر المتشددين أن عروض والت بالمعرض كانت من بين أفضل ما عرض فيه، وأعاد والت المعروضات إلى ديزني لاند. كان لدى والت القدرة على التجريب بلا تكلفة عالية، ووصلت به تجاربه إلى التوصل إلى وسائل جديدة للسيطرة على الحشود وتحريك الجماهير والتأثير عليهم. والأهم من ذلك أنه عرف كيف يتعامل مع الشركات الأمريكية الكبرى لإيصال فكرة تلك الشركات وأحلامها إلى الجماهير مباشرة.

في عام ١٩٦٤، بدأت شركة ديزني حركة كبيرة بشراء آلاف الأفدنة من الأراضي التي تغطيها المستنقعات في الجنوب الغربي لمدينة أورو لاندو بولاية فلوريدا.

وعمل ممثلي والت على الاحتفاظ باسم المشتري دون الإعلان عنه ولذلك ظل المشتري الحقيقي سرًا لا يعرفه أحد حتى تمت عملية الشراء، فإذا كانت أي جهة قد عرفت ما ينتويه والت وخططه السرية التي لم يخبر عنها أحد؛ لكانت تلك الأرض المقفرة والتي تغطيها المستنقعات وتستوطنها التماسيح قد قفزت أسعارها ووصلت إلى أسعار الأراضي في مدينة ميامي، وحين زار والت المنطقة زارها تحت اسم مستعار هو والتر. أ. دافيز. وانتشرت الأقاويل والشائعات أن المشتري هو فورد صاحب شركة السيارات المشهورة أو ماكدونال دوجلاس.

وفي خريف عام ١٩٦٥ بدأت حقيقة الأمر في التسرب والانتشار فارتفع سعر تلك الأرض الخربة من مائتي دولار للفدان حتى وصل إلى ألف دولار للفدان. إلا أن والت كان قد أتم عملية الشراء بالسعر الأول، فمقابل ٥ ملايين دولار اشترى ٤٣ ميلاً مربعًا من فلوريدا وهي مساحة تبلغ ضعف مساحة جزيرة مانهاتن، وتبلغ ١٥٠ ضعف مساحة ديزني لاند.

وفي ١٥ نوفمبر عقد والت وروي وحاكم فلوريدا هيدون بيرتز مؤتمرًا صحفيًا، وسأله حاكم فلوريدا: "هل ستنشئ ديزني لاند أخرى في فلوريدا؟".

ولم يكن والت على استعداد أن يخبر أي إنسان بما يدور في ذهنه، وأجاب أن المكان الجديد قد يكون اسمه ديزني وورلد (عالم ديزني)، إلا أنه لم يذكر أي تفاصيل، ثم وجه أحد الصحفيين سؤالاً أذهل والت وأربكه،: "هل يمكن أن يكون مشروعك هو ما نعتقد أن سيكون مدينة المستقبل؛ أي ما نتوقع أن تكون عليه المدن بعد ثلاثين أو أربعين عامًا من الآن؟".

في البداية راح والت يلف ويدور حول الإجابة، إلا أنه بعد دقائق كشف عن بعض ما يدور بذهنه: "أحب أن أساهم في عالم التشييد.. مدينة المستقبل، كما يمكنك القول.. تسهيل حياة المجتمع.. ترفيه المجتمع.. أحب أن أساهم في بناء مدرسة المستقبل"...

وبالكاد حين بدأ والت يكشف عن بعض مكنونه، سأل أحد الصحفيين سؤالاً مغايرًا أخرج والت من حالة الاسترسال التي كان قد بدأها، وقبلت أشياء أخرى كثيرة ما عدا نية والت في الاعتماد على الهيئات والشركات الكبرى لدعم مشروعه.

وفي شركة WED تم إعداد غرفة خاصة لإعداد خطط والت الخاصة بالمدينة التي قرر أن يطلق عليها اسم "النموذج التجريبي لمجتمع الغد. (EPCOT)" وكانت مفاتيح تلك الغرفة بحوزة ثلاثة فقط: "مارفن دافيز"، وهو مهندس بارع وموهوب ومصمم وكان قد تزوج بمارجوري ابنة شقيقة زوجته، و"چوبيتر" وهو لواء متقاعد من سلاح الطيران وعمل مع والت في معرض نيويورك، ووالت ذاته.

كان والت يرسم التصميمات الأولية لنموذج مدينة بيت المستقبل كلما وجد فرصة سانحة لذلك على لوحات، وعلى أوراق رسم، وأحيانًا على المناديل الورقية، كان من المقرر أن يصمم تلك المدينة ليسكنها عشرين ألف إنسان، كل منهم يعمل فيما يجعل المدينة مستمرة في البقاء.

وقال مرافن دافيز: "كان والت يتحدث إلينا لساعات عن تصميم المساكن وكيف يذهب الأطفال إلى المدارس، كما كان يتحدث لساعات عن وسائل التخلص من النفايات، كانت المدينة قد استولت على كل فكره، وبالطبع استولت على أفكارنا نحن أيضًا".

كانت الفرصة متاحة للشركات الكبرى لتجريب آخر منجزاتها ومقابل أن يكون سكان مدينة المستقبل مثل خنازير التجارب للشركات الكبرى يكون لهم الحق في التمتع بكل المنجزات الحديثة قبل أي إنسان آخر.

وطاف والت مع مجموعته المحدودة مراكز الأبحاث المتقدمة المشهورة للشركات الكبرى مثل جنرال موتورز، وجنرال إليكتريك، وزيروكس.

وشغل فكره مشكلة النقل الداخلي العمومي؛ كان يؤمن أنه لا بد أن تتوفر له شروط النظافة والأمان والسرعة وكفاءة الوقود، وصرح في أول مؤتمر صحفي: "أنا لست ضد السيارات، إلا أنني أعتقد أن السيارات دخلت حياة المجتمعات أكثر مما يجب".

وعدا كل ذلك أظهرت خطط والت لمجتمع الغد إيمانه بنقاء الجنس البشري.. كان يؤمن أنه لو توفر للبشر مكان جيد للسكن والمعيشة ومعلومات صحيحة ملائمة وفرصة لتطوير المجتمع باستمرار فإنهم سيفعلون ذلك.

كان التعليق الذي ذكره والت ذات مرة عن ديزني لاند ملائمًا تمامًا لما يخططه لمدينة المستقبل: "أنا لا أشيدها لنفسي، أنا أحاول أن أعرف ما يريده الناس وأحققه لهم".

التطلع إلى المستقبل

في بداية الخمسينيات كان والت يبدو واثقًا أن الحياة ممتدة وطويلة أمامه مثل رحلة بلا نهاية لقطار ملاهي الرحلات السعيدة، وأن ممار الحياة مليء بحلقات الحظ النحاسية التي يلتقطها أثناء الرحلة ويسعد بها، وقال في عيد ميلاد عمه روبرت الخامس والثمانين: "يبدو أن طول العمر يجري في عروق آل ديزني من جهة الأب والأم، إن قلبي وباقي أعضاء بدني الحيوية بالإضافة إلى تاريخ أجدادي المتميز بطول العمر يدل على أني سأتمتع بحياة طويلة".

ولكن في منتصف الستينيات.. بدأ والت يتلقى إشارات أن رحلة القطار الترفيهية قد لا تكون كما كان يتوقع، كان يذهب كل يوم إلى ممرضة الأستوديو هازيل چورچ لتجري له تدليكًا على ظهره الذي أصبح يؤلمه كل يوم، وأصبحت هازيل واحدة من أصدقائه المقربين، كان والت أيضًا ضحية لنزلات برد متتالية مع التهاب مستمر بجيوبه الأنفية، وتدهورت صحته بشكل ملحوظ. وحين حاول أن يشارك في رقصة "ارفعي ركبك أيتها الأم براون" والتي كانت إلهامًا لرقصة من رقصات فيلم ماري بوبينز؛ لم يتمكن من الرقص إلا لدقائق قليلة، وكان سعال التدخين يلازمه كل الوقت.

أصبح وجهه شاحبًا ومرهقًا وحاول مصورو التليفزيون ألا يظهروا ملامح كبره بتشويش صورته على الشاشة، إلا أن والت اعترض على ذلك وقال: "أشعر أنه من الخطأ أن يصوروني بمرشحات من الشبكات.. إذا لم يكن من الممكن تصويري عن قرب كما يريدون فليتراجعوا إلى الخلف قليلاً، ولكن لا داعي لتلك المرشحات".

وعندما كان والت طفلاً كانت أخته روث تتأثر دائمًا بقدرة والت على إخفاء آلامه، وكيف أنه لا يمكن لأحد أن يدرك أنه يتألم، وكان ذلك صحيحًا، فقد كان من النادر أن يتشكى من أي آلام.

وفي الحقيقة لم يكن يحب الحديث عن المرض والموت، لا عن نفسه ولا عن أي أحد آخر، لم يكن يتقرب أبدًا من حديقة فوريست لاون، حيث توجد المدافن التي دفن فيها أبويه، كان يبتعد عن الجنازات.

وحتى حين مات شقيقه هربرت عام ١٩٦١، لم يحضر مراسم الدفن. وتتذكر ديان ذلك اليوم قائلة: "كان مخططًا من قبل أن يذهب أبي في ذلك اليوم إلى قاعدة جوية بعد الظهر، وذهب رون معه وأتذكر وأنا أقف بجوار القبر أني رأيت طائرة تحلق فوقي وكان لدي اعتقاد جازم بأن أبي كان بتلك الطائرة التي مرت فوق مراسم الدفن".

لم يكن هناك بالطبع أي اقتراح بإبطاء معدل العمل في الأستوديو أو في شركة والت إلياس ديزني (W. E. D) وقال: "لا يمكن أن أعتزل وكل أولئك الرفاق يتوقعون مني أن أكون بينهم هنا".

وبينما لم يتيقن أحد إن كان والت قلقًا من أن كل تلك السنوات من الإنتاج قد وصلت إلى نهايتها أم لا، إلا أنه بدأ يسوي أموره المالية وينظمها. وكتب إلى أخيه روي عام ١٩٦٣ قائلاً: "حين أصبح في السماء أداعب أوتار القيثار، فإنني لن أفكر إن كنت قد تركت خلفي أشياءً في حالة من الفوضى على الأرض أم لا".

وكلما كان يتعمق في التفكير، كان نشاطه يصبح محمومًا أكثر من ذي قبل؛ كان يحيط نفسه بكتب ومراجع وأدوات تعاونه في تخطيط مدينة المستقبل التجريبية.

كانت عروضه التليفزيونية والأستوديو يتطلبان تركيزًا دائمًا. في كل فرصة ممكنة كان يقضي الوقت مع أحفاده الذين راحوا يزدادون بمضي الوقت، جنيفر ولدت في مايو ١٩٦٠، وفي نوفمبر ١٩٦١ ولد والتر إلياس ديزني ميللر، ووجد أنه أخيرًا حصل على سمي له، وبعد ذلك بعامين رزقت ديان بالطفل السادس رونالد، ومع بدايات عام ١٩٦٦ كانت شارون قد رزقت بابنتها فيكتوريا، وكان والت أول الزائرين لها بالمستشفى، وقالت شارون:

"بالطبع إنه يعرف كل شيء عن الأطفال، لقد قال إنها ستأتي وعيونها واسعة، وبالفعل ولدت بعيون رائعة".. كان والت وليلي يقومان بكثير من الأسفار، وكان ذلك في الغالب بصحبة شارون وزوجها بوب الذي عمل بعد ذلك في شركة W. E. D.. زارا إنجلترا، واستجابا لرغبة والت في البحث عن أجداده وجذوره بإنجلترا. وذهب إلى المؤتمر العام للحزب الجمهوري في سان فرانسيسكو.. كانت هناك رحلات أخرى وأنشطة أخرى كثيرة، وبالإضافة إلى مدينة المستقبل التجريبية EPCOT كان والت يبدأ مشروعات أخرى أكثر مما يمكن أن يستوعبه أغلب الناس في حياتهم بأجمعها. استأجر أرضًا في قلب كاليفورنيا لينشئ عليها ساحة تزلج على الجليد بتكلفة ٣٥ مليون دولار وأسماها "ملك المعادن"، وطلب من أهل مدينته القديمة أن يشتروا أرضًا بما فيها مكان مزرعتهم القديمة لإقامة موطن صبا والت ديزني "كمكان سياحي لا يهدف إلى تحقيق أرباح ولكن لتنشيط السياحة في" مدينة مرسيلين وتحسين اقتصادها.

وأشرف بنفسه على تصميمات ميدان نيو أورليانز في مدينة ديزني لاند، وأشرف بنفسه على إعادة تصميم كثير من ألعاب ديزني لاند، بما فيها رحلة النهر السريع في الغابة والتي غير فيها من اتجاه النهر ومجراه الأول إلى اتجاه آخر مرح وممتع، وكان الأقرب إلى قلبه مشروعه بتحقيق نوع جديد من التعليم الجامعي للمبدعين الموهوبين وذوي الذكاء الحاد،

وأن يكون اسم تلك الجامعة "كاليفورنيا للفنون" وكذلك معهد كونيار للفنون الذي ألحق به فناني ديزني لتلقي تدريبات مكثفة ومنتظمة به، أسس من داخله معهد لوس أنجلوس كونسر فتوار للموسيقى عام ١٩٦٢. وعلى مدى سنوات كان والت يساهم في ميزانية معهد الفنون الذي كان على شفا الإفلاس كما كان يدعم مؤسسة معهد السيدة نيلبرت كونيارد. وفكر والت وروي أن الفرصة سانحة لتأسيس جامعة تعلم طلابها كل أنواع الفنون (من رقص وموسيقى ودراما ورسم وسينما) بحيث لا يكون الطالب مقيدًا بدراسة تخصص واحد وأن يتعلم الطلاب تذوق جميع أنواع الفنون وأشكالها المختلفة. وقال والت للصحافة: "من يستطيع أن يدفع النفقات من الطلاب سوف نجعله يدفع.. ومن لا يستطيعون سيحصلون على منح دراسية.. نحن نريد الموهوبين". كان والت يريد أن تصبح مدرسته التي تعلم بها مختلفة عن أي مدرسة أخرى؛ قرر أن يصمم بها دوائر تليفزيونية مغلقة لربط قاعات الرقص بقاعات الرسم.. على سبيل المثال يمكن للرسامين أن يرسموا راقصات الباليه أثناء رقصهن، بل إن والت فكر أن يقوم بالتدريس في المدرسة بنفسه.. وقال لمارك دافيز: "أحب أيضًا أن أدرس بنفسي".. ونظر إليه دافيز بدهشة وضحك والت حين رأى دهشته قائلاً: "ليس في الرسم، فأنا بارع في فن القصة وأنت تعرف ذلك".. بناء بعد بناء، كان والت يبني على الدوام ليحقق شيئًا جديدًا أو شيئًا أفضل.. كان في تلك المرحلة يقارن بتوماس إديسون أو هنري فورد وهم من الرجال الذين وهبوا أمريكا شكلها المتميز وحضارتها الواضحة. قال البعض عنه إنه مجنون بذاته، اعتقدوا أنه سعى إلى الشهرة وتحقيق سمعة عريضة من أجل ذاته! إلا أن ذلك لم يكن أسلوب والت في التفكير. ذات مساء في عام ١٩٦٥ اقترب منه مارتي سكلار وبيده خطة المؤسسة في التقرير السنوي. كان قد كتب تقارير عن عدد من العاملين الذي عملوا لدى ديزني.. كانت مؤسسة ديزني مكونة من كفاءات كثيرة لا من كفاءة رجل واحد، وقال والت: "لا أحب أن أفعل ذلك، سأقول لك السبب والت ديزني شيء ما يكون صورة ذهنية في عقول الناس، وقد قضيت عمري بأكمله لعمل تلك الصورة الذهنية، أما والت ديزني الفرد فهو ليس تلك الصورة بالضرورة. أنا أشرب وأدخن وأفعل أشياء أخرى كثيرة لا أحب أن تكون جزءًا من تلك الصورة الذهنية لدى الناس، لن أكون والت ديزني أكثر من ذلك!!.

وداعًا

في رأس سنة ١٩٦٦ كان والت الشخصية الشرقية في مسابقة الزهور المزروعة؛ كانت تحيط به باقات من أجمل الفتيات وساحات من أجمل الزهور ويلوح للجماهير التي تجمعت لتحيته.

لم يكن يعرف أنه من المحتمل ألا يعيش حتى رأس العام التالي ١٩٦٧، في الغالب الأعم كان ذلك العام مثل الأعوام الأخرى؛ ففي الصباح كان والت يقضي نهاره في الأستوديو؛ حيث كان يشرف على فيلم "أسعد مليونير"، وعلى فيلم رسوم متحركة طويل هو فيلم "كتاب الغابة"، وفي أغلب الأمسيات يكون موجودًا في مكاتب والت ديزني (W. E. D)؛ حيث كان يستكمل خطط مدينة المستقبل التجريبية النموذجية EPCOT ومدينة عالم ديزني.

كان روي يتحدث عن رغبته في التقاعد في الثانية والسبعين من عمره بعد أن أصابه الإنهاك، وأقنعه والت بالعدول عن ذلك وأنه يحتاج أخاه الأكبر للمشاريع العظمى التي تنتظر إتمامها.

وكان عقله مشغولاً بمسقط رأسه، وفي آخر مايو أهدى والت أحد قطاراته من ديزني لاند إلى مدينة مارسلين مسقط رأسه بولاية ميسوري. وكان القطار الوحيد الذي انتقل من ديزني لاند إلى مكان آخر.

واحتفل والت وليلي بعيد زواجهما الواحد والأربعين مع ديان وزوجها رون، وشارون وزوجها بوب وسبعة من أحفاده على متن يخت كبير توجه بهم إلى جزيرة بالقرب من فانكوفر في كندا.

وتتذكر ديان بأن والت كان هادئًا على غير العادة طوال تلك الرحلة.. لم يكن يشكو من الألم الذي كان من الواضح عليه أنه يعانيه، إلا أنه أقر أنه أصبح يشعر بالإجهاد السريع، وكان يشعر بالحرج من الآلام التي كان يعانيها في وجود سبعة من أحفاده.

وبعد عودتهما بفترة قصيرة ذهب والت إلى المركز الطبي للفحص، واكتشفوا بالمركز أنه يحتاج إلى إجراء عملية جراحية لتخفيف الألم الذي يشعر به في عنقه وظهره، إلا أنهم قالوا إن بإمكانه تأجيل الجراحة إلى الشتاء لو أراد ذلك.

واستمر العمل بمعدله المعتاد. وفي مؤتمر صحفي سُئل والت عن أحب ألعاب ديزني لاند إليه؛ فتدفق في وصف مطول عن لعبة تشتمل على مراكب للقراصنة وكنز. ولم يفهم الصحفي عن ماذا يتحدث والت؟ وكان يقصد لعبة قراصنة البحر الكاريبي والتي لم تكن ستكتمل إلا بعد عامين، كانت لعبة والت المفضلة دائمًا هي اللعبة القادمة.

واستمر العمل في مخططات مدينة المستقبل التجريبية، وقرر والت أن ينتج فيلمًا مدته عشرون دقيقة عن فكرته عن مدينة المستقبل حتى يفهم الناس ما ينوي أن يفعله في تلك المدينة وما يهدف إليه، وكان يحث الكتاب أن يتحركوا أسرع حتى يتمكن من الانتهاء من ذلك الفيلم قبل أن يعود إلى المستشفى، وفي آخر رحلة ذهب هو وليلي وشارون وبوب إلى مدينة ويليامز برج بولاية فيرجينيا وكان الغرض من تلك الرحلة أن يلقي والت كلمة في اجتماع لجنة الغابات الأمريكية.

إلا أن والت استمتع بالقيام بوظيفة المرشد السياحي لشارون وبوب الذين لم يذهبا أبدًا إلى تلك المدينة التي أعيد بناؤها.

ولُقاما في أحد البيوت المعاد إنشائها على طراز المستعمرات القديمة. وتتذكر شارون تلك الرحلة قائلة: "كان ذلك اليوم هو يوم عيد جميع القديسين وكانت أوراق الأشجار تتساقط بغزارة في الشوارع وتغطي الطرق، كانت السماء تمطر في ليلة عيد جميع القديسين وجاء ولد صغير ودق الباب للحصول على شيء مثل عادة الأطفال في عيد جميع القديسين، ولم يخطر ذلك بذهننا فلم نستعد له، وأتذكر أن أبي راح يمضي من غرفة إلى غرفة باحثًا عن شيء مناسب يعطيه للولد الصغير.. وجد لفافة من حلوى اللادن. وضايقه أنه لم يكن هناك شيء ملائم ليعطيه للولد".

وبعد أن عاد والت من ويليامز برج أصبح يعاني من ألم دائم ومستمر، وذهب مرة أخرى للأطباء. وفي يوم الأربعاء الموافق الثاني من نوفمبر، عملوا له صورًا إشعاعية على الصدر واكتشف الأطباء أنه مصاب بورم سرطاني. كانت السجائر التي يدخنها قد نتج عنها ورم سرطاني في حجم حبة البندق في الرئة اليسرى وأصاب القلق ليلي إلا أنها لم تفهم حقيقة الأمر وأرادت أن تعرف مدى خطورة تلك الأنباء.

وأخبرت ابنتاها ديان وشارون، وكان موقف والت المتفائل قد جعلهما يشعران أن الأمر ليس خطيرًا وأن كل شيء سيعود كما كان بعد إجراء جراحة في يوم الاثنين التالي.

وحين أشار روي إلى المرض باسم "كارسينوما" وهو الاسم اللاتيني للسرطان، صححت له باتي زوجة ابنه ما اعتقدت أنه خطأ منه قائلة: "لا، بل سرطان"، وانفجر فيها روي وخرجت من الغرفة باكية... في الستينيات كان أغلب الناس يتجنبون ذكر كلمة سرطان! كان مرضًا مخيفًا حتى إن مجرد ذكر اسمه كان يخيف الناس؛ لذلك كانوا يشيرون إليه باسم "السين الخطيرة" إشارة لكلمة سرطان، أو يشيرون إليه بضمير الغائب قائلين "لقد أصيب به".

وداوم والت رغم ذلك علي الحضور إلى الأستوديو في الأيام التالية ورآه بيتر إينشو في القاعة، وقال له بيتر الذي كان يعتمد على والت اعتمادًا تامًا في استلهام الأعمال وتشجيع

والت له: "يبدو عليك وكأنك مريض فعلاً". ورد والت قائلاً: "إنها تلك الإصابة القديمة في ظهري".. وظهر على وجه إلينشو الاهتمام والخوف.

ولما قرأ والت ما يدور بذهنه قال له: "أنا لن أذهب للمستشفى لأموت، لا توجد مشكلة" وسار مبتعدًا.

وفكر إلينشو في خوف: "يا إلهي سيموت رجلي العظيم".

وفي يوم الاثنين، السابع من نوفمبر، ذهب والت لإجراء الجراحة.. انتظرت ليلي وابنتاها في قلق شديد في غرفة الانتظار وبعد الجراحة خرج إليهما الجراح دون ابتسامة طمأنينة على وجهه. وتوقف الزمن بالنسبة للنساء الثلاث والجراح يقول لهم إن السرطان قد انتشر وإنه لم يتبق لوالت إلا فترة من ستة أشهر إلى عامين.

وقضى والت أسبوعين بالمستشفى بعد الجراحة.. كانت المستشفى في الناحية المقابلة من الشارع أمام الأستوديو. وفي اليوم الذي خرج فيه من المستشفى طلب منها أن تأتي لتأخذه من المستشفى إلى الأستوديو.

وصدم الجميع بما آل إليه والت بعد أن أصبح بادي النحافة والضعف والوهن الشديد، وعقد اجتماعًا وتحدث عن مخططاته لفيلم جديد اسمه: "الحصان ذو الرداء الرمادي". وعلى الغداء في كافتيريا الأستوديو أخبر بعض مساعديه المقربين أنهم استأصلوا رئته اليسرى. وقال جون هينش: "قال لنا إن الأطباء واثقون أنهم قد أزالوا كل السرطان الذي كان موجودًا، وإنه واثق هو الآخر من ذلك، وإن كان الأمر أصبح ينحصر في نيل بعض الراحة والاستجمام".

وبعد الغذاء توجه إلى مكاتب والت إلياس ديزني (WED) كما كان يفعل دائمًا على مدى سنوات، وحاولت سكرتيرات المكتب أن يخدموه بتقديم المشروبات ومعاونته، إلا أنه لم يقبل أن يعامل معاملة المرضى، قال لهم: "أنا على ما يرام، أستطيع أن أخدم نفسي".

وتوقف عند مكتب مارك دافيز. وكان دافيز واحدًا من التسعة الكبار الذين عملوا مع والت من منتصف الثلاثينيات؛ من فيلم بامبي مرورًا بديزني لاند حتى الخطط المبكرة لمدينة المستقبل التجريبية EPCOT، وكان رسامًا موهوبًا، وكان في ذلك الوقت يعمل في اللوحات التصميمية لساحة التزلج المسماة "ملك المعادن". وقال دافيز عن ذلك اليوم: "جلس والت على مقعد وكان على مكتبي رسوم لفرقة الدببة وكان منظرهم طريفًا وضحك والت لما رآهم!. كان يبدو وكأنه يعاني الجحيم".. قلت: "بالتأكيد أزالوا عنك بعض الوزن".. فتطلع إلي بعيون واسعة حزينة وشعرت في تلك اللحظة أنه كان من الأفضل أن أقطع لساني".

وقضى والت بعض الوقت مع دافيز ومع بعض موظفي WED الآخرين، ثم قرر أنه يجب أن يذهب. وترك دافيز في مكتبه وتذكر دافيز. ذلك الحدث قائلاً: "وقفت على الباب ورحت أتطلع إليه وهو يبتعد باتجاه القاعة الوسطى وكان قد أصبح على بعد خمسين قدمًا. ثم استدار إلي وقال: "وداعًا يا مارك".. "لم يقل لي أبدًا من قبل وداعًا، كان يقول لي دائمًا إلى اللقاء".. وعاد والت في الأيام التالية مرتين إلى الأستوديو، وتوقف عند طاقم تصوير فيلم "الشبح ذو اللحية السوداء"، وتحدث إلى الممثل بيتر أوستينوف قائلاً: "أنا مصاب بسرطان الرئة، ولكني سأتغلب عليه".

وصل الخبر إلى كثير من العاملين بالأستوديو وراحت الأخبار والشائعات تنتقل ما بين الأطباء والممرضات في الجهة المقابلة من شارع بوينافيستا وبين العاملين بالأستوديو في الجانب الآخر. وخلف الأبواب المغلقة كانت عيون العاملين الممتلئة بالدمع تتساءل بصوت مسموع: "ما الذي نفعله الآن؟ ومن يمكن أن يشغل مكان رجل كهذا الرجل؟".

وقضى والت أغلب أيام الأسبوعين التاليين مع ليلي بالمنزل وقام بزيارة أبنائه وأحفاده. وحين أحضرت له ابنته ديان مشروبًا وطبقًا صغيرًا، ظن أنه منفضة سجائر، ونظر إليها وكأنها فقدت رشدها وقال لها: "أنا لا أدخن يا ابنتي".. ثم صمت لفترة طويلة، ثم قال: "ولكنهم ما زالوا غير متأكدين أن التدخين يسبب سرطان الرئة".

ووضع خطة لتقليل أنشطته، وقال لروي "لن أهتم بعد الآن بالأفلام، سأركز من الآن على مخططات وبناء مدينة المستقبل EPCOT"، وقضى بعد ذلك ليلة واحدة في منتجع الأسرة في بالم سبرنجز وعاد إلى البيت في اليوم التالي.

وفي يوم ٣٠ نوفمبر عاد والت إلى المستشفى وتدهورت حالته بسرعة، وقضى أغلب الوقت تحت تأثير الأدوية المخدرة ورفض رؤية أي أحد غير أفراد أسرته.

كان روي يلازمه على الدوام، وكان في أغلب الوقت يحدثه عن العمل، وكان فيلم "أسعد مليونير" قد انتهى العمل فيه تقريبًا، واعتقد والت أنه سيكون قنبلة الموسم. وحين استغرق والت في النوم، جلس روي صامتًا إلى جواره مستغرقًا في التفكير، وحين وصلت ابنتاه لزيارته حياهما والت بتلويح من يده و"كيف حالكم يا بنات" والتي أخذت هي الأخرى تضعف بمرور الأيام.

وذات مرة حين جاء رون زوج ابنته ديان لزيارته، قدم زوج ابنته للممرضة قائلاً: "هذا هو ابني".. وأصلحت الممرضة الخطأ قائلة: أنت تعني زوج ابنتك" فرد قائلاً: كلا، أقصد أنه ابني".

ورسم له بيتر إلينشو صورة لشجرة ينبعث منها الدخان إلا أنه لم يسمح له أن يسلمها له بنفسه. وعلقها والت بغرفته بالمستشفى، وراح يريها للممرضات قائلاً: "أترين تلك الصورة، أحد تلاميذتي رسمها لي".

وفي الساعات التي كان يقضيها وحيدًا، كان يتأمل السقف فوق فراشه، كان يستخدم مربعات السقف المكون من ألواح بالقدم المربع في التخطيط الذهني في خياله لمدينة EPCOT.

وفي الساعة ٣٥: ٩ من صباح الخامس عشر من ديسمبر مات والت ديزني.

وقال وارد كمبال: "لا أعتقد أن والت ظن بيوم من الأيام أن ذلك سيحدث له، ولا أعتقد أنه تقبل ذلك، أنا أعرف والت، فحتى اللحظة الأخيرة التي أغلق فيها عينيه لآخر مرة لم يقتنع بأن ذلك من الممكن أن يحدث له".

طي الصحف

قالت باتي زوجة ابن روي: "ما زلت أتذكر أني كنت واقفة في ردهة المستشفى بعد أن مات والت، وكان روي شقيقه غارقًا في لجة أحزانه.. لم أره يبكي في حياتي قبل ذلك، وضعت ذراعي على كتفه فسار مبتعدًا، كان يريد أن ينفرد بنفسه بعيدًا عن الناس".

وقالت شقيقته روث: "علمت بنبأ موته من نشرة الأخبار، وأعلن المذيع موته بنبرة رسمية، ثم انتقل إلى الخبر التالي".

وقالت ليلي زوجة والت: لم أكن أعرف أنه يمكن أن يموت، ولا هو اعتقد أنه سيموت، كنا قد أعددنا خطة مشتركة للقيام برحلة نقاهة".

وأحيطت أنباء مرض والت بسرية كاملة حتى لا تصل إلى الصحافة ووكالات الأنباء. أما بعد إعلان موته؛ فقد عم الحداد كل العالم! وراحت الصحف ومحطات التليفزيون تذيع مقتطفات من أعماله، ولم يجمد جثمانه كما أشيع لمحاولة علاجه وإحيائه في المستقبل.. أما مراسم الدفن فقد تمت كما أوصى والت تمامًا، وكان قد أوصى أن تكون في أضيق الحدود ولا يحضرها إلا أقرباؤه المباشرون، كان قد قال لهم قبيل موته: "لا أحب أن يتجشم أي فرد عناءً من أجلي".. واحترمت أسرته رغبته الأخيرة. حتى شقيقته روث لم تحضر مراسم الدفن، وقالت إنهم قالوا لها ألا تحضر وإلا تبعتها الصحافة.

وحين كانت سكرتيرة والت تقوم بفحص ما تركه من أوراق بعد موته، أصابتها الدهشة! واستدعت ابنته شارون وقالت لها: "وجدت صناديق كثيرة خاصة بوالت وأظن أنها تخص الأسرة. كانت الصناديق تحتوي على بطاقات بريدية ورسائل بريدية ورسائل خطية من ابنته، وحذاء ديان البرونزي حين كانت طفلة، وأشياء أخرى كثيرة من ذكريات أسرته. وقالت شارون: لم يكن أحد يعلم أنه يحتفظ بتلك الأشياء الصغيرة طوال حياته.

وفي الأيام التي تلت موت والت، ظهر تساؤل كبير في العيون وعلى أطراف الألسن: هل سيلغى مشروع عالم ديزني؟

كان المشروع قد بدأ يبرز بالكاد فوق سطح الأرض، والآن بعد أن فقدوا روحه الملهمة للجميع، من الممكن أن يهمل المشروع ويطويه النسيان.

وقال مارفن دافيز: "حين مات والت قلنا جميعًا إن مشروع عالم ديزني قد مات أيضًا، إلا أننا فوجئنا بروي يدعو إلى اجتماع في قاعة عرض الأفلام، وكان كل العاملين بمشروع عالم ديزني من الحاضرين؛ ولم أسمع في حياتي عن مواقف أخرى تتسم بمثل تلك الشجاعة التي أظهرها روي ولا بمثل ذلك الحديث الجريء المتماسك. كان بالكاد قد عاد من دفن أخيه،

ووجه إلى الجميع حديثًا حيويًا، قال روي: يريد منا والت أن نواجه تلك الظروف وألا ننهار أمامها وبعون الله سنكمل ما بدأه، وحين كنا نخرج من قاعة العرض، كان كل منا يصافح الآخر بقوة وحماس ويقول لا بد من إتمام مشروع عالم ديزني.

وفي أكتوبر عام ١٩٧١ تم افتتاح المرحلة الأولى من مدينة عالم ديزني في ولاية فلوريدا.. الفارق أنها حتى ذلك الوقت لم يكن قد أطلق عليها اسم ديزني حتى يظل بذاكرة الناس أنها كانت من أحلام والت وبعد الافتتاح هاتف روي أخاه الأكبر راي وتبادلا حديثًا مطولاً، وكذلك فعل مع شقيقته روث، وعلقت باتي ديزني زوجة ابن روي على ذلك قائلة: "كان الأمر أشبه بمن يطوي صحفه هو الآخر".

وبعد شهرين من افتتاح المرحلة الأولى لمدينة عالم والت ديزني، مات روي ديزني في ٢١ ديسمبر متأثرًا بنزيف في المخ.. كان روي يدعم والت منذ أن كانا طفلين، وظل حيًا بعد موت أخيه بما يكفي لرعاية أكبر أحلام أخيه.

واستمر الحلم

من بضعة أعوام مضت تحدثت لورين سانتولي مديرة دعاية ديزني لاند عن والت ديزني، قالت: "ما زالت روحه حية، وكل العاملين هنا يشعرون بوجوده بينهم". وقالت عن الرجل الذي لم تلتق به في حياتها: "ينتابنا دائمًا الإحساس أن والت سيبرز فجأة من أي زاوية بالمدينة".

كان والت قد رحل إلى الأبد من حوالي ثلاثين عامًا مضت، إلا أن حضوره وأثره ما زال مهيمنًا بالمدينة".

كان والت قد رحل إلى الأبد من حوالي ثلاثين عامًا بعد أن ترك بصمته على عالم الترفيه، وعلى أصدقائه المقربين وزملاء العمل، وبالطبع بشكل أكثر تأثيرًا على أفراد أسرته واستقال بي كوتريل وتقاعد، وهو زوج شقيقه زوجته، وكان موضع ثقته ومديرًا تنفيذيًا في مؤسسة ديزني عام ١٩٨١ بعد أن عمل في المؤسسة لمدة ثلاثة وخمسين عامًا، ومات هو الآخر عام ١٩٩٦ وحتى آخر يوم في حياته كان يتحدث عن والت وكأنه ما زال حيًّا، كان يقول في أي مناسبة: "والت من الناس العظماء المستحب السفر برفقتهم".

لم يكن كوتريل وحده الذي ظل محتفظًا بذكرياته مع والت بعاطفة قوية وحب وإعزاز، أيضًا توم ناب الذي كان يقوم بدور توم سوير في ديزني لاند كان يقول دائمًا: "حين يرد ذكر والت في حديثي فإنني لا أشير إلى ماضي، والت تمتع بتلك السمعة العظيمة في جميع أنحاء العالم وما زال يحوز تلك السمعة".. ويقول ديك نونيز، مستشار إبداعات والت: "يظن أغلب الناس أن والت ما زال حيًّا".

ولما مات والت ترك خلفه ما هو أكثر من مجرد عائلته وشركته وشخصياته التي ابتدعها؛ فقد ترك أحلامه الكثيرة فكيف يمكن تحويلها من أحلام إلى واقع؟ لم يعرف أحد الكثير عن خطط والت التي كانت تدور في رأسه للمستقبل حين كان حيًّا.

وحيث إنه كان سابقًا بعدة خطوات أي منافس وأي إنسان آخر؛ فقد كان من الصعب تخمين خطوته التالية وبعد أعوام من موته: ظل ذلك التساؤل الحائر مطروحًا: "ما الذي كان يمكن أن يفعله والت لو كان حيًّا؟".

ومن بين كل أحلام والت كان أكبرها ذلك التساؤل عن مدينة المستقبل التجريبية EPCOT.. كانت المدينة تعد خطوة عملاقة للأمام لشركة والت؛ من مجرد ابتداع الترفيه لملايين الناس إلى خلق مدينة واقعية لهم يحيون بها.. كان لدى والت كل المخططات واللوحات الهندسية المعمارية كنقطة بداية لتحقيق رؤيته وكان قد انخرط تمامًا في أبحاثه عن

خططه المزمعة للمدينة، كان يتحدث كثيرًا وبإلحاح عن الصرف الصحي والتخلص من النفايات، وعن وسائل النقل المتقدمة، وكل العناصر الأخرى التي تطلبها مدينة المستقبل.

وبدون رؤيته كان من المستحيل على من تركهم خلفه أن يحققوا شيئًا؛ لأنهم لم يلموا بكل أبعاد رؤيته، بما فيهم أخيه روي. وبدلاً من الحلم الذي كان يدور برأسه، أصبحت EPCOT أقرب إلى معرض عالمي يجمع ما بين التعليم والترفيه؛ أصبحت أقرب إلى مرآة عالمية تعرض فيها دول العالم المختلفة مثل فرنسا وإنجلترا وكندا وإيطاليا واليابان والصين أزياءها ومنتجها الحضاري والفني، وأنواع أطعمتها، وحرفها ومنتجاتها الشعبية والأنواع النباتية التي تشتهر كل منها بها، وحتى الطرز المعمارية وألوان الفنون بكل منها؛ تعرضها في عالم المستقبل ذاك.. تحتوي الأجنحة المختلفة على التطورات التي ستحدث على اليابسة وفي البحار، والصحة، ووسائل النقل، والطاقة، ووفر الخيال الحر للشركات الراعية الفرصة لعرض منتجاتها على الزائرين الذين يتجولون بين الأجنحة إما طائرين، أو راكبين، أو سائرين بين مشاهد ونماذج عبقرية متحركة، ونماذج لوسائل الزراعة في المستقبل، وكذلك عرض بديع للحياة البحرية.

بعض أحلام والت ماتت بموته، وألغيت قاعة تزلج "ملك المعادن" لمعارضة جماعات حماية البيئة التي احتجت على استعمال تلك المساحة من الأرض لمجرد جذب السائحين؛ وكذلك لم تتحقق الساحة التذكارية بما فيها نموذج القطار في مدينة مارسلين موطن نشأة والت بالرغم من أن المدينة احتفلت عام ١٩٩٨ بالعيد المئوي لمولد والت، وازداد الاحتفال حتى شمل سلسلة من الأحداث التي أثرت على حياة والت من رقص إلى موسيقى ورسم وتمثيل مسرحي، حتى كان الاحتفال السنوي عام ٢٠٠١ شاملاً كل نواحي حياته وكان احتفالاً عظيمًا.

وظلت أعماله الأخرى حية ومتجددة؛ مثل جامعة كاليفورنيا للفنون التي عمل على تأسيسها وإنشائها، والتي تضم الآن ألف طالب وخمسة تخصصات للرقص والرسم والموسيقى.

أما ديزني لاند فقد استمرت في النمو والانتعاش؛ أضيفت إبداعات جديدة، وألغيت ألعاب أصبحت قديمة. وفي الحقيقة تحققت رؤية والت من أنه "حتى الأشجار ستستمر في النمو".

فقد نمت الأشجار التي زرعت بطريق مدينة الترفيه الرئيسي حتى حجبت القلعة ولم يعد من اليسير رؤيتها من أي اتجاه.

أما بالنسبة للأفلام، فقد ظل الإنتاج متعثرًا طوال السبعينيات، ثم بدأ يستعيد قدراته بإنتاج فيلم "الرشاش" عام ١٩٨٤، وبدأ قسم الأفلام يستعيد نشاطه تحت رعاية زوج ابنته رون

ميللر الذي أصبح المدير التنفيذي عام ١٩٨٠ بعد أن تبنى سياسة جديدة في تنفيذ أفلام متقدمة. كما افتتح ميللر قناة ديزني التليفزيونية.

وأعيدت هيكلة الشركة عام ١٩٨٤ ووضع على رأسها مايكل آيزيز، المدير العام السابق لشركة بارامونت للسينما، وفي الأعوام التي تلت ذلك أنتجت الشركة مجموعة من الأفلام الناجحة مثل: "توافق في البراري"، و"چورج في الغابة"، كما جددت الشركة توجهاتها في الرسوم المتحركة بإنتاج مجموعة من أفلام الرسوم المتحركة الدرامية الطويلة مثل "عروسة البحر الصغيرة"، و"الجميلة" وآخرها "مولان". وامتد نشاطها إلى برودواي بـ "الجميلة والوحش"، وبالرائعة الجديدة التي حازت جائزة توني وهو فيلم رسوم متحركة موسيقي هو "ملك الأسود (Lion King).. ولسخرية القدر، فبعد أربعين عامًا من الوقت الذي احتاج فيه والت إلى دعم قناة ABC التليفزيونية لجمع المال الذي أسس به مدينة ديزني لاند الترفيهية؛ اشترت شركة ديزني كل شبكة ABC التليفزيونية.

وأثبت والت بعد نظره حين كان يصر على جودة المستوى بعد إعادة عرض أفلامه الأولى، وطبعها على شرائط فيديو، فقبل أن يعرف أي أحد بزمن طويل قيمة "الإعادة" فكر في إعادة عرض الأعمال.

كان والت يتناقش ويحث فنانيه ورساميه ومخرجيه وكتابه أن يحجموا عن الأعمال اليسيرة المتداولة لدى الغير، ومن الميل إلى الامتهانة والاستخفاف أو أي اتجاه سلبي يقلل من مستوى ما ينتجون لدولة معينة أو جيل معين، وأنهم بذلك سيحصدون فوائد ما يعملون على مدى عقود قادمة.

وبالرغم من أن مايكل آيزنز لم يلتق في حياته بوالت، إلا أنه شب وكبر وهو يراه في عروض التليفزيون وكان يتطلع إلى رؤية ديزني كأحد أحلامه؛ كانت أفكاره تختلف عن أفكار والت كما هو الحال بالنسبة لأي إنسان آخر، إلا أنه شاركه ميله وحبه للإتقان وتقديم أعمال ذات تميز؛ هل يمر والت بذهنه كثيرًا؟

قال: "أنا أستخدم اسمه إذا مال أحد العالمين إلى الاختصار والاستسهال أو مال إلى توفير بعض المال في جوانب الفيلم المختلفة، في مثل تلك المواقف أعيد تذكير الجميع برسالتنا التي نقوم بها في شركة "ديزني".

في الوقت نفسه استمر تأثير والت القوي والمحبوب لدى من تبقى من أفراد العائلة. وللأسف ماتت ابنته شارون عام ١٩٩٣. كانت قد فقدت زوجها الأول الذي مات متأثرًا بمرض سرطاني بعد موت والت بفترة قصيرة، وتزوجت بعد ذلك بفترة وأنجبت توأمًا هما براد وميشيل.

كل أشقاء والت وشقيقته ماتوا جميعًا؛ فقد مات رايموند عام ١٩٨٩ وماتت روث عام ١٩٩٥.

وفي عام ١٩٩٨ ماتت ليلي زوجة والت؛ ماتت على فراشها في البيت الذي بنته هي ووالت عام ١٩٥٠، وبالرغم من أن جانب المشروبات الغازية قد أزيل وكذلك قضبان القطار الصغير، إلا أن كثيرًا من نماذج الأثاث المصغرة ما زالت موجودة ومعروضة بعد الباب الرئيسي مباشرة، وكانت ليلي قد أهدت قبل موتها بسنوات هبتين واحدة لقاعة والت ديزني التذكارية، والثانية لإنشاء قاعة موسيقى في لوس أنجلوس، وهبت للأولى ٥٠ مليون دولار، والثانية ٢٥ مليون دولار، ورزقت ابنته ديان بطفلها السابع من زوجها رون ميللر، وكان ولدًا أسمته باترك في عام ١٩٦٧.

وهم حتى الآن يعملون بمشروعات كثيرة ويديرون مزرعة الكروم التي يمتلكونها في سلفراد بشمال كاليفورنيا. كانت المحافظة على ذكرى والت بإقامة متحف دائم يحمل اسمه يمثل أهمية قصوى لديان وأسرتها. وأخيرًا ونتيجة لجهودهم افتتح متحف متعدد الوسائط يعرض كل حياة والت وإنجازاته في خريف عام ١٩٩٨.

وللسبب نفسه وهبت ديان ساحة قطار والت الحمراء؛ حيث اعتاد والت العمل في قطاراته إلى حديقة جريفث في لوس أنجلوس حتى يستمتع بها كل الأطفال والكبار الذين يزورون الحديقة، وفي نفس الوقت استمر أحفاد والت العشرة في التقدم والنجاح في ميادين كثيرة مختلفة، الكبار منهم الذين ولدوا في وقت مكنهم من معايشة جدهم والت يعتزون بتلك الذكريات النفيسة.. وتقول حفيدته چوانا "من عشرة أعوام مضت بدأت أتعجب كيف استطاع أن ينجز كل ما أنجزه مع أنه كان يقضي وقتًا طويلاً معنا يداعبنا ويلهو معنا، أشعر في هذه اللحظة أنه أوحشني كثيرًا".

وليست چوانا وحدها التي تشعر بذلك.